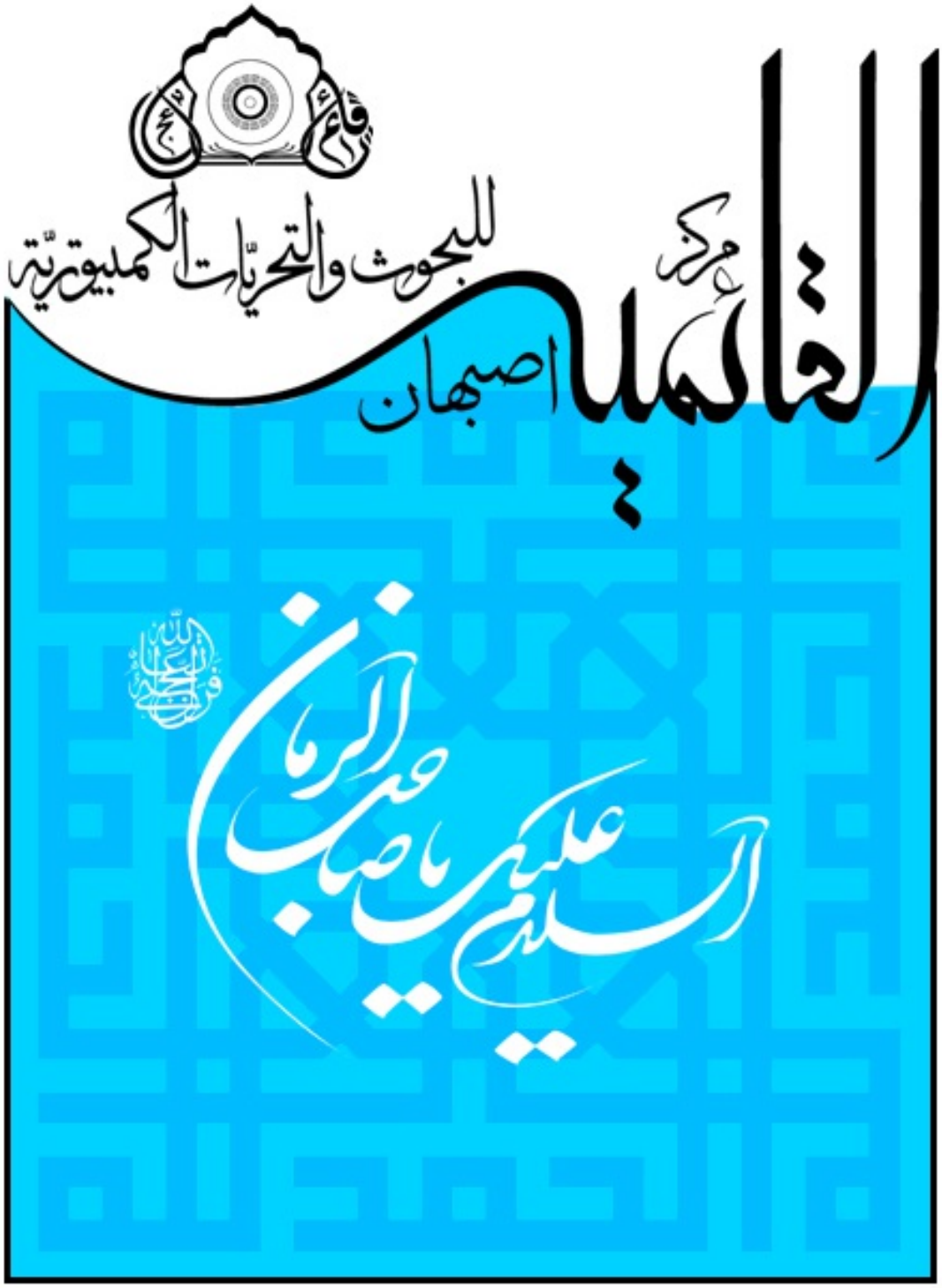

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

الغيبة الكبري
في
دعوي السفارة

نويسنده:شيخ محمد سند

جلد(۲)

بسم الله الرحمن الرحيم

دعوى السفاره فى الغيبه الكبرى (٢)

كاتب:

محمد السند

نشرت فى الطباعة:

محبين

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

الفهرس ----- ۵
دعوی السفارة فی الغیبة الکبری(۲) المجلد ۲ ----- ۱۰
اشارة ----- ۱۰
دعوی السفارة فی الغیبة الکبری (۲) ----- ۱۰
الفصل الأوّل: العقول والخواطر ... ص: ۲۷۳ ----- ۱۰
عبادة العقل ...: ص: ۲۷۳ ----- ۱۰
مرتبة ومساحة حجیة العقل ...: ص: ۲۷۷ ----- ۱۱
الخواطر ومسؤولیة بناء الذات ...: ص: ۲۸۲ ----- ۱۴
فلسفة استعراض الماضی ...: ص: ۲۸۴ ----- ۱۵
الفصل الثانی: منظومة المعارف الدینیة ... ص: ۲۹۱ ----- ۱۶
اشارة ----- ۱۶
المحور الأوّل: الدین ...: ص: ۲۹۱ ----- ۱۷
اشارة ----- ۱۷
موالاة أهل البیت (علیهم السلام) من الدین ...: ص: ۲۹۵ ----- ۱۸
المحور الثانی: الملّة ...: ص: ۲۹۷ ----- ۱۹
المحور الثالث: الشریعة ...: ص: ۲۹۸ ----- ۱۹
المحور الرابع: المنهاج ...: ص: ۲۹۸ ----- ۲۰
المحور الخامس: الطریقة ...: ص: ۲۹۹ ----- ۲۰
المحور السادس: الحکمة ...: ص: ۲۹۹ ----- ۲۰
اشارة ----- ۲۰
مساحات التشریع ...: ص: ۲۹۹ ----- ۲۰
بعض شبه العلمانیة ...: ص: ۳۰۲ ----- ۲۱
الفصل الثالث: فتنة البصیرة ... ص: ۳۰۷ ----- ۲۲

فتنة البصيرة أشد الفتن ...: ص: ۳۰۷ ---- ۲۲
تفاوت البصائر ...: ص: ۳۰۹ ---- ۲۳
اليهود وفتنة العجل ...: ص: ۳۱۱ ---- ۲۴
الحكمة من فتن البصائر ...: ص: ۳۱۴ ---- ۲۵
النصارى وفتنة قتل عيسى (ع ...): ص: ۳۱۶ ---- ۲۶
الفتنة محک البصيرة ...: ص: ۳۱۹ ---- ۲۷
التوسل بالنبی وآله من الاختبارات فی البصيرة ...: ص: ۳۲۰ ---- ۲۸
تعدد الرؤی والأنظار ينمی البصيرة ...: ص: ۳۲۲ ---- ۲۸
تنوع الآيات امتحان للبصائر ...: ص: ۳۲۳ ---- ۲۹
أصحاب الكساء ركن المهدوية ...: ص: ۳۲۵ ---- ۳۰
طريق تخطی فتن البصائر ...: ص: ۳۲۶ ---- ۳۰
حقيقة التباس الحجج ...: ص: ۳۲۸ ---- ۳۱
اتّباع بقية الأنبياء فی زمن سيد الرسل ضلال ...: ص: ۳۲۸ ---- ۳۱
جميع الأنبياء علی دين الخاتم ...: ص: ۳۲۹ ---- ۳۱
الفصل الرابع: حقيقة ومراتب الحجج ... ص: ۳۳۵ ---- ۳۳
حقيقة معرفة الحجج ...: ص: ۳۳۵ ---- ۳۳
معنی المتشابَه ...: ص: ۳۳۶ ---- ۳۳
الحس يقين وظن ...: ص: ۳۳۷ ---- ۳۴
لا تقاطع ولا إقصاء فی الحجج ...: ص: ۳۳۸ ---- ۳۴
حجية الفقهاء فی دولة الظهور ...: ص: ۳۴۱ ---- ۳۵
امومة بديهيات العقل فی المعرفة ...: ص: ۳۴۵ ---- ۳۷
أنواع الحجج مفتاح البصائر ...: ص: ۳۵۰ ---- ۳۹
مراتب الحجج ...: ص: ۳۵۱ ---- ۳۹
تراتب حجية الأئمّة ...: ص: ۳۶۵ ---- ۴۵

الفصل الخامس: القواعد الرقابیة فی المعرفة ... ص: ۳۷۳ ---- ۴۶
اشارة ---- ۴۶
بدیهیات العقل أولی القواعد ...: ص: ۳۷۳ ---- ۴۷
ضروریات دین الله ثانی القواعد ...: ص: ۳۷۵ ---- ۴۷
سنن الأنبیاء ثالث القواعد ...: ص: ۳۷۷ ---- ۴۸
مواقف الزهراء (ع) رابع القواعد الرقابیة ...: ص: ۳۸۲ ---- ۵۰
منهاج الأئمّة خامس القواعد الرقابیة ...: ص: ۳۸۸ ---- ۵۲
الواقع والاستکشاف فی الحجج ...: ص: ۳۹۱ ---- ۵۴
أهمیة الحورات العلمیة الدینیة ...: ص: ۳۹۳ ---- ۵۴
بین البصیرة والتمرد ...: ص: ۳۹۵ ---- ۵۵
الغلو والتقصیر تعریف آخر ...: ص: ۳۹۶ ---- ۵۵
القواعد الرقابیة وحفظ ثقافة أهل البیت (علیهم السلام ...): ص: ۴۰۱ ---- ۵۸
القواعد الرقابیة والشلمغانی والعبرتائی ...: ص: ۴۰۶ ---- ۵۹
بواعث الانحراف ...: ص: ۴۰۹ ---- ۶۰
الفصل السادس: النیابة الخاصة ... ص: ۴۱۹ ---- ۶۳
أصحاب السر ...: ص: ۴۱۹ ---- ۶۳
التأویل مع الظاهر لا الضروری ...: ص: ۴۲۴ ---- ۶۵
تطابق الشریعة ظاهراً وباطناً ...: ص: ۴۲۴ ---- ۶۵
سقوط الحجیة ...: ص: ۴۲۷ ---- ۶۶
إمکانیة الانحراف والنائب الخاص ...: ص: ۴۲۹ ---- ۶۷
السفیر والنائب قد یفقد حجیته ...: ص: ۴۳۱ ---- ۶۸
دعوة للتوازن ...: ص: ۴۳۴ ---- ۶۹
ضرورة الدراسات العقائدیة ...: ص: ۴۳۵ ---- ۶۹
الدلیل الإثباتی للنیابة الخاصة ...: ص: ۴۳۷ ---- ۷۰

خطورة السفارة ودليلها ...: ص: ۴۳۹ ---- ۷۱
انضباط قنوات الحجية للغيب ...: ص: ۴۴۱ ---- ۷۲
شبهات عنكبوتية واهية ...: ص: ۴۴۵ ---- ۷۳
فی عصر المهديين الاثنی عشر ...: ص: ۴۴۷ ---- ۷۴
الفصل السابع: حقيقة النيابة الخاصة والسفارة ... ص: ۴۵۵ ---- ۷۶
أدلّة انقطاع النيابة الخاصة والسفارة ...: ص: ۴۵۵ ---- ۷۶
ضابطة صارمة علامة لعصر الظهور ...: ص: ۴۵۹ ---- ۷۷
منابع الشريعة ...: ص: ۴۶۲ ---- ۷۹
عدم حجية تلقی غير المعصوم ...: ص: ۴۶۴ ---- ۸۰
افتراق الريب عن الفحص العلمی ...: ص: ۴۶۶ ---- ۸۰
رفع اليد عن أدلّة اليقين مقابل توهمات ...: ص: ۴۶۷ ---- ۸۱
عدم حجية إلهام أو رؤية غير المعصوم ...: ص: ۴۶۸ ---- ۸۱
الارتباط بالغيب نبوة أم إمامة أم للكل ...: ص: ۴۶۹ ---- ۸۲
تفاوت درجات الصدق ...: ص: ۴۷۹ ---- ۸۵
ضعف ومحدودية الإدراک القلبی لغير المعصوم ...: ص: ۴۸۰ ---- ۸۶
كشف المعصوم القرآن والسُنّة ...: ص: ۴۸۱ ---- ۸۶
سبب اختلاف المعصوم فی التلقی مع غيره ...: ص: ۴۸۲ ---- ۸۷
العدالة تغاير العصمة ...: ص: ۴۸۳ ---- ۸۷
العلوم الغريبة المكتسبة ووهم إعجازها ...: ص: ۴۸۵ ---- ۸۸
توصية روايات الظهور بخطورة الدجل ...: ص: ۴۸۶ ---- ۸۸
التشرف برؤية الإمام المهدی (ع) لا يعنی الحجية ...: ص: ۴۸۸ ---- ۸۹
رياضات النفس وفعل الأعاجيب ...: ص: ۴۸۹ ---- ۸۹
حدود النيابة الخاصة والسفارة ...: ص: ۴۹۳ ---- ۹۱
ثبات فقه مدرسة أهل البيت ومصادره ...: ص: ۴۹۳ ---- ۹۱

ضرورة الموازين فى قراءة الدين ...: ص: ۴۹۵ ---- ۹۲
كفر مُدّعى السفارة ...: ص: ۴۹۷ ---- ۹۳
عناوين دعوى السفارة ...: ص: ۵۰۰ ---- ۹۴
حركات ونهضات رايات سنة الظهور ...: ص: ۵۰۳ ---- ۹۵
الخلط بين أحوال الرجعة وما قبل الظهور ...: ص: ۵۰۵ ---- ۹۶
حقيقة السفارة والنيابة الخاصة ...: ص: ۵۰۵ ---- ۹۶
الفصل الثامن: مفهوم الغيبة بين الافراط والتفريط ... ص: ۵۱۳ ---- ۹۷
الافراط والتفريط فى الغيبة ...: ص: ۵۱۳ ---- ۹۸
حقيقة الغيبة والظهور ...: ص: ۵۱۹ ---- ۱۰۰
شواهد التصدى للإمامة الفعلية ...: ص: ۵۲۳ ---- ۱۰۲
الغيبة والتقية وقمّة النشاط ...: ص: ۵۲۸ ---- ۱۰۳
لولا إدارة الإمام لشؤون الحياة على الأرض لساخت ...: ص: ۵۳۰ ---- ۱۰۴
جهاز تدبير الإمام ...: ص: ۵۳۱ ---- ۱۰۵
معنى أعمق للغيبة ...: ص: ۵۳۵ ---- ۱۰۶
الفصل التاسع: التوقيت والظهور ... ص: ۵۴۱ ---- ۱۰۷
كيف ننصر الإمام المهدى (ع ...): ص: ۵۴۱ ---- ۱۰۷
التوقيت والتفاؤل ...: ص: ۵۵۴ ---- ۱۱۳
مصادر التحقيق ... ص: ۵۵۹ ---- ۱۱۴
تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية ---- ۱۱۸

دعوی السفارة فی الغیبة الکبری(۲) المجلد ۲

اشارة

سرشناسه : سند، محمد، - ۱۳۴۰

عنوان و نام پدیدآور : دعوی السفاره فی الغیبه الکبری/ تالیف محمد السند

وضعیت ویراست : [ویراست ؟]

مشخصات نشر : موسسه المحبین للطباعه و النشر، ۱۴۲۵ق. = ۲۰۰۴م. = ۱۳۸۳.

مشخصات ظاهری : ط، ص ۲۱۴

شابک : ۹۶۴-۷۱۰۳-۶۲-X

وضعیت فهرست نویسی : فهرستنویسی قبلی

یادداشت : چاپ قبلی: مکتبه الداوری، ۱۴۱۱ق. = ۱۳۶۹

یادداشت : عربی

یادداشت : چاپ ششم

یادداشت : کتابنامه به‌صورت زیرنویس

موضوع : محمدبن حسن(عج)، امام دوازدهم، ۲۵۵ق. - -- نیابت

موضوع : محمدبن حسن(عج)، امام دوازدهم، ۲۵۵ق. - -- رویت

رده بندی کنگره : BP۲۲۴/۴/س۹د۷ ۱۳۸۳

رده بندی دیویی : ۲۹۷/۴۶۲

شماره کتابشناسی ملی : م۸۳-۳۵۳۲۷

دعوی السفارة فی الغیبة الکبری (۲)

الفصل الأوّل: العقول والخواطر ... ص: ۲۷۳

عبادة العقل ...: ص: ۲۷۳

بسم الله الرحمن الرحیم

الوجود هو الکمال وله مراتب متفاوتة وأعلی مراتبه هی مرتبة الکمال المطلق والوجود اللامتناهی وهو الحق سبحانه وتعالی الغنی المطلق مفیض الوجود لما عداه، فکل ما عداه مخلوق له محتاج إلیه، وإن کل ما عدا الکمال المطلق لا بدَّ أن یکون طالباً للکمال الأعلی والأشد.

وقد رسم الحق تعالی طریق تحصیل الکمال لمخلوقاته، وهو طریق حصری لا بدیل عنه ولا استثناء فیه وهو طاعته تعالی والخضوع والانقیاد له، فکل ما عدا الله تعالی لا بدَّ أن یخضع ویتضعضع ویطیع وینقاد إلیه تعالی، والعقل من مخلوقاته تعالی فهو محتاج إلیه ولا بدَّ أن یکون سالکاً لطریق العبادة والطاعة والانقیاد، ففی الحدیث عن أبی جعفر (ع) قال: «لما خلق الله العقل استنطقه ثمّ قال له: أقبل فأقبل، ثمّ قال له: أدبر فأدبر، ثمّ قال: وعزّتی وجلالی ما خلقت خلقاً هو أحب إلیَّ منک ولا أکملتک إلّا فیمن أحب، أما أنی إیّاک آمر، وإیّاک أنهی، وإیّاک أعاقب، وإیّاک أثیب» («۱»)، لکن ما هی عبادة العقل؟ وما هو سجود وروکوع العقل؟ هل هو هذا الانحناء

الهندسى؟ أم له نوع خضوع خاص؟

لما كان العقل من الموجودات المجردة فليست عبادته كعبادة الموجودات المادية، إذ ليس له حركات كحركات البدن من الانحناءات الهندسية ونحوها، بل عبادة العقل خضوعه.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٢٧٤

وما هو خضوع العقل؟

هو تسليمه للحقائق، وإذعانه لها واستجابته لها وعدم تمرده وعدم طيشه على ما هو الحقيقة، بل يسلم لها أى يخبت لها فهذه عبادة العقل، فإذا سلم وخضع لما هو حقيقة وواقعية حينئذٍ يكون العقل قد عبد الواقعية المطلقة وهو البارى تعالى وهو الحق، فعبادة العقل خضوعه وتسليمه للحق!

لذلك مُدِح المخبتون فى القرآن الكريم حيث قال تعالى: وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنا مَنْسَكاً لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلى ما رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعامِ فَإِلهُكُمْ إِلهٌ واحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ («١») فالاخبات نوع تسليم وإذعان، فعبادة العقل أن يسلم ويعرف الحقيقة والواقعية، وكما أن الإسلام والتسليم يعمُّ شأن البدن وشأن الجوارح والجوانح والقوى وما شابه ذلك، فكذلك التسليم والإسلام والقبول يعمُّ شأن العقل أيضاً.

فإسلام العقل وتسليمه هو إذعانه للحقائق! إذن فللعقل عبادة، وللعقل تسليم، وللعقل سجود وهو منتهى خضوعه، وللعقل ركوع وهو انحناؤه أمام الحقائق وعدم تمرده وعدم طيشه عليها، ومن ذلك يظهر معنى قوله تعالى: وَما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ («٢»)، أى لتعبد أبدانهم ولتعبد قواهم النفسية ولتعبد أرواحهم ولتعبد عقولهم المعبود الواحد، لذا فإنّ التمرد على الحقائق وعدم التسليم لنتائج البراهين يعتبر عصياناً من العقل وعدم طاعة لخالقه، فإنّ الله تعالى اعتبر تسليم العقل لما وصل إليه بالدليل والبرهان هو عبادته وطريق كماله.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٢٧٥

وقد يستبعد البعض هكذا عصيان من العقل ولا يتصور أن العقل يصل لحقيقة ولا يسلم لها، ولكن هذا الاستبعاد ناشئ من الغفلة، فقد ذكر القرآن الكريم ذلك بقوله تعالى: وَجَحَدُوا بِها وَاسْتَيْقَنَتْها أَنْفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ («١») فعلموا بأنه الحق والحقيقة ولكنهم لم يسلموا بها، والأعجب أن فى الأزمنة المتأخرة هناك من أنكر الحقائق بعد الاستدلال عليها، كما عن الرازى فى تفسيره لقوله تعالى: وَيَوْمَ نَبْعَثُ فى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنا بِكَ شَهِيداً عَلى هؤُلاءِ وَنَزَّلْنا عَلَيْكَ الْكِتابَ تِبْياناً لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدىً وَرَحْمَةً وَبُشْرى لِلْمُسْلِمِينَ («٢») بعدما وصل إلى حتمية ولابدّية وجود شخص شهيد وشاهد على أعمال العباد فى كل أمّة وقرن، ومن الواضح أن ذلك اعتراف بعصمة خليفة رسول الله (ص) ولم يكن كذلك إلّا على (ع) فبعد اعترافه بكل ذلك يقول: (نحن نعترف بأنه لا بدَّ من معصوم فى كل زمان إلّا أنّا نقول إن ذلك المعصوم هو مجموع الأمّة وأنتم تقولون ذلك المعصوم واحد منهم) («٣»).

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٢٧٦

وكما عن الطبرى بعد أن ثبت له أن المهدى (ع) أفضل من الأنبياء عدا سيد الرسل وأنه يقودهم، بل بعضهم يصلى خلفه بعد الظهور المبارك، فبعد كل ذلك لم يقبل ولم يسلم بأنه (ع) أفضل من الأوّل والثانى، حيث يقول: (لا تقل: إنه أفضل من الشيخين، بل قل: إن الشيخين ليسا بأفضل منه) («١») وهذا بعد استدلاله للأفضلية بقوله: (إنه خليفة الله وأنهما خليفتا رسول الله) («٢»).

فالعقل قد يعصى خالقه ويترك عبادته وذلك عندما يجحد الحق والحقيقة ولا يسلم لها ولا يخضع بل يتمرد.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٢٧٧

قال الإمام الكاظم (ع) لهشام بن الحكم فى الوصية المعروفة: «يا هشام إن لله على الناس حجتين: حجة ظاهرة وحجة باطنة فأما الظاهرة فالرسل والأنبياء والأئمّة (عليهم السلام) وأما الباطنة فالعقول» («١»).

وقال الصادق (ع) لعبد الله بن سنان: «حجة الله على العباد النبى والحجة فيما بين العباد وبين الله العقل» («٢»).

فإنّ لله على الناس حجتين حجةٌ باطنة أو رسول باطن وهو العقل وحجةٌ أو رسول ظاهر وهو النبى ثمّ تأتى مراتب الحجج الأخرى ولا يمكن لحجة أن ترقى وتعلو إلى مرتبة أعلى من مرتبتها فإنّ مراتب الحجج والدلائل متسلسلة ولا يمكن تخطيها، كما سيأتى بيان ذلك.

فضمن لابدّية معرفة مراتب ومنظومة الحجج هو معرفة مرتبة حجية العقل، ونتيجة عدم الالتفات لتلك المراتب وعدم معرفة حقيقة حجية الحجج وقع البعض فى إفراط وبعض آخر فى تفريط.

فهناك من ارتكب الغلو والافراط فى العقل البشرى وقال بأن العقل يدرك كل شىء كما هو حال العلمانيين أو الغربيين، والحال أنه لو كان يدرك كل شىء لما احتاج للوحى ولما احتاج لتواصل سلسلة الأبحاث العلمية!

فلعدم إدراك العقل لكل شىء وعدم الاحاطة بالحقيقة الوسيعة احتاج الإنسان للسعى والاستمرار والتواصل فى البحث والدراسة ليحصل الادراك شيئاً فشيئاً للحقائق فهى حركةُ ادراكٍ بطيئةٍ كحركة النمل،

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٢٧٨

وهذه المسيرة متواصلة ولا تقف دائماً وأبداً، وهذا يكشف ويدلل على أن البشر لا يستطيعون ولا يصلون إلى الاحاطة بالحقيقة الواسعة، وهو اعترافٌ بأن العقل لا يمكن أن يدرك كل شىء ويكذب على نفسه ويخدعها من ادّعى أنه يدرك كل شىء.

وهناك من فرط بالعقل وأنكر إدراكه أى ذهب إلى أن العقل لا يدرك شيئاً كالحشويين («١») وهناك من الفِرَق الضالة فى الغيبة الصغرى فضلًا عن الغيبة الكبرى قديماً وحديثاً إذ شطبوا العقل فأجازوا ارتكاب المحرمات والفواحش واستباحة الدماء وقتل الأنبياء وغير ذلك.

فإنّ العقل البديهى يحكم بالعدل وهؤلاء لما شطبوا العقل استباحوا كل تلك المحرمات، وكيف نتصور إلغاء حجيته فإنّ العقل هو مبدأ الأمور وأن أسس الدين مستندة ومبتنية على بديهيات العقل فلا يمكن أن نتصور شريعة من شرائع السماء تناهض وتناقض وتخالف بديهة العقل، فإنّه باتفاق كل علماء المسلمين وعلماء الكلام وكل الأديان والملل أن معرفة الله إنما تتم ببديهة العقل.

فلا يعقل أن تكون هناك شريعة من شرائع السماء تلغى ضروريات الكتاب أو ضروريات السُنّة وتستحل القبائح أو تنهى عن المحاسن كيف ذلك والله تعالى يقول: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسانِ وَإِيتاءِ

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٢٧٩

ذِي الْقُرْبى وَيَنْهى عَنِ الْفَحْشاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ («١») والرسول (ص) يقول: «إنما بعثت لاتمم مكارم الأخلاق» («٢») فالعقل يحكم بالعدل والإحسان و...

وعليه فالحق أنه لا إفراط ولا تفريط فلا نقول بأن العقل يدرك كل شىء كما لا ننكر إدراك العقل للأشياء، وهذا ما يظهر من سمو الدين الإسلامى ومدرسة أهل البيت (عليهم السلام) كما ذكر ذلك الإمام الصادق (ع) فى آخر رواية يرويها الكلينى فى كتاب العقل والجهل عن أبى عبد الله (ع) فى حديث طويل ...: « إن أوّل الأمور ومبدأها وقوتها وعمارتها التى لا ينتفع شىء إلّا به، العقل الذى جعله الله زينةً لخلقه ونوراً لهم، فبالعقل عرف العباد خالقهم » («... ٣»).

فلا نغلو فى العقل المحدود الذى لدينا فإنّ له مساحة فى الاعتبار محدودة وهى مساحة البديهيات دون النظريات إلّا أن تستند إلى الأولى بسداد، وإن بديهيات العقل رأس مال خطير، فإنّ مبدأ الأمور هو معرفة الله وهى تحصل بتوسط العقل، قال رسول الله (ص):

«إنما بعثت لاتمم مكارم الأخلاق» أى باعتبار محدودية مساحة العقل المحدود فهو لا يعرف تمام مكارم الأخلاق لذلك تتولّد الحاجة إلى الوحى ليرشد إليها فالعقل يحكم بحسن العدل وبقبح الظلم ولكنه لا يدرك مواقعه بتفاصيلها فمثلًا لا يدرك المفاسد التى فى زواج المحارم فيحتاج للوحى فى بيان ذلك لأنه خارج مساحة حكمه، فيأتى الشارع ويقول بحرمة الزواج بالامّ وبالأخت وبالخالة ... الخ، فهناك مكارم أو مفاسد لا يدركها العقل

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۲۸۰

من نفسه فيأتى دور الوحى ويهدى العقل إليها، فالعقل يدرك أصل الفاحشة والرذيلة لأنها قبيحة، أما دوائرها الوسيعة فلا يدركها إلّا بهداية الوحى.

فللعقل البشرى دائرة إدراك محدودة وهو حجة فيها وهى دائرة البديهيات ولا يمكن إنكار اعتبار حكم العقل فى هذه الدائرة المحدودة.

لاحظ عبارة الإمام الرضا (ع) التى رواها الشيخ الصدوق فى اعتقاداته حيث كان (ع) يقول فى دعائه ...: « اللهم إنى أبرأ إليك من الذين ادعوا لنا ما ليس لنا بحق، اللهم إنى أبرأ إليك من الذين قالوا فينا ما لم نقله فى أنفسنا ... اللهم أنت خالقنا وخالق آبائنا الأوّلين وآبائنا الآخرين، اللهم لا تليق الربوبية إلّا بك ولا تصلح الآلهية إلّا لك، فالعن النصارى الذين صغروا عظمتك والعن المضاهين لقولهم من بريتك، اللهم إنّا عبيدك وأبناء عبيدك لا نملك لأنفسنا ضراً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياةً ولا نشوراً، اللهم من زعم أننا أرباب فنحن إليك منه براء، ومن زعم أن إلينا الخلق وعلينا الرزق فنحن إليك منه براء كبراءة عيسى (ع) من النصارى، اللهم إنّا لم ندعهم إلى ما يزعمون فلا تأخذنا بما يقولون واغفر لنا مما يزعمون» («۱»)، يشير الرضا (ع) إلى أن هناك بديهة عقلية وهى أن الله هو الواحد الأحد الفرد الصمد وحجية هذه البديهة لا يمكن أن تقتلع أو تقصى أو أن تزال، وإنما حجية العقل فى دائرة البديهيات لا فى دائرة النظريات التى لا تستند إلى البديهيات فضلًا عن التى تصادمها فبعض الحجج هى فى صدارة الحجج والقمة، لكن فى أىّ مساحة هى لها الصدارة فى القمة؟ كما يقول الإمام الصادق (ع) فى آخر رواية يرويها الكلينى فى كتاب العقل والجهل عن أبى عبد الله (ع) فى حديث طويل ...: « إن أوّل الأمور ومبدأها وقوتها وعمارتها التى لا ينتفع شىء إلّا به، العقل الذى جعله الله زينةً لخلقه ونوراً لهم، فبالعقل عرف

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۲۸۱

العباد خالقهم » («... ۱») فكيف يتسنى للإنسان ببديهة العقل أن يؤمن بتوحيد الله؟! ثمّ يتابع الإمام الصادق (ع) لكن العاقل علم بأن عقله محدود ولا يهديه إلى كل مراضى الله ولا يجنبه عن كل ما يسخط الله فمن ثَمَّ اضطر وأذعن بضرورة إرسال الله للرسل كى يهدونه، لأن مساحة ومنطقة حجية عقل الإنسان محدودة، كما يستفاد ذلك من بعض الروايات، ففى حديث طويل للإمام الصادق (ع) حيث بين فيه أن بالعقل مبدأ الأمور وقوتها وعمارتها وبه عرف الله وهكذا عرفت صفاته الكمالية وبه عرفت جميع الكمالات قيل له: فهل يكتفى العباد بالعقل دون غيره؟ قال: «ان العاقل لدلالة عقله الذى جعله الله قوامه وزينته وهدايته علم ان الله هو الحق وأنه هو ربه وعلم أن لخالقه محبة وأن له كراهية وأن له طاعة وأن له معصية فلم يجد عقله يدله على ذلك، وعلم أنه لا يوصل إليه إلّا بالعلم والأدب وأنه لا ينتفع بعقله إن لم يصب بعلمه فوجب على العاقل طلب العلم والأدب الذى لا قوام له إلّا به» («۲») فهذه ملحمة معرفية عظيمة يثيرها الإمام الصادق (ع) وهى أن بديهة العقل مبدأ الأمور أى فى مساحة البديهيات وهى منطقة محدودة، وتعديها إلى دائرة النظريات دون وحى السماء فيه إضلال.

، دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۲۸۲

فحجية العقل فى البديهيات مبدأ يتقدم على الإيمان بالله وعلى المعرفة بالله.

والفرق الضالة والمنحرفة لما أقصت ولم تعتبر بديهيات العقل ولم تقم لها وزناً وقعت فى الزيغ والشطط والضلال وانتشار الأباطيل...

وما ذلك إلّا لأنهم ضيّعوا هذا الركن الركين وهو منطقة بديهيات العقل، فإنّ الدين لا يقصى ولا يلغى العقل بتاتاً، أى حجيته فى منطقةٍ ودائرة محدودة وهى البديهات.

أما فى دائرة النظريات فادراكه ليس قوياً فيحتاج إلى الوحى وهداية السماء ولا يمكن ادعاء أنه يدرك كل الحقائق والأشياء، فالعقل هو الحجة الباطنة التى يستند عليها لمعرفة مبدأ الأمور وهو الله ثمّ يتمم ذلك بالحجة الظاهرة وهى الرسل والأنبياء فهذه مساحة حكم وادراك العقل ومرتبة حجيته ثمّ تأتى مراتب الحجج الأخرى.

الخواطر ومسؤولية بناء الذات ...: ص: ٢٨٢

عندما وصل إلى مسامع الإمام الصادق (ع) أن جماعة يؤلهونه كان على الدوام يخرّ لله باكياً شاكياً متبرماً متبرئاً من هذه الفرق المنحرفة الخارجة عن الجادة والصراط المستقيم وفى كل حالاته يخضع لله (عزوجل) باكياً بكاءً شديداً، فيخاطبه أصحابه: يا أبا عبد الله يا جعفر بن محمّد إن هذه مقولة أولئك وما عليك أنت منها، فيقول (ع) كما روى عن مصادف قال: لما أتى القوم الذين أتوا بالكوفة دخلت على أبى عبد الله (ع) (فأخبرته) بذلك فخر ساجداً وألزق جؤجؤه أى أعلى صدره وبكى وأقبل يلوذ باصبعه ويقول: «بل عبدٌ لله قن داخر (صاغر)» مراراً

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٢٨٣

كثيرة، ثمّ رفع رأسه ودموعه تسيل على لحيته فندمت على إخبارى إيّاه فقلت: جعلت فداك وما عليك أنت من ذا؟ فقال: «يا مصادف إن عيسى لو سكت عما قالت النصارى فيه لكان حقاً على الله أن يصم سمعه ويعمى بصره، ولو سكتُّ عما قال فىَّ أبو الخطاب لكان حقاً على الله أن يصم سمعى ويعمى بصرى» («١»).

فعلى الإنسان تجاه الفكرة والخاطرة مسؤولية، وهذا مثال لامتحانات الأنبياء والأولياء مع كونهم معصومين، ولكن المقصود بيان مسؤولية الخاطرة والفكرة.

كما يؤيد ذلك الفقرة الأخيرة فى رواية الرضا (ع) المتقدمة «اللهم إنا لم ندعهم إلى ما يزعمون فلا تأخذنا بما يقولون واغفر لنا مما يزعمون» إذ فيها إشارة واضحة للمسائلة والحساب على الخاطرة.

والاعتراض بأن الحساب والمسائلة إنما على العمل دون مجرد النيّة فضلًا عن الخاطرة، ومجرد الفكرة لا حساب عليها. قال تعالى: ما يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ («٢»).

جوابه: أنه قد ذكر علماء الأصول فى بحث التجرى أن التجرى القلبى قبيح ومذموم عقلًا والإنسان محاسب عليه وإن كان البارى تعالى يعفو عن نية السوء ما لم تخرج إلى صعيد العمل فضلًا عمّا لو أصبحت الفكرة عقيدة إذ تتحول إلى عمل جوانحى.

العمل من جوارح البدن ولا عقاب على مجرد فكرة وخاطرة، أما

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٢٨٤

إذا كان العمل نفس الاعتقاد والاعتقاد ليس عملًا جوارحياً، فالحساب والعقاب حينئذٍ على نفس ذلك الاعتقاد أى على الفكرة.

فالمسألة إن كانت اعتقادية فهى ميدان ومجال العمل والتطبيق فيها نفس الخاطرة ونفس الفكرة وفى هذا بحثٌ، فهل المراد بها الميول أم الانجذاب أم التشبث؟

فالإعتقاد والخاطرة عملٌ جوانحى وقلبى وبالتالى فهو نوعٌ من الاعتقاد والإيمان قال تعالى: الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ («١») فأفعال القلب يحاسب عليها الإنسان إذا كانت المسألة اعتقاديةً.

نعم إن كانت المسألة من الأمور الجوارحية التى يأتى بها البدن فالخاطرة مع ذلك يتعلّق بها الذم وكذا استحقاق العقوبة إذا كانت هناك نية معصية، كما يقرّر ذلك أكثر الأصوليين من باب التجرى.

وفعل عيسى (ع) أو الإمام الصادق (ع) من الشكاية والتبرم والبكاء له تفسير على وفق القواعد الفقهية أيضاً لأن أحد مراتب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر هو الموقف القلبى والفكرى، فحتّى الفكرة نحن مسؤولون عن الموقف تجاهها.

فلسفة استعراض الماضى ...: ص: ٢٨۴

ومن هنا نعلم وجه ذكر الأحداث الماضية للأمم السابقة، فالقرآن كأنما يستدرجنا لامتحان موقفنا تجاه تلك الأحداث كقتل قابيل هابيل وغيرها، فالذى يعنينا هو أن نحدد موقفاً ندين قابيل فى قتله لهابيل أى

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٢٨٥

نتضامن مع هابيل وندين قابيل فمع أن الموقف قلبى إلّا أن سعته أوسع من المقطع الزمانى الذى نعيشهُ، فوجود الإنسان ذو درجات وطبقات (روح وعقل وقلب) وجود الإنسان لا يحبس ولا يسجن فى بيئة البدن الزمانية، بل له بيئة وسيعة تستشرف الماضى والمستقبل بتوسط المعرفة والادراك، لذلك يطالبنا القرآن الكريم دوماً بموقف حتّى تجاه الأفكار والخواطر، فهو (هذا الموقف) داخل فى قضية الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر القلبى، الذى لا يسقط لأنه لا يمكن أن يخضع لإرهاب أو إرعاب أو ضغط ونحوه، فهو واجب فكرى قلبى روحى لا يسقط بحال ويُمتحن به الإنسان ويفتتن به.

وبعبارة أخرى نحن مسؤولون عن الموقف القلبى والميولات والأفكار، هل نتضامن فيها مع قابيل فيما فعلهُ أم مع هابيل، هل نتضامن ونؤيد جانب الحق أم جانب الباطل؟!

فتلك القصص يذكرها القرآن من ظلامات المظلومين لنكتة وهى أنّا مطالبون بموقف ولو قلبى نحاسب ونسأل عنه.

فهذه الأحداث وإن كانت فى غابر الأزمان إلّا أنها تنخر فى جسد الأمّة وفى عقل البشرية وتعمل فى تكوين هويتها لأنّ البشرية تعيش كأنما فى بيئة واحدة وفى سطح واحد وإن تقاسمتها الأزمان والأجيال لكنها بيئة واحدة مجتمعة فى الهوية الإنسانية فى مرتبة العقل وفى مرتبة الروح فكأن البيئة واحدة وكأن الزمان واحد وكأن المقطع واحد.

إذن القرآن الكريم يخاطب قوة الفكر وامتحان الفكر والعقل كما يحدّثنا عن أصحاب الأخدود وغيرهم من ظلامات المظلومين فى سلسلة التاريخ.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٢٨۶

فالقرآن الكريم يربى المسلمين فى كل سورة وكل آية يقرءونها من خلال اتخاذ موقف تجاه الأحداث الماضية وحتّى اتجاه الأحداث اللاحقة بل حتّى فيما وراء الدنيا لأن الذى يصنع هوية الإنسان ومركز التحكم فيه هو العقل، وموقف العقل يستشرف الأزمان فلا تحده الفترات الزمانية ولا البقع الجغرافية ولا عالم من العوالم، فالعقل يستشرف عوالم عظيمة.

فبالعقل تكون الهوية والبطاقة الشخصية للشخص وللأمم وللشعوب وللملل، فصياغة الهوية مرهونة بصياغة العقل والمعرفة والبصيرة، فتلك الأمّة هل هى أمّة فاتكة أم مسالمة، وظالمة أم عادلة ... ذلك مرهون بمعرفة تلك الأمم وصياغة البصيرة عند أفرادها.

وهذا ليس بمنهج قرآنى فحسب بل موجود فى ثقافة الشعوب والمجتمعات وإنما يشير إليه القرآن.

فمثلًا فى الآونة الأخيرة برزت بين اليابان والصين أزمة علاقة شديدة شعباً ودولة بناءً على موقف رئيس الوزراء اليابانى من زيارة قبور قيادات الجيش اليابانى الذين قاموا بمذبحة ومجزرة فى الحرب العالمية الأولى تجاه الشعب الصينى حيث إن الزيارة تعتبر تضامناً وتأييداً.

فبناءً على هذا الموقف من تلك القضية تتحدد طبيعة العلاقات بين الدولتين والشعبين مع أنها قضية تاريخية ماضية فى غابر التاريخ وأنهم يرون بأن الموقف اليابانى تجاه تلك القضية التاريخية يحدد الوضع الحالى بين الشعبين، هل هو عدوانى أم لا؟ وهل هذه الدولة والشعب دولة عدل وإنصاف أم لا؟

فالتاريخ يصنع ويكوّن عقلية ونفسية الأمّة البشرية وهذا هو الذى يركز عليه القرآن.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۲۸۷

من هنا نفهم كيف أن قول الإمام الحسين (ع): «كونوا أحراراً فى دنياكم» («۱») هى صرخة ونداء لكل الأجيال.

فالـذين يتسائلون: لماذا أنتم تحيون ذاكرة التاريخ فى عاشوراء؟ فنجيبه: إنّا لسـنا ممن يدعو إلى ذلك من أنفسـنا بل هى دعوة القرآن لنا.

إذ القرآن يـدعونا إلى اسـتعراض كل سلسـلة المظلومين والتضامن معهم والتنديـد والادانـة للظالمين وعبر تلك الأحداث التى يدعونا القرآن لـذكرها كواقعـة كربلاء، فنحن لا ـ زلنـا نُمتحَن بواقعـة كربلاء من خلال إبراز موقف منهـا، لأنّ القرآن الكريم والفقه يطالب بتحديد موقف قلبى وفكرى من معسكرات الحق والباطل وهو كله امتحان فإحياؤنا لعاشوراء ليس إلّا لدعوة القرآن الكريم لذلك.

وفى السُـنّة كذلك، قال رسول الله (ص): «المرء يحشـر مع من أحب حتّى لو أحب أحدكم حجراً حشـر معه» («۲»)، عن عطية سمعت حبيبى رسول الله (ص) يقول: «من أحب قوماً حشر معهم، ومن أحب عمل قوم اشرك فى عملهم » («... ۳») الخبر، وهلم جراً.

وهذا ما سيأتى بيانه من كونه أحد معانى الامتحان والافتتان

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۲۸۸

الفكرى والقلبى فنحن دوماً فى امتحان مع تلك الهواجس العقليـة والنفسـية ولا يظن أنه قد شط بنا التاريخ عن الأمم السابقة بل لا زلنا نعيش معهم فى بيئـة وجوديـة واحـدة، كـل مـا أصـيبت به الأمم السابقـة من امتحانات وتجاذبات وصـراعات يكلفنا الـدين الإسـلامى بموقف منها بضرورة الفقه وقاعدة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ولو كان قلبياً.

فنحن فى امتحان مسـتمر من هذا الجانب وهو منهج قرآنى تربوى حيث يكرس القرآن الكريم ويربينا على ندبة ونصرة المظلوم ورثاءه والتنفر من الظالم، ويعتمد القرآن الكريم فى هذه التربية على عقل وفكر الإنسان لأن صنع الإنسان وتربيته ومركز التحكم فيه هو عقله ودركه ومعرفته.

وبتوسط هـذه المعرفـة يستشـرف الإنسان الـدنيا من أوّل وجودها إلى يوم القيامة، بل يستشـرف العوالم الأخرى لا الدنيا فقط، وبذلك تترقى مسؤولية الإنسان، ويربينا القرآن الكريم على الانجذاب إلى الجنّة والخوف من النار، فمطالبة القرآن لنا بالانجذاب للجنّة والنعيم والخشـية من النار ونقمـة الله وسـطوته هى فى حين كونها تربيةً قرآنية فهى طريقة معرفية إيمانية، فإنّ الإيمان عمل يتقوّم بالمعرفة وهو من أعظم أعمال المخلوق.

ثمّ إن عصـارة الامتحانـات وتكريسـها من أوّل الـدنيا إلى يومنا هـذا تقع فى كيفيـة الثبات بشـكل مسـتقيم وسديـد فى الاعتقاد بالإمام المهدى (ع) ومنظومة هذا الاعتقاد وما يلابسها من إثارات وشبهات والتباسات وتعويمات ونحوها.

***

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۲۹۱

الفصل الثانى: منظومة المعارف الدينية ... ص: ۲۹۱

اشارة

إذا كانت لـدينا مجموعـة حجج فلا بـدَّ من تنظيمها بحيث لا تتقاطع مع أن لكل مرتبة منها حق التشـريع والاتّباع فكيف تنظم وما هى مساحة حجية كل منها؟!

لو لاحظنا جملـة من الآيات والروايات يتضـح لـدينا أن فى منظومـة التشـريع والمعرفـة الدينية سـتة محاور هى: الدين والملة والشـريعة

والمنهاج والطريقة والحكمة، ونحتاج لتصوير وبيان مبسط لكل واحد من هذه المحاور الستة:

المحور الأوّل: الدين ...: ص: ٢٩١

اشارة

الدين هو ضرورات وفرائض الله تعالى، أى أصول الأركان وضروريات فرائض الله تعالى، فدائرة الدين هى العقائد وأركان الفروع امّهات وأصول الواجبات وأصول امّهات المحرّمات، وهذه الدائرة موحدة بين جميع الأنبياء والرسل إذ بُعِثَ جميع الأنبياء بدين واحد، كما فى قوله تعالى: شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ ما وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِى أَوْحَيْنا إِلَيْكَ وَما وَصَّيْنا بِهِ إِبْراهِيمَ وَمُوسى وَعِيسى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ ما تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِى إِلَيْهِ مَنْ يَشاءُ وَيَهْدِى إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ («١»)، وهذا الدين هو الدين الإسلامى كما قال تعالى: إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإِسْلامُ («٢») فكل الأنبياء كانوا على دين الإسلام، قال تعالى: يا أَيُّهَا الَّذِينَ

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٢٩٢

آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ («١») فكل الأنبياء والرسل جاءوا بتوحيد الله ونبوة سيد الرسل ووصاية سيد الأوصياء والمعاد، ومن ثَمَّ الكل مأمورون باتّباع دين الله، قال تعالى: أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِى السَّماواتِ وَالأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ («٢») أى التسليم لله بالتوحيد والعدل والنبوة والإمامة والمعاد.

وهذا الدين يتجاوز محيط النشأة الأرضية ودار الدنيا فيرتبط بعوالم أوسع سرمدية إلهية كعالم ما قبل الدنيا وعالم البرزخ وعالم الآخرة، فالدين ثابت لا يتغير ولا يُنسخ إنما النسخ فى الشرائع كما سيتبين هذا فى الدين الصحيح بغض النظر عن تحريف بعض أتباع الأنبياء لذلك الدين كما حُرّفَ عند اليهود إلى اليهودية وعند النصارى إلى النصرانية، ... فقد يُنسب النسخ مسامحة للدين بعد تحريفه كاليهودية والنصرانية، وإلّا فإنّ تغيير بعض الأحكام فى الدين من الفرائض والضروريات كانكار نبوة سيد الرسل، ومن أركان الفروع كانكار بعض الواجبات وغيرها، فإنّ هذا لا يعد نسخاً وإنما تحريفاً للدين، فإنّ أصول الأركان وضرورات فرائض الله دائرة موحدة بين جميع الأنبياء والرسل وليس من صلاحيات أى نبى أو رسول أن يتخطى هذه الدائرة فضلًا عن غيرهم فهى دائرة ليست قابلة للنسخ فلا يتصور نسخ التوحيد ولا نسخ المعاد ولا نسخ لنبوة سيد الرسل محمّد (ص) ولا نسخ لوصاية سيد الأوصياء على بن أبى طالب (ع) ووصاية الأئمّة من بعده (عليهم السلام)، فإنّ رسالة سيد الرسل ووصاية سيد الأوصياء عقيدة فى دين الله وليست مختصة بشريعة محمّد (ص).

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٢٩٣

فإنّ ولاية أمير المؤمنين (ع) والأئمّة الطاهرين عقيدة فى الدين قد بشّر بها جميع الرسل السابقين، لذا قال تعالى فى يوم غدير خم: الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِيناً («١») فهو يوم إكمال الدين وليس إكمال الشريعة لأنّ ولاية على (ع) من العقيدة وليست من تفاصيل فروع الدين الجزئية، فولاية أمير المؤمنين لما كانت عقيدة والعقيدة من الدين والدين واحد وقد بُعِثَ كل الأنبياء به لذا فإنّ جميع الأنبياء بُعثوا بولاية على (ع)، فهذه دقائق لطيفة فى الآيات يجب أن نلتفت إليها.

ولذا كان جميع الأنبياء يبلغون بنبوة محمّد (ص) ووصاية على (ع) والأئمّة (عليهم السلام)، بل يبشرون بدولة الحق والعدل للمهدى (ع) قبل تبليغ شرائعهم لأنها من الدين والدين واحد وهو لله، فالأنبياء يبلّغون دين الله تعالى ثمّ يبلغون شرائعهم، من هنا يتضح لنا لماذا كان جميع الأنبياء يتقربون لله تعالى بطاعة ومحبة ومودة محمّد وآله، ولِمَ كانوا يبكون على مصاب الحسين (ع) قبل واقعة الطف، فما ذلك منهم إلّا لأنّ محبة ومودة أهل البيت (عليهم السلام) من الدين وهو الإسلام، وأن جميع الخلق لا بدَّ أن يدينوا لله تعالى بهذا الدين الواحد بما فيه من العقائد والأركان والتى منها محبة ومودة محمّد وآله (عليهم السلام) وأن عقيدة الإمام المهدى (ع) من الدين

وليست من الشريعة تبعاً لولاية أمير المؤمنين، فإنّ جميع الأنبياء السابقين (عليهم السلام) كانوا يعتقدون به، بل وإن تبليغهم وإرشادهم الناس كان تمهيداً لدولته المنشودة.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٢٩٤

ومن ضعاف العقول أو ممن يدجل فى الدين من يحاول عبثاً أن يجعل عقيدة الإمام المهدى (ع) عند الناس عقيدة وليدة الأزمنة المتأخرة، وأنه بعد أن عانت بعض المجتمعات من الظلم والطغيان فكانوا يؤملون ويمنون أنفسهم بوجود مخلص ومنقذ، حيث يقول بعض ضعاف النفوس: إن عقيدة الإمام المهدى (ع) استحدثتها حركات التحرر التى تعبىء وتنهض الساحة الجماهيرية من خلال هذه الأفكار.

ولكن الصحيح أنه لا يمكن الاتيان بعقيدة أو فكرة فى الدين لم تكن مقبولة سلفاً عند المجتمعات ذات الاتجاه الدينى، فالحركات الثورية حتّى لو أرادت تعبئة الجماهير من خلال الدين فلا بدَّ أن تستخدم مسلمات موجودة سلفاً فى الثقافة الإسلاميّة، وحينئذٍ نقول: إن الأمر بالعكس، فإنّ اعتماد الحركات الثورية التحررية على عقيدة الإمام المهدى لاستنهاض الجماهير يكشف عن رسوخ هذه الفكرة فى عقيدة الناس وتدل على أن هذه عقيدة مسلمة ومتلقاة من الأنبياء وخصوصاً سيد الرسل (ص) وأن استخدامها فى أدبيات حركات التحرر إنما كان اعتماداً على هذه المفروغية وإلّا لما آمن بذلك أحد منهم.

وقد يتوهم البعض أن عقيدة الإمام المهدى (ع) ضمن عقائد مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) دون بقية المدارس الدينية بناءاً على وجود خلاف فى هذه المسألة ولكن الصحيح أن كل المدارس الدينية وخصوصاً الإسلاميّة تعتقد بالإمام المهدى، نعم هناك خلاف فى بعض الجزئيات والمشخصات له (ع) كاسمه الشريف أو اسم أبيه ونحو ذلك، فالكل يعتقد بأن المهدى يظهر فى آخر الزمان وهو من ولد الرسول (ص) بل ومن ولد على وفاطمة (ع) وأنه يملأ الأرض عدلًا وقسطاً بعدما مُلِئت ظلماً وجوراً، كما هو الحال فى حديث خلفاء

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٢٩٥

الرسول الاثنى عشر وأن كلهم من قريش الواردة عن العامة، قال رسول الله (ص): «هذا الأمر لا ينقضى حتّى يمضى فيهم إثنا عشر خليفة»، قال: ثمّ تكلم بكلام خفى على، قال: فقلت لأبى: ما قال؟ قال: «كلهم من قريش» («١»).

وهذا بيان نظرى لدفع مثل هذه الشبهة من هذا الجانب وإلّا فإنّه قد ثبت من طريق الشرع وبالروايات المتواترة عند كل من الفريقين أن مسألة الإمام المهدى (ع) مسألة عقدية أى من الدين ومما لا بدَّ أن تثبت بأدلّة قطعية لا بالظن والاحتمالات.

موالاة أهل البيت (عليهم السلام) من الدين ...: ص: ٢٩٥

فى القرآن الكريم والسُنّة النبوية منهجة تربوية لبيان أن مودة ومحبة والاعتقاد بأفضلية أهل البيت (عليهم السلام) من الدين وليس من تفاصيل فروع الشريعة قال تعالى: فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيها بِالْغُدُوِّ وَالْآصالِ («٢»)، رِجالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ («٣»).

يذكر السيوطى وهو من أهل السُنّة فى كتاب الدر المنثور، أخرج ابن مردويه عن أنس بن مالك وبريدة قال: قرأ رسول الله (ص) هذه الآية: فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ فقام إليه رجل فقال: أى بيوت هذه يا رسول الله؟ قال: «بيوت الأنبياء»، فقام إليه أبو بكر فقال: يا رسول الله هذا البيت منها لبيت على وفاطمة قال: «نعم من أفاضلها» («٤»).

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٢٩٦

فالنبى (ص) لم يقل: (نعم منها) بل قال: «من أفاضلها»، والملفت للانتباه أن علياً وفاطمة لم يتوهم متوهم أنهما من الأنبياء، فما الذى دعا أبا بكر أن يسأل هذا السؤال؟ وما العلقة بين بيت على وفاطمة وبين بيت الأنبياء؟

وما ذلك إلّا كاشف ودال على أن القرآن الكريم والرسول (ص) لهم تربية خاصة للمجتمع الإسلامى ولوسط المسلمين بأن أهل البيت (عليهم السلام) حجج معصومون، فبالتالى هناك مناسبة أنه إذا قيل شىء فى الأنبياء قيل شىء أيضاً فى الأوصياء.

فهذا الحديث دال على المرتكز فى عقلية المسلمين أن علياً وفاطمة حجج، بل لهم أفضلية على الأنبياء طبعاً إلّا سيد الرسل (ص)، والملفت للانتباه أن هذه الرواية ليست من طرقنا بل من طرق العامة، وعلى ضوء مفادها لا بدَّ أن يلتزموا بأفضلية أهل البيت (عليهم السلام) وإلّا فماذا يعنى أن بيت على وفاطمة من أفضل بيوت الأنبياء؟

وعليه فإنّ بيوت أهل البيت (عليهم السلام) بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه، فهى ليست مساجد فقط، بل من المشاعر التى شعرها الله تعالى فإنّ مراقدهم (عليهم السلام) من المشاعر بروايات أهل السُنّة فضلًا عن رواياتنا، والمشاعر أعظم من المساجد، إذ المسجد ربما تنتهى وقفيته أو يزال لسبب ما كضرورة إقامة شارع ونحوه، فإنّ الضرورات تقدر بقدرها، أما المشعر فلا فإنّه كالمزدلفة ومنى وغيرها من مناسك الحج.

يقول الشيخ كاشف الغطاء؛: (هذه بيوت شعَّرها الله فهى أعظم من المساجد) («١») فهذه المراقد الشريفة يجب أن تعمر وتعظم بنص كل

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٢٩٧

المسلمين، وكذا أفضليتهم على الأنبياء بنصّ الرواية عند المسلمين وهذه من الدين.

المحور الثانى: الملّة ...: ص: ٢٩٧

الملّة باختصار هى الأعراف الحسنة التى يجذرها الأنبياء، فمن ملّة إبراهيم (ع) التوحيد الحنيف لذا لا نتصور نسخ الملّة فى جملة من مواردها لأنّ الملّة تتضمن أعرافاً حسنة مسلمة عند كل الأنبياء فلا تقبل النسخ فى تلك الموارد، فالنبى إبراهيم (ع) بنى أعرافاً تبقى حتّى لو فرضنا نسخ ما جاء به من شريعة، كما أن النبى محمّد (ص) بنى أعرافاً لم يكن النبى إبراهيم (ع) قد بناها، وعليه فللنبى محمّد (ص) ملّة أيضاً، ولكنها ليست ملّة أخرى غير ملّة إبراهيم (ع) بل هى مكملة ومتممة لها، حيث يقول سيد الرسل (ص): «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» («١»)، فإنّ المجتمع آنذاك كان لديه الكثير من الأعراف الحسنة التى ورثها عن إبراهيم (ع)، ثمّ جاء نبى الرحمة ليجذرها ويكملها ويتممها فيكون هو النبى الخاتم بحق حيث أكمل كل المحاور الستة فى منظومة علاقة المخلوق بالخالق.

فعندما يقال: إن النبى محمّداً (ص) على ملّة إبراهيم أى ليست ملته مخالفة لملّة إبراهيم لأنها ملّة واحدة جاء ببعضها إبراهيم (ع) ثمّ تممها سيد الرسل (ص)، وإلّا فإن إبراهيم (ع) تابع لدين محمّد (ص).

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٢٩٨

المحور الثالث: الشريعة ...: ص: ٢٩٨

الشريعة هى عبارة عن تفاصيل أحكام الأصول كتفاصيل أحكام الصلاة وتفاصيل أحكام الصوم و ... وهذا المعنى مناسب جدّاً لأصل معنى اللفظة لغة.

قال تعالى: لِكُلٍّ جَعَلْنا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهاجاً وَلَوْ شاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً واحِدَةً وَلكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي ما آتاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْراتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُمْ بِما كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ («١») فكل نبى له شريعة تخصه يبين فيها ما يناسب قومه من تفاصيل أحكام الدين وينسخ ما لا يناسبهم من تفاصيل الأحكام التى بيّنها من سبقه من الأنبياء، فتسمى تلك التفاصيل شريعة وتنسب لذلك النبى وتسمى باسمه فيقال شريعة موسى وشريعة عيسى وشريعة محمّد (ص).

فإذن حجية الرسول محدودة فى الشرائع وليست فى فرائض الدين، فليس للنبى أن يبدل فرائض وضرورات دين الله، وإنما يثبتها أوّلًا

ثمّ يغير فى تفاصيل الأحكام بما يناسب قومه، أى ينسخ الشريعة السابقة ويأتى بشريعة جديدة، وهذا من صلاحيات وشأن الأنبياء (عليهم السلام).

المحور الرابع: المنهاج ...: ص: ٢٩٨

المنهاج هو ما يخطه الأوصياء تبعاً لشرائع الأنبياء وقد مرَّ قوله تعالى: لِكُلٍّ جَعَلْنا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهاجاً («٢»)، لذلك نقول فى دعاء التوجه: «وجهت وجهى للذى فطر السماوات والأرض حنيفاً مسلماً على ملّة

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٢٩٩

إبراهيم ودين محمّد (ص) وهدى على وفى بعض النقول ومنهاج على» («١»).

المحور الخامس: الطريقة ...: ص: ٢٩٩

الطريقة هى الاستقامة على تلك المحاور الأربعة قال تعالى: وَأَنْ لَوِ اسْتَقامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْناهُمْ ماءً غَدَقاً («٢»)، فالدين لله والشريعة للأنبياء والمنهاج للأوصياء والأئمّة.

المحور السادس: الحكمة ...: ص: ٢٩٩

اشارة

وهى حسن التدبير فى تطبيق كليات الفرائض والشرائع على الموارد الجزئية كما فى قوله تعالى: ذلِكَ مِمَّا أَوْحى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ («٣»)، وقوله تعالى: يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتابَ وَالْحِكْمَةَ («٤»).

مساحات التشريع ...: ص: ٢٩٩

ليس من صلاحيات الأنبياء نسخ الأديان أو تغييرها، بل إن الدين واحد مطلقاً، ولهم نسخ الشرائع السابقة والاتيان بشريعة جديدة، وليس من صلاحيات الأوصياء نسخ الشرائع، نعم لهم بيانها ومنهجتها.

، دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٣٠٠

ومن باب التشبيه والتمثيل لتقريب المعنى وبيان علاقة المساحات التشريعية فى الدين والشريعة والمنهاج نذكر هذا المثال، وهو علاقة وارتباط التشريعات الدستورية ثمّ النيابية ثمّ الوزارية ثمّ البلدية حسب ما هو موجود فى القوانين الوضعية، فهذه المراتب التشريعية الأربع فى القانون الحديث لا يحصل فيها تجاوز ونسخ من الدانى للعالى، فالتشريع النيابى فى ضمن هيمنة التشريع الدستورى والتشريع الوزارى فى ضمن هيمنة التشريع النيابى والتشريع البلدى فى ضمن هيمنة التشريع الوزارى، فالتشريع النيابى امتداد وانحدار وتنزل للتشريع الدستورى، والتشريع الوزارى امتداد وانحدار للتشريع النيابى وهكذا، فطبيعة علم القانون وعلم الأحكام طبيعة توالدية تنزلية انحدارية تشعبية أى تتشعب كلما انحدرت وتنزلت فهى عبارة عن معادلات ودوائر تتوالد منها دوائر ومعادلات أخرى.

فالدين هو فرائض الله، يأتى بعده سنن الأنبياء وشرائعهم، وهى ليست بديلة ولا رافعة ولا ناسخة لتشريعات فرائض الله بل هى امتداد وانحدار وتوالد وتنزيل لفرائض الله لمرتبة أقرب للمصاديق، ثمّ تأتى مناهج الأوصياء ويعبر عنها سنن وطرائق الأئمّة وهى أيضاً تشريعات تأتى بالمرتبة الثالثة بعد تشريعات الله والأنبياء.

فتشريعات الأنبياء محكومة ومحدودة وفى ظل هيمنة التشريعات الإلهية، وتشريعات الأئمّة محدودة وفى ظل هيمنة التشريعات الإلهية

وتشريعات الأنبياء وسننهم.

ومن هنا نفهم لِمَ ينسب دين الإسلام وهو دين الله للنبى محمّد (ص) لأن الرسول الأعظم (ص) أكمل كل تلك المحاور الستة، فأثبت

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۳۰۱

كل ضرورات وفرائض الله وأكمل تجذير جميع الأعراف الحسنة أى أكمل الملّة هذا فضلًا عن إكمال شريعته كما أن أوصياءه (عليهم السلام) أكملوا المنهاج والطريقة.

فلما كانت أمّة سيد الرسل (ص) خاتمة الأمم فشريعته بمقتضى ذلك لا بدَّ أن تكون خاتمة الشرائع ولا بدَّ أن تكون تفاصيل الأحكام المبينة من قبله (ص) تناسب هذه الأمّة التى وصل فيها العقل البشرى والكمال الإنسانى إلى أعلى مراتبه من حيث الاستعداد والقابلية، فلا بدَّ أن تعطى هذه الأمّة أحكاماً تامة كاملة موصلة لغاية الكمال الفعلى من خلال القرب الإلهى بما تبين من أحكام فى الشريعة الخاتمة، وبناءً على ذلك فإنّ المنهاج والطريقة لأوصياء سيد الرسل (عليهم السلام) لا بدَّ أن تتناسب مع تلك الشريعة الكاملة فتكون مناهجهم أكمل وأرقى وأعلى المناهج، من هنا نفهم لِمَ ورد على لسان سيد الرسل (ص): «علماء أمّتى خير أو أفضل من أنبياء بنى إسرائيل» («۱») لأن علماء أمّة محمّد (ص) اتبعوا أكمل الأحكام فى الدين وفى الشريعة الخاتمة وأتوا وطبقوا أكمل المناهج وهو منهاج أهل البيت (عليهم السلام)، لذا حصلوا على الكمال والقرب الإلهى ما لم يحصل عليه غيرهم فى بقية الأمم من الأنبياء فضلًا عن غيرهم حيث صار سير أمّة محمّد (ص) وعملهم فى المحاور الستة الدين، الملّة، الشريعة، المنهاج، الطريقة، الحكمة على أكمل وجه وأعلى مرتبة لأنه

(ص) أكملها وتممها.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۳۰۲

بعض شبه العلمانية ...: ص: ۳۰۲

قد يتوهم البعض أن هذه الفرائض فى الدين والسنن إنما شرعت لتناسب زمان وظرف خاص وليس هذا زمانها فلا يصح للمسلمين الاهتمام بتلك الفرائض والسنن، نعم لا بأس بالحفاظ عليها كموروث دينى لا لأجل العمل بها، وبالتالى نحتاج لتشريعات جديدة تناسب هذا الزمان وهذا الظرف.

وهذه فى الحقيقة هى بعض شبهات العلمانيين، وقد تسربت لمدعى المهدوية، بل مع الأسف هناك من الأقلام الرخيصة فى الوسط العلمى من يشيع هكذا شبهات، ولكنها ترتفع بالتأمل والالتفات لحقيقة الحجج فإنّ دين الله تعالى من فرائض وسنن شرعها الله تعالى بمقتضى علمه بما يصلح البشر ولما كان علمه تعالى أبدياً سرمدياً وليس علماً مؤقتاً، فإنّ ما يشرعه لا بدَّ أن يكون فيه صلاح وإصلاح البشر فى جميع الظروف والأزمان والأحوال، فإنّه تعالى خالق البشر وهو اللطيف الخبير العليم الذى لا يعزب عنه شىء إلّا ويعلم بما يصلح البشر عبر كل الأجيال إلى يوم القيامة، فإنّ علمه لا محدود، فكيف تكون شريعته وفرائضه محدودة، فمن يحد ويحصر فرائض الله فى ظرف محدود ليس ذلك منه إلّا لقصور عقله عن إدراك حقيقة حجية الله تعالى، وإما لجحده ومكابرته وتبنيه لمثل تلك الأفكار البائدة والأراجيف، وإلّا كيف يكون البشر وهم خلق الله يستطيعون فى سعيهم فى العلوم التجريبية اكتشاف أشياء تناسب وتنفع البشر لا يعلمها خالقهم، قال تعالى: أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِى السَّماواتِ وَالأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ («۱»).

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۳۰۳

فما ذلك إلّا هلوسات وإيهامات يحاولون الاستهزاء بها على العقول القاصرة إذ كيف نتصور خالق الكون والدنيا والآخرة والجنّة والنار و ... لا يعلم ويشرع تشريعات وقتية؟!

فإنّ فرائض الله وسننه مبنية على عدم مخالفة البديهية العقلية، وقد حرم الله تعالى الزنا واللواط والسحاق والربا والسرقة والقتل وسفك

الدماء والاعتداء...

وأوجب الصلاة والصوم وصلة الرحم والاحسان والرأفة والمحبة و...

وهذه كلها يحكم العقل بثباتها وعدم تغيرها، فهى تناسب طبيعة الإنسان على مدى أجياله المتعاقبة، وفيها إصلاح الفرد والمجتمع الإنسانى وتنظيم حياته، نعم هناك فى الإنسان جوانب متغيرة كما أن فيه جوانب ثابتة، وهذه الأحكام والتشريعات كانت بمقتضى الجوانب الثابتة، فإنّ الإنسان على مدى أجياله المتعاقبة لا يختلف من جهة حاجته للأكل والنكاح والروابط والعلاقات الاجتماعية و... وما شرعه الله تعالى مناسب لهذا الجانب.

أما العلمانيون فيتشبثون بأمور متغيرة، ويدعون الحاجة لنسخ تلك الأحكام من خلال بحوثهم فى العلمانية الحديثة أو الحداثويات من الفلسفات الغربية فيحاولون القفز والتمرد على ثوابت الشريعة المقررة لثوابت الطبيعة الإنسانية والبيئية المحيطة، سواء أكان ذلك بواسطة الفرق الضالة أم نشر أفكار علمانية أم فكر حداثوى مستورد و...

وقد تأثر بهذه الشبهات البعض وصار يدعو لتحديث الشريعة ونسخ ما جاء به الأنبياء، وغفل أو تغافل أن تلك التخرصات من العلمانيين لأجل نشر ثقافتهم فحسب ونشر الفساد والاباحية و ... وإلّا

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٣٠٤

كيف يعقل أن تفشى انتشار الزنا واللواط والسحاق فيه حياة المجتمع ورقى الفرد الإنسانى بحسب دعواهم بالنسبة للمجتمعات الحديثة مع أن الله تعالى حكم وكذا العقل بأن هذه الأمور من الفساد والاباحية فيها هلاك المجتمعات، إذ الاباحية تفتك بالمجتمعات وتفقدها تنظيمها، سواء أكانت فى الماضى أم الحاضر أم المستقبل، ولكنهم لم يعرفوا الله ولم يعرفوا الرسول، فإنّهم لو عرفوا الله وصفاته من القدرة والعظمة والعلم والسناء و ... لما وقعوا فى هذه التوهمات قال تعالى: ما لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقاراً* وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْواراً («١») فإنّه تعالى يعلم بخلقه وأجيالهم وأطوارهم وقد شرع كل ما فيه الصلاح والخير والبناء.

ولكنهم قصرت معرفتهم بالله فقصرت معرفتهم بتشريعاته، فظنوا أن عقولهم كاملة ويستطيعون نسخ شريعة الله والاتيان بشريعة جديدة، فاستباحوا المحرمات وتركوا الواجبات، وانخدع معهم بذلك السذج والبسطاء فوقعوا فى الفتنة والضلال، وما ذلك إلّا لعدم انضباط منظومة الحجج وعدم الوعى فى البصيرة والمعرفة فبوغتوا وغُدِرَ بعقولهم ومعرفتهم.

***

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٣٠٧

الفصل الثالث: فتنة البصيرة ... ص: ٣٠٧

فتنة البصيرة أشد الفتن ...: ص: ٣٠٧

الامتحان الإلهى للعباد عموماً وللإنس والجن خصوصاً هو حكمة إلهية بالغة ليتكاملوا به فى خطى لقاء الله (عزوجل)، والتبحبح فى رحاب جناته.

وهذا الامتحان لا ريب أنه على أشكال وأنواع وألوان، إذ يختلف شدةً وضعفاً بحسب موازين وضوابط معينة ومحدودة.

وربما يخالجنا أن الامتحان والافتتان الذى ينتاب البشر فى جانب الشهوات والغرائز والنزوات وبقية صفات النفس ونزعاتها أمر عصيب شديد.

ولكن المشاهد فى لسان القرآن الكريم ومنطقه الحكيم أن الفتنة والامتحان فى البصيرة هى من أشد الامتحانات وأشد الفتن، فربما تكون النزوات شديدة، والغرائز ملحة، والقوى التى يزود بها الإنسان تأخذه يميناً وشمالًا وتتجاذبه بشدة، حتّى البيئات المختلفة

المحيطة بالإنسان تتجاذبه يميناً وشمالًا، ومن الشهوات والنزوات ما ربما فيها عاصفة جارفة للإنسان، ولكنها حسب بيان ومفاد الآيات القرآنية الكثيرة هى فى كفة أو فى جانب والفتنة والامتحان فى البصيرة، وفى معرفة الإنسان لطريق الهداية فى جانب وكفةٍ أخرى.

وبعبارة أخرى أنه فى جملة من الآيات الكريمة أن الامتحان فى البصيرة، وفى المعرفة من أعظم وأشد الامتحانات ومن أثمنها وأثمرها، حتّى أن البشر بل المعصومين من الأنبياء والرسل يتفاضلون فى نفاذ

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۳۰۸

البصيرة وإن كان المعصومون من الأنبياء والأوصياء لا- كلام فى عصمتهم وسدادهم، إلّا أنهم يتفاضلون فى درجات السداد وفى درجات الحكمة، قال تعالى: تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنا بَعْضَ هُمْ عَلى بَعْضٍ («۱») فإذا كان المعصومون خاضعين لقانون الامتحان والاختبار والافتتان وأنهم يتفاضلون بذلك فكيف بغير المعصومين، فهم خاضعون لذلك بلا- ريب، وإن كانت درجات الافتتان والاختبار متفاوتة وليست على وتيرة واحدة!

فالامتحان فى البصيرة وفى المعرفة أمر بالغ الأهمية، بالغ الصعوبة تفتتن به الأمم ويفتتن به الأفراد، ويأخذ ألواناً وأشكالًا عديدة وكثيرة.

ومن ثَمَّ أن البنية المعرفية أو البنية فى البصيرة هى دعامة الإيمان والفلاح والنجاح وحسن العاقبة، ولأجل هذا تكرر فى القرآن الكريم قوله تعالى: قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ («۲»)، لأنه بلحاظ نفس حكمة ومركزية الامتحان فى المعرفة وفى البصيرة يرفع الله الذين آمنوا والذين أوتوا العلم بهذا اللحاظ قال تعالى: يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجاتٍ وَاللَّهُ بِما تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ («۳»)، حيث يحدّثنا القرآن الكريم أيضاً أن المخاطب فى الرعيل الأوّل فى القرآن الكريم هم ذوو الألباب قال تعالى: يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً وَما يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبابِ («۴») أو الذين يعقلون، قال تعالى: إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ («۵»)، فالمخاطب فى القرآن الكريم هم أولوا الألباب أو

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۳۰۹

الذين يعقلون أو الذين يعلمون أو الذين آمنوا وغيرها من التعابير فى آيات عديدة تشير إلى نفس المركز ونفس النقطة والناحية وهى أن المسار فى المعرفة مسار خطير كما ورد («۱») فى تفسير قوله تعالى: وَما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ («۲»)، أى ليعرفوا حكمة الخلقة، فالمعرفة قمتها العالية وسنامها الرفيع، يعنى الامتحان فى الحكمة وفى المعرفة.

وما ذكره أهل البيت (عليهم السلام) دللوا عليه بالبرهان فقوله: لِيَعْبُدُونِ، بمعنى ليعرفون؛ لأن العبادة ليست شأن البدن فقط، فالعبادة أيضاً تخص وتتأتّى من الروح وتخص وتتأدّى من النفس وتخص وتصدر من كل قوى الإنسان بما فيها العقل كما تقدم فى الفصل الأوّل، فبيان أهل البيت (عليهم السلام) هو على مفاد برهانى بديهى واضح.

وبعبارة أخرى أن الامتحان فى المعرفة، والفتنة فى المعرفة والبصيرة هو من أعظم مراحل الامتحان الإلهى.

إذ يحدّثنا القرآن الكريم عن ملاحم خطيرة فى الأمم أشدها فى افتتان الأمم وانحرافها أو استقامتها هى فى البصائر والتبصر، أى فى الفتنة المعرفية.

تفاوت البصائر ...: ص: ۳۰۹

مما لا شكّ فيه أن عقول الناس وبصائرهم وإدراكاتهم مختلفة وليست على مستوى واحد، وبالتالى إدراك الحجج أيضاً يختلف تبعاً لذلك.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۳۱۰

فمثلًا فى واقعة الطف كل من الحر الرياحى وحبيب بن مظاهر الأسدى أدرك حجية الحسين (ع) وأنه على حق، ولكن الحر لم يدرك ذلك إلّا بعد كلام الحسين (ع) وإلقاء الحجج عليهم وما ذكره من بيان، فى حين أن حبيباً رضوان الله عليه أدرك ذلك لمجرد أنه

الحسين (ع).

لـذا فبعض البصائر تحصل لها يقظـة وإبصار ولو من حجـج نازلة بل ويحصل لها تمييز الحجج العالية من المتوسـطة والنازلة فضـلًا عن التمييز للمزيف من الحجـج، فى حين أن هناك بصائر لا يحصل لها إدراك والتفات إلّا مع الحجـج القويـة، وليست لها قـدرة إدراك الحجج المتوسطة أو النازلة بل قد تنخدع بالمزيف منها.

لذا نجد من أوصاف أبى الفضل العبّاس (ع) أنه نافذ البصيرة («۱») كما وصف بعض أصحاب الحسين (ع) بأنهم ذووا بصائر.

لـذا فإنّ اختلاف الفتن وشـدتها تختلف باختلاف البصائر، فإنّ الله لا يكلف إلّا بمقدار قال تعالى: لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَها («۲»)، من هنـا لا بـدَّ أن يكون الـدعاء لله تعالى بأن يفتـح بصائرنا وأن يمكننا من تخطى ما نبتلى به من فتن، فقـد ورد أن رجلًا قال عنـد أمير المؤمنين (ع): أعوذ بالله من الفتن، فقال له الإمام (ع): «لا تقل ذلك، الفتنـة لا بـدَّ منها، الله خلق الإنسان ليختبره ويفتتنه ويمتحنه»، قال الرجل: إذن ما أقول يا أمير

المؤمنين؟ قال: «قل: أعوذ بالله من مضلات الفتن، فاستعن بالله واستجر

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۳۱۱

بالله» («۱») أى اللهم نور بصـيرتى لئلّا أضل فى الفتن، وإلّا نفس الفتن لا بـدَّ منها، نعم يكون الـدعاء لتنوير البصـيرة أو أن تكون الفتن بحسب بصائرنا.

اليهود وفتنة العجل ...: ص: ۳۱۱

من امتحانات وفتن البصـيرة التى ذكرها القرآن الكريم قصـة قوم موسـى (ع) قال تعالى: وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسى مِنْ بَعْـدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَداً لَهُ خُوارٌ أَ لَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لا يُكَلِّمُهُمْ وَلا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكانُوا ظالِمِينَ* وَلَمَّا سُـقِطَ فِى أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَـلُّوا قالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنا رَبُّنا وَيَغْفِرْ لَنا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخاسِرِينَ («۲»)، فإنّ السامرى كان من حوارى النبى موسى (ع) وليس من سقطة الناس أو عاديى البشـر، بل كانت له مكانـة وجاه، وكان ذا مهارات وذا فنون وكان صائغاً من الصاغـة الماهرين والمتمرسـين، ومن شدة درايـة السامرى أنه عندما سأله النبى موسى (ع) ماذا صنعت حتّى فتنت القوم؟

قال قبضت قبضةً من أثر الرسول، قال تعالى: قالَ بَصُرْتُ بِما لَمْ

يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُها وَكَذلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى («۳»)

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۳۱۲

أخذت تربة من أثر الرسول فنبذتها فى جسد العجل الذى صنعته وكذلك سولت لى نفسى.

ولكن السؤال فى المقام: ما هى قصة أثر الرسول؟ وما المراد بالرسول؟

المراد بـالرسول هو جبرئيـل (ع) إذ لما أراد جبرئيل (ع) أن ينجى بنى إسـرائيل من بطش فرعون وسار بهم فى البحر يبساً كان جبرئيل (ع) على فرس من الملكـوت كمـا فى الروايـات («۱»)، وطبيعـة عـالم الملكوت عنـدما يماسـس عالم المادة أنه يفرز لها ينبوع الحياة، ويشـير القرآن الكريم لـذلك فى قوله تعالى: وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوانُ («۲») يعنى أن عنفوان الحيـاة هناك فى الآخرة وليس هنا فى الدنيا، وهذا شبيه ضعف الطاقة وقصر الطاقة، ونحوه وشبيه الممات، فالناس نيام إذا ماتوا انتبهوا («۳»).

فالسامرى شاهد أن ذلك الفرس الملكوتى كلما يماسس أرضاً

فإنّ التربـة تنبع منها الزراعـة والأشـجار أى الحياة فى نفس الآن، أى فى نفس زمان المماسة، كما تحدّثنا روايات ظهور الإمام المهدى (ع) أن

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۳۱۳

الرقى البشرى والازدهار فى عهد دولته (ع) يصل إلى هذا الحد يعنى أنه تتفجر الحياة بينبوع وعنفوان («١»).

وهذا بيان قرآنى لتكوينية التوسل والتبرك، وأنه أمر له حقيقة وله واقعية، حيث يستفاد ذلك من نفس الآية الكريمة فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ يعنى التراب الذى وطأه فرس جبرائيل له هذا الأثر، فتراب فرس جبرائيل وليس جبرائيل وليس فرس جبرائيل بل تراب فرس جبرائيل، فكيف بتراب سيد الرسل، أو كيف بتراب بضعة الرسول، أو تراب أخى الرسول على بن أبى طالب، أو تراب سبط الرسول، وهذا بحث آخر يأتى الحديث عنه لاحقاً إن شاء الله تعالى.

فأخذ السامرى هذا التراب وعرف أن فيه كبريتاً وإكسير الحياة، ومن ثَمَّ نبذه فى العجل الذى صاغه كجسد مجسم، فأصبح لذلك الجسد

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٣١٤

خوار أى (صوت) كأنما بعثت فيه شبه الحياة، فافتتن به بنوا إسرائيل، قال تعالى: فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَداً لَهُ خُوارٌ فَقالُوا هذا إِلهُكُمْ وَإِلهُ مُوسى فَنَسِيَ («١»).

ثمّ فى كلام النبى موسى (ع) مع الله تعالى قال: ربى الفتنة بدأت من السامرى لكن من أحدث الصوت فى العجل إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِها مَنْ تَشاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشاءُ («٢»)، فإنّ الله تعالى أراد بذلك الامتحان والافتتان لبنى إسرائيل ليضل به من يشاء ويهدى من يشاء.

فأين وقعت هذه الفتنة؟ وقعت فى البصيرة والمعرفة، فرؤيتهم الجسد ينطق وله صوت ليست فتنة فى شهوة، وليست فى غرائز، وليست فى نزوات، بل هذه الفتنة فتنة فى المعرفة وفتنة فى البصيرة، وهى أعظم فتنة مرت على بنى إسرائيل كما يحدّثنا بها القرآن الكريم. فما هى الحكمة من ذلك؟

الحكمة من فتن البصائر ...: ص: ٣١٤

مما لا شكّ ولا ريب فيه أن الله تعالى ميّز الإنسان عن بقية المخلوقات بنطقه العقلى أى بعقله الذى هو أعظم شىء فى وجود الإنسان، قال تعالى: الرَّحْمنُ* عَلَّمَ الْقُرْآنَ* خَلَقَ الإِنْسانَ* عَلَّمَهُ

الْبَيانَ («٣»)، فإنّ استبيان المعلومات والادراك من أعظم الميزات التى أتحف الله (عزوجل) بها الإنسان عن بقية المخلوقات ومن ثَمَّ تكون أعظم

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٣١٥

الامتحانات هى من نصيب العقل الإنسانى وهو امتحان المعرفة وامتحان البصيرة فهذه ميزة مهمة.

فما يسطره لنا القرآن الكريم من تشابه الدلائل وتشابه البينات من محكم ومتشابه كى يُصْحِح بصيرة الإنسان، فالقرآن الكريم نور البصيرة فى الإنسان فيجب على الإنسان أن يتبع نور البصيرة.

وبعبارة أخرى يجب أن يُفَعِّل الإنسان قوة عقله وقوة دركه وقوة تمييزه ويكون فى يقظةٍ تامة دوماً دؤوباً وبشكل مستمر كى لا تجذبه الفتن يميناً ويساراً ويقع فى الزيغ والضلال.

فالعقل أعظم تحفة أنالها الله (عزوجل) الإنسان، فلا يمكن أن تظل معطلة راكدة، بل يجب أن تكون دوماً مُفَعَّلة كبرج مراقبةٍ.

ولذلك فالامتحانات كثيرةٌ لهذه القوة، وهى قوة العقل فى الإنسان وبأشكال وألوان وتلوينات وصور قد لا يكون الإنسان عهدها من قبل.

وإنما يتمّ النجاح فى الامتحان والافتتان مثمراً وناجحاً إذا كان الإنسان دوماً فى حالة إعداد لنفسه، قال تعالى: وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ («١»).

وحتّى الشعوب تفتتن وتضلل وتُعَوم، وذلك من خلال الهجوم الثقافى أى التضليل الثقافى والغسيل الثقافى، يعنى أن الشعوب تستقوى أو تستضعف من خلال الثقافة والمعرفة.

والمنهج القرآنى والإسلامى ومدرسة أهل البيت مفعمة بمحورية البيان والبرهان والدلائل والتعقل فهى حكمة مهمة، وهذا ما لم يُعهد

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٣١٦

عند بنى إسرائيل ومع ذلك امتحنهم الله به، ألم يخاطبهم الله (عزوجل): أَفَلا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلا نَفْعاً («١») أن هذا لا يرجع لكم قولًا أى جواباً، وإن سمعتم منه صوتاً ولكن بقية كمالات الالوهية غير موجودة فيه. كيف إذاً استجبتم مع أنه نوع من الطلسم الملكوتى ونوع من المسحة الخلابة ونوع من التشويش فى الادراك.

ولذا انتابت بنى إسرائيل الفتنة، مع أن الله (عزوجل) أعطى كل بنى البشر قدرة تمييز، فلماذا لم يميّزوا؟ فهو امتحان فى أصعب وأحلك بحوث الادراك.

النصارى وفتنة قتل عيسى (ع ...): ص: ٣١٦

مثال آخر يذكره لنا القرآن الكريم امتحن الله به النصارى وبنى إسرائيل وهى قضية قتل النبى عيسى (ع)، قال تعالى: وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَما قَتَلُوهُ وَما صَلَبُوهُ وَلكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ ما لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّباعَ الظَّنِّ وَما قَتَلُوهُ يَقِيناً («٢»).

فى كلمات المفسّرين كالفخر الرازى صاحب التفسير الكبير والآلوسى وغيرهما، وحتّى مفسرى مدرسة أهل البيت عندما يصلون إلى هذه الآية التى فيها ملاحم معرفية خطيرة جدّاً فإنّهم يتسائلون ماذا يريد

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٣١٧

أن يسطر لنا القرآن؟، هل يريد أن يقول: إن الحس ليس بحجة؟! حيث أن النصارى أو بنى إسرائيل بتوسط إدراك الحس والبصر رأوا شبيه النبى عيسى (ع) باعتبار أن الله (عزوجل) جعل شبه النبى عيسى على أحد أنصاره كما فى رواية أهل البيت («١»)، أو على عدوه يهوذا كما فى روايات المدارس الإسلاميّة الأخرى («٢»)، أيّاً ما كان فإنّ البارى تعالى شبه النبى عيسى (ع) على شخصٍ آخر، فَقُتِل ذلك الشخص الآخر أمام مرأى وعين اليهود والنصارى.

واليهود هم الذين قاموا بتدبير هذه المؤامرة. قال تعالى: فَقَدْ سَأَلُوا مُوسى أَكْبَرَ مِنْ ذلِكَ فَقالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ * ... وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَما قَتَلُوهُ وَما صَلَبُوهُ وَلكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ («٣»).

القرآن يقول بأن الاعتقاد بقتل النبى عيسى وعدم الاعتقاد بحياة النبى عيسى هذا كفرٌ وضلالٌ.

هذا الامتحان فى العقيدة الذى امتحن الله (عزوجل) به النصارى واليهود مع أنهم استندوا إلى الحس والحس من البديهيات، كما أن الأجيال المتأخرة لليهود والنصارى أيضاً يعتقدون بقتل النبى عيسى (ع) وصلبه بحسب ما نقل إليهم بالتواتر، فكيف القرآن يفند التواتر مع أن مستند التواتر هو الحس؟

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٣١٨

والمفسرون تبلبلوا هنا تبلبلًا وحارت أفهامهم وأبحاثهم فى هذه الآية، ماذا يريد أن يسجل ويسطر لنا القرآن الكريم فيها؟ يعنى أن المفسرين الإسلاميين فى حالة حيص وبيص فى تبيان مفاد هذه الآية، إذ كيف القرآن الكريم يذم ويندد استناد بنى إسرائيل والنصارى إلى الحس؟ فلم يعطوا جواباً شافياً عن هذه الأبحاث، وكأنما الآية لا زالت من ضمن الطلسمات فى نظام المعرفة أو نظام البصيرة أو نظام المنهج المنطقى الذى يريد أن يسطره وينظمه القرآن الكريم بحيث يدين انحرافاً رئيسياً أساسياً عند النصارى واليهود وكأنه مبتنى على نوع من الغموض، وحاشا لله أن يغمض الحجة البالغة.

ولكن المقصود أن هذا الامتحان يحتاج إلى نوع من البصيرة ويحتاج إلى نوع من نفاذ المعرفة ونافذية الادراك، وهذا الجواب موجود فى ذيل هذه الآية بحسب روايات أهل البيت (عليهم السلام) ولو راجع المفسرون من الفريقين النكات المعرفية فى روايات أهل البيت فى التفسير لرأوا أن الأجوبة موجودة.

فرواية أهل البيت تشير إلى أن الموازنة فى الامتحان المعرفى الذى هو من أعظم الامتحانات التى امتحن بها اليهود والنصارى فى هذه الواقعة هى أن النبى عيسى (ع) قد أتى بالمعجزات والبينات وأخبر اليهود والنصارى أنه باقٍ حى إلى دولة الإمام الثانى عشر (ع) وسوف يكون وزيراً من وزرائه ويصلى خلفه. فهو أنبأهم بتوسط إعجاز الوحى والمعجزات التى ظهرت على يديه، وهم تركوا تلك المعاجز واستمسكوا بالحس، والحس لا ينهض ولا يناهض المعجزة.

فالقرآن يفند الحس إذا كان ينكر ما ثبت بالمعجزة، فتلك الأمم

باتّباعها الحس كبنى إسرائيل وعبادة العجل أو النصارى وشبهة قتل وصلب عيسى (ع) وغيرها استندت إلى يقين محدود دانى فيه سفل وتركهم لما فيه علو، وهذا افتتان وامتحان ويا له من امتحان وافتتان

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۳۱۹

صعب غامض دقيق. مع أن لله الحجة البالغة دائماً وحججه بيّنة أبين من الشمس ولكن الإنسان عندما تعتوره الكدورات نتيجة الأعمال والأفكار المنحرفة يقع فى اللبس والغموض.

ولا يقال: إن هذا الامتحان باعتباره أعمق من الحس يكون خروجاً عن طاقة البشر، وذلك: لأن الله (عزوجل) زوّد الإنسان بقوة العقل وهى قوة جبارة يقدر بمقتضاها تمييز الأبتلاءات الإلهية من مثل هذه الامتحانات الكبيرة.

الفتنة محك البصيرة ...: ص: ۳۱۹

يقول منبع البراهين والبينات والدلائل على بن أبى طالب (ع) عن ما جرى فى حرب الجمل وصفين والنهروان فى إحدى خطبه (ع): «أما بعد أيها الناس فأنا فقأت عين الفتنة ولم تكن ليجرأ عليها أحد غيرى بعد أن ماج غيهبها واشتد كلبها فاسألونى قبل أن تفقدونى» («۱»)، لنفهم ماذا يريد أن يقول (ع).

ولو تأملنا جيّداً لعلمنا أنه يقول: إن حرب الجمل أو حرب صفين أو حرب النهروان فتحت فتوحات فى بصائر ووعى الأمّة الإسلاميّة وأسست فتوحاً بيّنةً فى وعى الأمّة الإسلاميّة وما كان لغير أمير المؤمنين ليجترئ على فتح تلك الأبواب العظيمة فى البصيرة ووعى الأمّة.

ففى حرب الجمل مثلًا كان الطرف الآخر ربما يتوهم أنه يتمتع ببعض الأوصاف القرآنية التى يُحسب أنها تعطيه صلاحيات كبيرة والتى من خلالها يريد أن يوسع أو يؤسس صلاحيات له فى مشروع الدين

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۳۲۰

الإسلامى على طول التاريخ، فمَنْ الذى أيقظ فى الأمّة ذلك الوعى وقال: إن تلك الأوسمة القرآنية ليس لها مؤدى إعطاء الصلاحية لذلك الطرف أبداً؟ وكذلك مواجهة من يرفع شعاراً حقاً لكنه يؤسس لبناء باطل كالخوارج، أو مقاتلة من يتمترس بالانتماء إلى الإسلام لكنه يبغى على ولى الحق كما فى صفين. ومن كان يستطيع أن يُوجِدَ ويبنى فى وعى الأمّة مثل هذه البصائر لولا على (ع)، ولولا ما قام به فى حرب الجمل، أو حرب صفين أو حرب النهروان، من كشف الاغتشاش والالتباس، والايهام، واللبس، والتشابه الواقع فى وعى البشر نتيجة التباس ما ليس بحجة مع ما هو حجة، أى إلتباس ما ربما له درجة من درجات الحجية مع ما له درجة حجية كبيرة.

وكذا الخوارج الجدد التكفيريون تركوا محكمات القرآن ومحكمات السُنّة وضروريات الإسلام وتشبثوا بدلائل ظنية واهية وجعلوها

محوراً للدين فأقصوا ما هو محور وتشبثوا بما هو متشابه وبما لا تقوم له قائمة إذ الفرع والرافد لا يمكن أن يكون نهراً كبيراً ولا يمكن أن يكون منبعاً للنهر الكبير وإنما يبقى رافداً وفرعاً.

التوسل بالنبى وآله من الاختبارات فى البصيرة ...: ص: ٣٢٠

القرآن الكريم يأمرنا بأن نتوسل بالنبى وأهل بيته (عليهم السلام) قال تعالى: وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جاؤُكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ

تَوَّاباً رَحِيماً («١») لنرى ماذا تقول الآية هل تقول استغفروا أم تشترط شرطاً، نعم هناك شرط جاؤُكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ فجاءوك باللغة

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٣٢١

الدارجة تعنى: (دخيلك يا رسول الله) أى القرآن يقول التجىء، لذ، استعذ بالنبى (ص) وَما كانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ («١») فالرسول وأهل بيته (عليهم السلام) معاذ، ولواذ، وأمان بصريح الآية، وهذه فريضة عظيمة من فرائض الدين، ومع ذلك فإنّ الخوارج الجدد يحرمونه ويجحدونه ويكفرون به ويكفرون من عمل به، يقول الله تعالى فى وصف المنافقين: وَإِذا قِيلَ لَهُمْ تَعالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ («٢») فنرى الدعوة تَعالَوْا إلى أين؟ ليلوذوا وليلتجئوا، بمن؟ يقول الله تعالى: يستغفر لكم الرسول.

ولكنهم لووا رؤوسهم ويعرضون ويصدون وهم مستكبرون. فهذه آيات بيّنة على فريضة ومشروعية التوسل، بل الآيات تدلل على ركنية التوسل، ولكن الجاحدين يتشبثون بالمتشابه ضالين مضلين، وقد وصف الخوارج بأنهم كلاب أهل النار لأنهم بلا هداية ولا نور وعدم رؤية منظومة الحجج وعدم ارتسامها عندهم بالشكل الصحيح، فالتوجه والالتجاء للرسول (ص) ولأهل البيت (عليهم السلام) من الامتحانات والاختبارات المهمّة فى البصيرة يمتحن الله بها الأمّة على مدى الأزمان والدهور.

وفاروق هذه الأمّة قسيم الجنّة والنار (ع) فرّق بين الحق والباطل فبيّن الحق للأمّة، فإنّ واقعة صفين والنهروان رسمت فى وعى الأمّة أن المسلمين أرادوا أن يفككوا فى التمسك بالقرآن الصامت ويتركوا القرآن الناطق، ولكن

فاروق الأمّة فتح فتحاً مبيناً وبنى وأسّس ولله الحمد فى وعى الأمّة أن القرآن الكريم ذو مراتب وحجج مترتبة، والتفكيك فى التمسك بالقرآن الصامت وترك القرآن الناطق ليس إلّا ضلالًا.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٣٢٢

فصرف كون الشىء دليلًا لا يكون مبرراً لاتّباعه منعزلًا عن بقية الأدلّة إلّا أن يكون ضمن كتلة ومجموعة دلائل ومراتب تحفظ حقيقة الدليل، فاتّباع البعض دون البعض ضلال وانحراف وغواية، واتّباع المجموع ضمن المراتب هداية.

يقول صاحب الجواهر: لو أراد فقيه أن يتبع ظواهر العمومات بلا- أن يرتب الأدلّة كمجموعة واحدة لكانت تلك العمومات تضره وتضله، وهل يفكك أحدٌ من المسلمين فى اتّباع بعض الكتاب وترك الآخر بعد أن ندد القرآن بالتجزئة والتفكيك، قال تعالى: الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ («١») أى لم يجعلوا القرآن كمجموعة وكتلة واحدة.

فلم ينسقوا ولم يناسقوا ولم ينسبوا، ولم يناسبوا، مجموعات الأدلّة بعضها مع البعض الآخر لتكون ككيان هرمى منظومى يشرف فيها الحجة والدليل الأقوى على الحجة والدليل الأضعف، قال تعالى: أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ («٢»)، فالإيمان بالبعض دون البعض الآخر ضلال عن الحقيقة.

فلو أراد فقيه أن يحكّم البعض دون البعض من قواعد الدين وسار على النظرة التجزئية كما ابتليت بذلك هذه الأمّة والأمم السابقة لتهدمت أركان الدين، واختل التوازن والتعادل واضطربت القواعد.

تعدد الرؤى والأنظار ينمى البصيرة ...: ص: ٣٢٢

ومن ذلك الظاهرة الواقعة فى المسار العلمى لدى أتباع مذهب أهل البيت (عليهم السلام) بل حتّى المذاهب الإسلاميّة الأخرى وهو ما يعرف

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۳۲۳

بالنزعة الإخبارية والنزعة الأصولية ونحن لسنا هنا بصدد تصويب طرف دون طرف إلّا أن هاتين الظاهرتين خلقت حالة توازن فى النظرة العلمية، فأصحاب المسلك الإخبارى كانت لديهم تحفظات وكذا المسلك الأصولى فخلق هذا نوعاً من النضج فى الرؤية المتكاملة وإن استهلكت جهوداً وطاقات بل ربما فتن اجتماعية، وكذا أصحاب النظرة الفلسفية والكلامية والعرفانية والصوفية فى قبال نظرة الفقهاء والمفسرين وما نجم عن ذلك من مطارحات ومصارعات فكرية شديدة، فقرون مرت كانت هذه التجاذبات مؤثرة فى الفكر والرؤية ولكنها خلقت نظرة متوازنة محيطة ومجموعية وسطية، وولدت رؤى متكاملة لمجموع دلائل الدين كما ورد عن أبى جعفر (ع) قال: قال رسول الله (ص): «إن الدين متين فأغلوا (فأوغلوا) فيه برفق ولا تكرهوا عبادة الله إلى عباد الله، فتكونوا كالراكب المنبت الذى لا سفراً انقطع ولا ظهراً أبقى» («۱») فالدين بحر غير متناهى والايغال فيه بسرعة وبحدة ودون نظرة متوازنة متكاملة فيه خطورة وإضلال للبصيرة، كما أن الايغال فيه برفق مع وجود تلك الفتن والامتحانات يقوى وينضج البصائر.

فالمعادلة المهمّة جدّاً هى الاستفادة من الفتن والامتحانات والاختبارات الإلهية لزيادة الوعى والبصيرة وإعمال القواعد العقلية وتحكيمها ووضع الأمور فى مواضعها، لئلّا نقع فى الضلال والزيغ.

تنوع الآيات امتحان للبصائر ...: ص: ۳۲۳

لننظر تعبير القرآن الكريم فى سورة آل عمران: هُوَ الَّذِى أَنْزَلَ

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۳۲۴

عَلَيْكَ الْكِتابَ مِنْهُ آياتٌ مُحْكَماتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتابِ وَأُخَرُ مُتَشابِهاتٌ («۱») فإنّه يصنف الآيات القرآنية إلى آيات لها امومة ومحورية ومركزية وأخرى متشابهات ليس لها امومة، فالذين فى قلوبهم زيغ يتبعون ما تشابه منه، فذمهم القرآن لاتّباعهم هذا، وهذا من بديع حكمة القرآن أن يذم اتّباع الآيات التى أنزلها الله وحياً على نبيه لتكون قرآناً خالداً إلى يوم القيامة، ولكن ذلك لا لمطلق الاتّباع بل لاتّباع الآيات المتشابهة حيث جعلت لها الريادة والقيادة والامومة والمركزية، فإنّ جعل ذلك لها فيه إضلال، فإذا كان القرآن يذم اتّباع تلك الآيات فماذا نتبع؟

نتبع آياتٌ مُحْكَماتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتابِ امّ الكتاب أى امومة ومحورية الآيات المحكمات، وإلّا فاتّباع الصنف الدانى دون اتّباع الصنف العالى الذى له المحورية يضل الطريق والمنهاج، فالقرآن يقول بأن اتّباع الآيات المتشابهة دون المحكمات يكون إضلالًا.

وهذا منهج قرآنى يبين لنا معادلة خطيرة وعظيمة، وهى أن منظومة الحجج منظمة فى درجات وسلم هرمى يجب ألّا يفقد الأعلى باتّباع الأسفل، فيجب التمسك بالدانى فى ظل وهيمنة العالى، فإنّ اتّباع الدانى فى غير هيمنة ما هو أعلى يكون إضلالًا، لأنّ طبيعة القرآن عبارة عن حقيقة ومنظومة متماسكة وليست متشتتة ومبددة، وإن اتّباع المتشابه

دون الاستمساك بالمحكم تبديد لمنظومة وحقيقة القرآن الكريم، كما يقول عزّ من قائل فى محكم كتابه الكريم أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ («۲») فالحفاظ على تلك المنظومة متماسكة هو إبقاء هيمنة

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۳۲۵

ومحورية ما هو أقوى حجية على ما هو أضعف، فإنّ رايات الضلال والإضلال والزائفات والفرق المنحرفة تنشأ بسبب فقد البصيرة فى هذه المعادلة المهمّة، وهى أن الحجج ذات مراتب يجب حفظ محورية المحكمات والامهات ومراتب الدلائل.

ومن هـذا الـذم ذم النصارى واليهود فى اتّباعهم الحس مع أنه من مصادر اليقين البـديهى، لأنهم اتّبعوا الدانى وتركوا ما هو أعلى وهو الاعجاز الذى بينه القرآن الكريم على يد النبى عيسـى (ع) حيث أخبرهم أنه سيبقى حيّاً ويكون وزيراً وتابعاً للإمام الثانى عشر الخليفة والوصـى لخـاتم الأنبيـاء، فتركوا مـا هو أكثر برهانيـةً ويقيناً ودلالـة واتّبعوا ما هو أضـعف يقيناً، ومما يشـهد لتراتبيـة الحجـج ما نلمسـه ونشاهـده من إعداد وتعبئة للقاعدة الجماهيرية المهدوية من خلال تجنيد الكوادر الأيمانية الملتهبة والمتلهفة فى مسار أهل البيت لا ما روى فقط من أن الإمام المهـدى (ع) هو الـذى ينصـر الإمام الحسـين (ع)، فإنّ سـيد الشـهداء (ع) كما روى أيضاً هو السـفينة الأوسـع والأسـرع فى لجـج البحار وهدايـة القاعـدة الجماهيريـة لتحقيق دولـة العدل الإلهية دولة ابنه الإمام المهدى (ع)، هذا التجنيد الحسـينى للبشـر فى كل مكان وحتّى من غير المسـلمين تهوى قلوبهم انعطافاً وانجذاباً لقضـية سـيد الشـهداء، ولهذا فإن التلألؤ الشفاف والجمال لسيد الشهداء (ع) هو الذى يعد العدة لابنه وهو الذى ينصره.

أصحاب الكساء ركن المهدوية ...: ص: ٣٢٥

فإنّه لا تقوم للإمام المهـدى قائمـة دولة ولا عمود دولة بلا سـيد الشـهداء ولا يمكن اسـتبعاد مشـروع سـيد الشـهداء، فالذى يعّد ويبنى ويحفظ قاعـدة وأساس دولـة الإمام المهدى (ع)، هو قضـية سـيد الشـهداء (ع)، فمعنى أفضـلية الإمام الحسـين على الإمام المهدى، بل وأفضلية

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٣٢٦

الخمسة أصـحاب الكساء على الإمام المهدى هو أن مشـروع الإمام المهدى (ع) العظيم والعالمى لا يمكن فيه استبعاد سيد الشهداء ولا يمكن استبعاد الخمسة أصحاب الكساء.

فلا يمكن لأدبيات الدولـة المهدويـة العالمية أن يسـتبعد فيها منهاج وهدى ونور على بن أبى طالب ونور الزهراء ونور الحسن المجتبى ونور الحسين (عليهم السلام).

فهذه هى البصـيرة فى مراتب الحجج، فالدين كتلة واحدة متماسـكة إنْ حَكَمَ ما هو أعلى إلى ما هو أدون رست وانضبطت وتمنهجت منظومة الدين ككتلة واحدة وكجسم واحد.

فـالفتن والامتحانـات على اختلاـف أشـكالها وأنواعها وشـدتها توقض فى الأمّـة الوعى والبصـيرة، وبالنتيجـة يتبين من خلالها البصـيرة المستقيمة والوعى العالى كما تتبين الانحرافات والزيغ وإلّا فمن دون توسط الفتن والامتحانات لا مائز بين أنحاء البصائر ومراتب الوعى فالفتن محك البصيرة.

طريق تخطى فتن البصائر ...: ص: ٣٢٦

من الأمور المهمّة جدّاً والمصيرية والحساسة أن نعرف طريق

التخطى والتخلص من زلة الافتتان والنجاح فى امتحان البصائر أو انزلاق الافتتان فى المعرفة.

وهو بنحو إجمالى الركون إلى الـدليل وإلى ما هو حجـة، وأما بنحو تفصـيلى فالأمر يحتاج إلى الكثير من التأمل والتدبر والمحاسـبة إذ كيف يميّز الإنسان بين ما هو دليل وحجة وبين ما ليس هو دليلًا وحجةً

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٣٢٧

وهـذا الأـمر يتطلب تثبتـاً وتحرياً ودراسـةً ومعرفـةً وسـعياً فكرياً حثيثاً لأن الالتباس والزيغ والتشابه إنما ينجم ويحصل من تشابه ما ليس بـدليل فى مرحلـة ما مع ما هو دليل فى نفس تلك المرحلـة، وتشابه ما ليس بحجة فى مرتبة ما مع ما هو حجة فى نفس المرتبة، وكما مرت بعض الأمثلـة من تشـابه الأدلّـة فى مراحلهـا المختلفـة كاعتماد الحس فى قبال الإعجاز وغيرها مما استعرضـها لنا القرآن الكريم،

وليس هذا التشابه بالتشابه السهل اليسير.

حقيقة التباس الحجج ...: ص: ٣٢٨

ربما لا يتصور البعض كيف يتشابه ويلتبس الدليل مع ما ليس بدليل أصلًا؟

وفى الحقيقة ليس الأمر كذلك، فكثيراً ما يتشابه ما يكون دليلًا فى بعض الأحوال وفى بعض المراتب وفى بعض المراحل مع ما هو دليل بدرجة أرفع ودرجة أعلى وأقوى بلحاظ نفس تلك الأحوال والمراتب والمراحل.

أما تشابه الدليل مع ما ليس بدليل أصلًا أى ما ليس فيه شأنية واقتضاء الدليلية فهذا ليس بالأمر الصعب وليس بالأمر الشائك ولا بعسير التمييز وإنما الصعوبة تكمن وتنجم من التباس ما هو دليل فى بعض حالاته وليس بدليل فى بقية الحالات مع ما هو دليل بدرجة أرفع وأعلى، فينجم الاشتباه والالتباس والتعمية بين ما هو دليل من درجة دانية مع ما هو دليل من درجة عالية، ويحصل الالتباس بين ما هو دليل بدرجة متوسطةٍ وضعيفةٍ، مع ما هو دليل من درجة قوية وشديدة وعالية،

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٣٢٨

فيستبدل الضعيف بالشديد، ويستبدل الدانى بالعالى وهذا هو الذى يقع فيه الالتباس.

فليس المنقذ من ظلامية الفتن والاثارات فى البصيرة والمعرفة هو فهم ومعرفة أصل حجية الحجة بل هو معرفة منظومة الحجج وتراتبيتها ومرتبة كل حجة فى تلك المنظومة.

وربما يقال: كيف يكون الدليل الضعيف ليس بدليلٍ بقولٍ مطلق، والدليل الذى هو بدرجة متوسطة كيف لا يكون دليلًا بقول مطلق؟

ما هو دليل بدرجة دانية أو دليل بدرجة وحجة متوسطة لو جعل فوق مرتبته لكان فيه غواية وإضلال وعماية.

إذ بعض الظُلَمَ والمسارات المظلمة لا يكفى فيها نور خفيف، بل لا بدَّ من نور مجهز مسلح ونور شديد، فإنّ بعض الظلم والمتاهات الحالكة شديدة الستار وشديدة الظلمة لا يمكن أن يقتحمها إلّا نور شعشعانى شديد، وهو الحجة القوية والبرهان القوى بحيث أن الاهتداء بالنور الضعيف يتسبب بالغواية والضلال والزيغ عن الصراط المستقيم فلأنه نور ضعيف فهو يُشِبه ويشبّه ويلبس الطريق، فإنّ النور الضعيف يرى ما ليس بجادة جادة ويرى ما ليس بطريق طريقاً فيلبس المسار

ويعمى السائر!

اتّباع بقية الأنبياء فى زمن سيد الرسل ضلال ...: ص: ٣٢٨

فى رواية رواها الفريقان أن النبى (ص) قال: «لا تسألوا أهل الكتاب عن شىء، فإنّهم لن يهدوكم وقد ضلوا، وإنكم إما أن تصدقوا بباطل وإما أن تكذبوا بحق، وإنه والله لو كان موسى حيّاً بين أظهركم ما

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٣٢٩

حل له إلّا أن يتبعنى» («١»)، وفى بعض الأحاديث: «لو كان موسى وعيسى حيين لما وسعهما إلّا اتّباعى» («٢») وفى حديث آخر أنه (ص) قال: «والذى نفسى بيده لو أصبح فيكم موسى (ع) ثمّ اتّبعتموه وتركتمونى لضللتم» («٣») فإن موسى فى هذه الفقرة الحساسة «لما حلّ له إلّا أن يتبعنى»، «لضللتم» فإنّه نبى من أولى عزم كيف لا يتبع ما يوحى إليه، بل اتّباعه ضلال إذا لم يكن ضمن ما يوحى لسيد الرسل (ص)!

فهو معصوم ومرسل ونبى وليس فى الأنبياء زلل ولا خطل فلا ريب أن الأنبياء متبعون ولكنهم هل يتبع بعضهم بعضاً؟

جميع الأنبياء على دين الخاتم ...: ص: ٣٢٩

بعبارة أخرى يذكر المختصون أن الأنبياء بعد إبراهيم (ع) كانوا على ملّة إبراهيم (ع)، والكثير يبحث أن سيد الأنبياء (ص) من أوّل حياته إلى الأربعين من عمره على أىّ ملّة كان؟

يذهب البعض أنه (ص) كان على ملّة إبراهيم (ع) وهذا التعبير مجحف

فى حق سيد الأنبياء فكل الأنبياء كانوا على دين محمّد (ص) وليس هو (ص) على دينهم بل هم على دينه، قال تعالى: وَوَصَّى بِها إِبْراهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفى لَكُمُ الدِّينَ فَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ* أَمْ كُنْتُمْ شُهَداءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قالَ لِبَنِيهِ ما تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِى قالُوا نَعْبُدُ إِلهَكَ وَإِلهَ آبائِكَ إِبْراهِيمَ وَإِسْماعِيلَ وَإِسْحاقَ إِلهاً واحِداً وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ («۴»)، فالرسل أوّل ما يبلغون اممهم بعد توحيد

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٣٣٠

الله نبوة سيد الأنبياء ووصاية سيد الأوصياء، هذا البحث دلّت عليه آيات فضلًا عن الروايات، وقد أشار إليها أهل البيت (عليهم السلام) أن جميع الأنبياء بُلّغوا بنبوة سيد الأنبياء وبوصاية سيد الأوصياء، فكانت الأنبياء جميعاً على دينه (ص)، وأوّل أصل من أصول الدين الذى بلغت به الأنبياء هو التوحيد، وثانى أصل ليس الاقرار بنبوتهم بل الاقرار بنبوة سيد الأنبياء وبوصاية سيد الأوصياء ثمّ بنبواتهم، فلا يستبدون بما يوحى إليهم عن اتّباع سيد الأنبياء، لذا جاء هذا التعبير فى الحديث الشريف: «لو كان موسى وعيسى حيين لما وسعهما إلّا اتّباعى» («١») إذ كان ما يوحى إليهما فى الواقع يقودهما إلى اتّباع سيد الأنبياء.

هذا يرسم لنا أن حجية سيد الانبياء تعلو وتعظم حجية موسى وعيسى (ع) بل حجية جميع الرسل، وفى إحدى الزيارات لسيد الشهداء (ع) («٢») والأدعية وأيضاً بعض الزيارات لأمير المؤمنين أن الحكمة أقرّت بنبوة سيد الأنبياء قبل أن تثبت وتدلل المعاجز على نبوته، والتعبير بالدعاء يعنى برهانية وبيانية ودلائل نبوة سيد الأنبياء، وهى بدرجة مفعمة ومركزة من قبل البارى تعالى بحيث لا يستطيع أىّ حكيم

أو عاقل أن ينكرها، فإنّه يشاهد المعجزات من سيد الأنبياء ودلائل نبوته ذات مساحة عظيمة جدّاً قال تعالى: وَما أَرْسَلْناكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعالَمِينَ («٣»).

والمستفاد من الأدلّة كما سيأتى بيانه أن للحجج مراتب بحيث لو استعملت حجية التى هى فى دائرتها المحدودة حجة خارج تلك المحدودية والدائرة ووضعت فى غير مكانها لكانت ضلالًا، ولكانت

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٣٣١

تشريعاً محرماً، ولكانت بدعة فى الدين، نعم لو أزيلت وأقصيت عن مقرها ومنطقتها وعن درجتها لكانت خطأ أيضاً، فإنّه لا إفراط ولا تفريط فى الحجج بل كل من الحجج بحسب مرتبتها.

هذا هو عصب البحث وبيت القصيد، فالحجج كمجموعة لها منظومة تسلسلية ذات حلقات ودرجات إن لم يحافظ ويتحفظ عليها تكون الفوضوية فى تلك المنظومة، ويختل نظامها فإنّ أحد الاشتباهات الكبيرة والعميقة التى وقع فيها الخوارج خوارج ذلك الزمان معروفون وخوارج العصر هم التكفيريون هو تمسكهم ببعض الحجج ذات المراتب الدانية، وتركهم الحجج العالية، وهذا يسبب ضلالًا ويا له من ضلال، فهم رفعوا شعاراً (لا حكم إلّا لله) وهو شعار صحيح ولكن كيف يدبلج ويترجم ليكون تطبيقه فى محله، فإنّ حاكمية الله فى التشريع هى الاقرار بالنبوة وحاكمية الله فى السياسة والقيادة هى الأقرار بالإمامة، لأن الإمامة عبارة عن توحيد الله فى الحاكمية فإنّنا نقول بأن الإمام شخص منصوب من قبل الله تعالى يتلقى أوّلًا بأوّل برامج الحكم والإمامة عن الله (عزوجل)، وحيث أنهم تمسكوا بظاهر الكتاب وتركوا كثيراً من المحكمات ضلّ بالخوارج الطريق.

فلكى نكون فى خلاص ومأمن من الفتن فى البصيرة ولا نقع فى

التباسات وتخالطات الحجج لا بدَّ أن تكون منظومة الحجج لدينا واضحة ومفهومة ومرتبة بالترتيب الصحيح، كما لا بدَّ من الالتفات

إلى مدى حجية كل حجة، أى مساحة حجيتها، لكى تحكم فى تلك المساحة وتحكم غيرها فى مساحة أخرى، وهكذا، فحينئذٍ نكون فى مأمن من الفتن ولا نقع فى الزيغ والعياذ بالله.

***

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٣٣٥

الفصل الرابع: حقيقة ومراتب الحجج ... ص: ٣٣٥

حقيقة معرفة الحجج ...: ص: ٣٣٥

الحكمة هى وضع الشىء فى محله وموضعه، وهذا فرع معرفة محل وموضع ذلك الشىء وإلّا لما أمكن وضعه فيه، وبعد معرفة موضع ومحل الشىء فإنّ الحق هو عدم مخالفة ذلك وعدم التقصير والغلو فيه، فإنّ الغلو آفة كما أن التقصير آفة أيضاً، فكل من الافراط والتفريط زيغ.

إذاً لا بدَّ من معرفة أصل حجية الحجة ولا بدَّ من معرفة مرتبة حجية الحجة فى منظومة الدين وهذه من المعادلات المصيرية المهمّة فى دفع غائلة الافتتان فى البصيرة والمعرفة وهو معرفة مراتب الحجية، وأن معرفة مراتب الحجية هو فى الحقيقة مساوٍ ومساوق لأصل معرفة حجية الحجج، فإنّ معرفة أن الشىء حجة من الحجج غير كافٍ للاعتماد والاستناد عليه كدليل وحجة، بل لا بدَّ فى حقيقة معرفة حجية الحجة معرفة مرتبة حجيتها من بين منظومة الحجج، يعنى هل أنها فى مرتبة حجية أولى أم ثانية أم ثالثة ... وحقيقة ذلك أى حقيقة معرفة مرتبة الحجة أن يُعلمَ أن كل دليل ودلالة وحجة هى حجة فى مرتبتها ولا ترقى لتكون دلالة وحجة فى المراتب الصاعدة، فهى ليست بحجة فى غير مرتبتها.

فمثلًا حجة وبينة من المرتبة الرابعة لا يمكن أن يصاعد بها إلى المرتبة الثالثة، أو لو كانت من المرتبة الثالثة لا يمكن أن يصاعد بها إلى المرتبة الثانية وهلم جراً، وما ذلك إلّا لأنّ مراتب الحجية فى الحقيقة هى

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٣٣٦

من قوام ذوات الحجج نفسها.

وبعبارة أخرى إن مراتب الحجية تساوق وتساوى أصل اعتبار حجية الحجة ضمن منظومة الحجج.

مثلًا خبر الآحاد حجة من الحجج، ولكن مرتبة حجيته لا تنهض فى الحجية لمقاومة الخبر المستفيض لأن الخبر المستفيض أقوى حجية، أى أن الخبر المستفيض ذو مرتبة أعلى من خبر الآحاد فى الحجية وإن كان خبر الواحد صحيحاً، وكذلك الخبر المستفيض لا ينهض ولا يمكن أن يتصاعد فى حجيته لمقاومة ومناهضة ومجاذبة الخبر المتواتر لأن الخبر المستفيض ذو مرتبة أدون من مرتبة الخبر المتواتر، فى الحجية وهلم جراً، وهذا معنى تراتبية الحجج.

معنى المتشابَه ...: ص: ٣٣٦

ومن هذا القبيل وصف القرآن التمسك بالمتشابَه بأنه زيغ أو سبب للزيغ لأن التمسك بالمتشابَه فى مرتبة حجية المحكم هو تصاعد بالمتشابَه إلى مرتبة أعلى وهى مرتبة المحكم.

ربما يُظن أن المتشابه هو الذى ليس لديه دلالة أو حجية فى نفسه، مع أن الحال ليس كذلك فإنّ التمسك بالمتشابه هو تمسك بالحجية الأضعف فى مرتبة دليل وحجية أقوى.

وبعبارة أخرى إن نبذ الدليل فى مرتبته والعمل بدليل وحجة من مرتبة أدون هو تمسك بالمتشابه، إذن المحكم والمتشابَه أمرٌ نسبى

وليس أمراً ذاتياً، فالمحكم هو كل دليل وحجة أقوى ومهيمنة ومشرفة على حجة أضعف وأن التمسك بالمحكم هو العمل بالحجة والدليل فى

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٣٣٧

مرتبته والتمسك بالمتشابه هو عمل بالحجة والدليل فى غير مرتبته أى فى مرتبة أعلى من مرتبته.

فذم القرآن النصارى لتمسكهم بالحس مع أنهم رأوا قتل وصلب النبى عيسى (ع) لأن الحس لا ينافض ولا يصاعد به لمقاومة الاعجاز، فالتمسك بالحس فى قبال الاعجاز هو تمسك بالمتشابه فى قبال المحكم.

ومن اتّباع المتشابه ما وقع فيه بنوا إسرائيل من اتّباعهم للحس وهو العجل الذى له خوار وتركهم للبديهة العقلية اليقينية وهى أن الإله لا يكون جسماً ولا يكون مغلوباً على أمره وأنه مؤثر مطلقاً، وإن كان الحس يقينياً إلّا أن المحسوس مؤثراته ضعيفةٌ فى قبال مؤثرات المعلوم من الأوّليات والفطريات العقلية.

الحس يقين وظن ...: ص: ٣٣٧

بل إن القرآن الكريم يعبر عن الحس فى مثل ذلك بالظن وهذا من الظرائف العلمية للقرآن الكريم إذ كيف يصف القرآن الحس بأنه ظن مع أن الحس من البديهيات واليقينيات؟

وما وصف القرآن للحس بأنه ظن إلّا لأنه صوعد به إلى درجة أعلى من مستواه فيعبر القرآن الكريم عنه حينئذٍ بأنه تمسكٌ بالظن.

ثمّ يقول القرآن الكريم إن الظن لا يغنى من الحق شيئاً وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَما قَتَلُوهُ وَما صَلَبُوهُ وَلكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ ما لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّباعَ الظَّنِّ وَما قَتَلُوهُ يَقِيناً («١») فالقرآن الكريم سماه اتّباعاً للظن مع أنهم رأوه بامّ أعينهم مقتولًا مصلوباً.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٣٣٨

نعم الحس يقين ضمن دائرته المحدودة، وأما لو حاولنا توسيع هذه الدائرة لنتمسك بالحس فى تلك الدائرة الوسيعة فحينئذٍ يكون التمسك تمسكاً بالظن وليس تمسكاً باليقين.

وبمثال حسى مقرب لو كان عندنا مصباح ذو درجة (١٠٠ واط) فإذا أريد له أن يضىء فإنّ إضاءته فى دائرته المحدودة إضاءة جيدة، ويمكن أن تستعلم الأشياء فى ضمن تلك الدائرة بذلك الضوء، أما إذا أريد له أن يضىء مساحة أكبر ودائرة أوسع فإنّ نوره يكون متشابكاً مع الظلام فيضعف نوره والنور عندما يضعف يصير كالظلمة، فالاستصباح بمصباح ليس ذا قوة شديدة لا يرى إلّا مساحة قريبة، أما البعد الشاسع فلا يرى بالنور الضعيف، ونفس ذلك النور يلبس ويشبه الأشياء فى البعد الشاسع والدائرة الأوسع، بل فى دائرته المحدودة أيضاً لو اريد الإبصار به للأشياء النواعم الظريفة لكان خارج عن قدرته وصلاحيته.

إذاً المتشابه فى المفهوم القرآنى للحجج ليس بمعنى أن الشىء بما هو هو ليس بحجةٍ، وليس الظن المريب بالمفهوم القرآنى وأن الشى بما هو هو ليس بيقين، إنما الشىء فى نفسه ليس بحجة أو ليس بيقين إذا كان التمسك به فى مقابل حجة أقوى منه فيكون ظناً ويكون متشابهاً أى يجعل الحقائق متشابهة، كما أن النور الضعيف يشبه الأشياء عندما يستضاء به فى طريق يحتاج لنور قوى لنفس النكتة وهى الحفاظ على تراتبية الحجج.

لا تقاطع ولا إقصاء فى الحجج ...: ص: ٣٣٨

منظومة الحجج هى مجموعة من الحجج مرتبة ومنظمة بشكل خاص ووفق موازين خاصة وبهندسة إلهية محكمة، ولهذه المنظومة

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٣٣٩

عدة خصائص وميزات من أهمها أن لكل حجة مساحة خاصة تكون هى المحكمة فيها دون غيرها من الحجج الأخرى، وبالتالى فاعطاء الحجية لحجة ما لا يعنى سلب الحجية عن أخرى، ولا يعنى أنهما قد يتقاطعان أو يتضاربان، بل بمقتضى هذا النظم الخاص فى الحجج ليس هناك إقصاء لأىّ حجة وإن كانت هناك حجة أعلى منها، وما ذلك إلّا لتعدد المساحات.

فمثلًا حجية النواب الخاصين لا تقصى حجية الفقهاء أو النواب العامين، فضلًا عن كونها لا ترقى ولا وتعلو حجية المعصوم، فالسفراء الأربعة للإمام المهدى (ع) وهم العمرى وابنه والحسين بن روح ومحمّد بن على السمرى (رض) كانت لهم حجية بلا إشكال وهذه الحجية تأتى بعد حجية الإمام فهم الباب للإمام وهذا واضح.

ومما يشهد لعدم التقاطع والإقصاء ما ذكره الشيخ الطوسى فى كتاب الغيبة حيث قال: (أنفذ الشيخ الحسين بن روح (رض) كتاب التأديب إلى قم وكتب إلى جماعة الفقهاء بها وقال لهم: أنظروا فى هذا الكتاب، وانظروا فيه شىء يخالفكم؟

فكتبوا إليه إنه كله صحيح، وما فيه شىء يخالف إلّا قوله: فى الصاع فى الفطرة نصف صاع من طعام، والطعام عندنا مثل الشعير من كل واحد صاع) («١»).

فإنّ النائب الثالث الحسين بن روح النوبختى (رض) كتب مجموع الروايات التى رواها عن رواة أصحاب الأئمّة فى الفقه فى كتاب ثمّ

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٣٤٠

عرضها على فقهاء ورواة ومحدّثى قم، لأنّ قم كانت مركزاً للأشاعرة الذين نزحوا من الكوفة بايعاز من الإمام الصادق (ع) كى تكون هناك تعدد دوائر ومنابع لمدارس أهل البيت (عليهم السلام).

وبعد عرض كتابه عليهم خطّأوه فيما رواه فى زكاة الفطرة، حيث روى أن زكاة الفطرة نصف صاع، فقال فقهاء قم له: إن الفطرة فى مذهب أهل البيت (عليهم السلام) هى صاع وليست نصف صاع.

وهذه الروايات التى جمعها النائب الثالث فى كتابه وعرضها على رواة ومحدّثى قم لم يكن قد نقلها عن الإمام الثانى عشر (ع)، وإنما هى مجموع الروايات التى رواها عن أصحاب الأئمّة السابقين، وإلّا فما ينقله عن الإمام الثانى عشر كيف يصححه غيره، فهو سفير الحجة ولا يعقل عرض روايات الإمام الثانى عشر على غير السفير ليصححها، وإنما تلك الروايات نقلها عن الرواة والصحابة للأئمّة السابقين، ومن هذه الجهة أى كون النائب الثالث يؤدى عن رواة الأئمّة فإنّه كشأن بقية الرواة قد يصيب وقد يخطئ لذلك خطّأه فقهاء قم.

وهذا حصل من النائب الثالث لأن دائرة حجية النواب والسفراء فى دائرة ومساحة لا تتقاطع مع دائرة حجية الفقهاء ولا تلغيها، كما أن حجية الفقهاء فى الغيبة الصغرى لم تكن تتقاطع وتتنافى وتتصادم مع حجية السفراء والنواب الأربعة فكل له دائرته ومساحته، فمساحة حجية النواب مساحة غير مساحة حجية الفقهاء ولا تلغى إحداهما الأخرى ولا تقاطعها.

كما أن حجية النواب لا تعلو المساحة والدائرة المحدودة الخاصة بهم، فهم وإن كانوا نواباً خاصين بحق وصدق لا بزيف كما هو الحال فى الدعوات الباطلة إلّا أن دائرة حجيتهم محدودة.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٣٤١

حجية الفقهاء فى دولة الظهور ...: ص: ٣٤١

والكثير ربما تسوّل له نفسه أن حجية الفقهاء ملغاة فى دولة الظهور للإمام المهدى (ع)، وهو تفكير عجيب وغريب!!

فإنّ صلاحيات الفقهاء وحجيتهم وإن كانت محدودة لكنها تبقى فى ظل وهيمنة دائرة حجية المعصوم، لذا لم يكن دور الفقهاء ملغياً فى دولة الرسول (ص) فإنّ قوله تعالى: وَما كانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْ لا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِى الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ («١») تشير إلى دور ومنصب الفقهاء فى زمن دولة الرسول (ص)، والرسول (ص) أعظم من

الإمام، فإذا لم يلغَ دور الفقهاء فى دولة الرسول (ص) كيف نتصور إلغاءه فى دولة المهدى (ع).

وهكذا لم يلغَ دور الفقهاء فى دولة أمير المؤمنين (ع) وهو أعظم من الإمام المهدى (ع)، ولم يلغَ دور الفقهاء فى دولة الإمام الحسن المجتبى (ع) وهو أعظم من المهدى (ع)، وهكذا جميع الأئمّة من الإمام الحسين (ع) سيد شباب أهل الجنّة إلى الإمام الحسن العسكرى (عليهم السلام) لم يكن هناك أىّ إلغاء وإقصاء لدور الفقهاء، فكيف نتصور إلغاء أو إقصاء فى دولة الإمام المهدى (ع)، فإنّ الكوفة فى عهد الإمام الصادق (ع) كانت تعج وتضج بالفقهاء، بل ويكثر فيها بيوت المرجعية كزرارة حيث كان بيتاً من بيوت المرجعية فى الكوفة، وهكذا محمّد بن مسلم وعمّار بن موسى الساباطى وهشام بن الحكم

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٣٤٢

وبريد بن معاوية العجلى، فإنّ الباقر (ع) يقول لأبان بن تغلب: «إنى أحب أن يُرى فى أصحابى مثلك، أجلس فى المجالس وافتِ الناس» («١»).

فإنّ الرسول (ص) والمعصومين (عليهم السلام) عموماً وإن كانوا على أعلى مستويات العصمة والقيادة والعلم و ... ولكنه بحكم الحياة البشرية لا يرتبطون حساً مع كل فرد بشرى من أفراد المجتمع؛ لذا لا بدَّ من جهاز وذراع وأيدى لاتصالهم بالقواعد الجماهيرية، وهذا الجهاز قد حدّده الله تعالى وهو الفقهاء، فهم أيدى وسواعد المعصوم، فمن يتفقه للدين ويكون ورعاً تقياً فهذا هو دوره بنص وفريضة من الله، أى يجعل عوناً من أعوان المعصوم وإصبعاً من أصابع المعصوم وخادماً من خدام المعصوم، وهذا فرض من الله (عزوجل) وأن هذه الآية آية النفر لا- تنسخ بل ستظل خالدة إلى يوم القيامة، فمن ذا الذى تسوّل له نفسه أن يقول: إن هناك قطيعة بين الفقهاء الصالحين العدول وبين مسار المعصومين، وإلّا- لو لم يعتمد المعصوم على الفقهاء والعلماء و ... فمن يكون المعين له ومن يكون ساعده وذراعه وواسطته للناس؟! أيعقل أن يكون الجهال والعياذ بالله هم سواعد المعصوم ورابطته بالناس، وإنما أمره الله تعالى

‘‘‘‘‘‘‘

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٣٤٣

باتخاذ العلماء ومن يكون ذا كفاءة فى الفقه والتفقه لا الجهل والجهالة أمناء على شريعتهم ودين الله.

لذلك قال جعفر بن محمّد (ع): «علماء شيعتنا مرابطون فى الثغر الذى يلى إبليس وعفاريته، يمنعونهم عن الخروج على ضعفاء شيعتنا، وعن أن يتسلط عليهم إبليس وشيعته النواصب، ألا فمن انتصب لذلك من شيعتنا كان أفضل ممن جاهد الروم والترك والخزر ألف ألف مرة، لأنه يدفع عن أديان محبينا، وذلك يدفع عن أبدانهم» («١») أى ثغور المعرفة وثغور البصيرة، فلا يستطيع أصحاب الدجل والعداء والحيل والزيف والباطل أن ينفذوا إلى حومة الدين ما دام جنود المعصومين موجودين وهم الفقهاء، فإنّهم وإن كانت حجيتهم نقطة فى محيطات سماء المعصومين (عليهم السلام) ولكن هذه النقطة هى نظام جهاز المعصومين بهندسة وتخطيط من الله (عزوجل)، لأن الله (عزوجل) أراد لهذا الجهاز أن لا يخترق وأن يكون حصيناً، لذلك قال أئمّة أهل البيت: «الفقهاء حصون الإسلام» («٢»).

فالمعصوم لا بدَّ أن يتخذ حصناً وأعواناً له يعينوه بنص الآية الكريمة آية النفر قال تعالى: وَما كانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْ لا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِى الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٣٤٤

يَحْذَرُونَ («١») لذلك لم تلغ حجية الفقهاء فى الغيبة الصغرى وفى ظل نيابة السفراء الأربعة، إذ هو نظير الدائرة أو الوزارة فيها مدير ورؤساء شعب وموظفون وعمال وكل له دائرة عمل خاصة لا تتقاطع مع دوائر عمل الآخرين، أو نظير الوزارات والدوائر المتعددة تحت ظل رئاسة موحّدة للوزراء.

فإنّ السفراء الأربعة فى الغيبة الصغرى نظير الوزير والوزارة فلهم مسؤوليات معينة لا تتقاطع مع مسؤوليات الإمام (ع) ولا تتقاطع مع

مسؤوليات الفقهاء الباقين، فإنّ حجيـة النواب والسـفراء فى الغيبة الصـغرى لم تكن حجية مطلقة بل هى محدودة، أما فى الغيبة الكبرى فقـد قـامت الـدلائل والبراهين على بطلان كل مـدّعى للسـفارة والنيابـة الخاصـة، وإنْ كان للمهـدى (ع) فى دولـة الظهور ولاة ونواب خاصون وهم أصحابه الثلاثمائة والثلاثة عشرة كما سيأتى بيان ذلك.

وهكذا الفقهاء الباقون من غير السـفراء سواء كانوا فى الغيبة الصغرى أو الكبرى، وحتّى فى زمن الظهور فإنّ لهم مهاماً ومسؤوليات غير مهام ومسؤوليات الإمام (ع) وغير مسؤوليات السـفراء، ولا يُتصور إلغاء أىّ من الحجـج لحجـة أخرى، فكما لا تقاطع فى النظم الإدارية كذلك لا تقاطع فى مراتب الحجية وتراتب الحجج.

ولـذلك نلاحظ ترحم الإمام المهـدى (ع) على على بن بابويه والـد الصدوق (رض) وعلى غيره من الفقهاء مع أنهم لم يكونوا سـفراء ولا نواباً خاصين وإنما كانوا فقهاء فحسب.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۳۴۵

وهكذا لم نلاحظ أحداً من السـفراء (رض) حاول إلغاء دور الفقهاء، بل على العكس كما لاحظنا موقف الحسـين النوبختى (رض) فى عرض كتـابه على فقهـاء قم، ومـا ذلـك إلّـا لعـدم تقـاطع الأـدوار والمسؤوليات والحجـج وأن الفقهاء وزراء معيّنون من قبل الله تعالى كخدام وأنصار للأئمّة (عليهم السـلام)، إذ لما كان الأئمّة (عليهم السـلام) يحتاجون للمعين والناصـر فى نشر وإرساء الدين الإسلامى، فمما لا ريب فيه أن يكون الناصـر والمعين لهذه المهمة من الشـرفاء النجباء الحلماء العلماء الاتقياء الصـلحاء ... لا من أىّ جنس ونوع كان، قال تعالى: قُلْ هَلْ يَسْتَوِى الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّما يَتَذَكَّرُ أُولُوا الأَلْبابِ («۱»).

امومة بديهيات العقل فى المعرفة ...: ص: ۳۴۵

نعم، لو قلبت المقاييس وألغينا العقل أمكن كون أعوان وأنصار الأئمّة من المفضولين والجهّال...

ولكن كيف ذلك؟ فإذا كان الله تعالى يستدل على ألوهيته بأنه ليس بظلام للعبيد أى كأنه يقول استشرفوا واستكشفوا الوهيتى بعدالتى وعـدم مخالفتى لبـديهيات العقل! فكيف نلغى العقل ونعمل خلاف الموازين العقليـة فى اختيار وانتخاب أنصار وأعوان الأئمّـة (عليهم السـلام) فى نشـر دين الله تعالى؟!، وإلّا فإنّ جعل أعوان الإمام (ع) من غير الفقهاء بأن يكونوا جهّالًا هو عين المخالفة لبديهيات العقل، إذ العقل حاكم بوجوب تقديم العالم وأهل الاختصاص والخبرة والنخبة ووجوب الاعتماد على الفقهاء فى نشر الفقه.

من هنا نفهم سذاجة البعض المتشبّث بمتشابه دلالة الروايات

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۳۴۶

والتى لا سـند لها، حيث يقول بأن المهدى المنتظر (ع) عندما يظهر يقتل الفقهاء والعلماء («... ۱») فهو ظن فى ظن وتخبط لعدم معرفة الحجج،

وبالتالى فهو زيغ وضلال.

‘‘‘‘

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۳۴۷

كمـا يتضـح انـدفاع توهم المتوهم بـأنه مع ظهور الإمـام (ع) لا تبقى حاجـة ولا دور للفقهاء ولا للاسـتنباطات الظنيـة لأنه يمكن حينئذٍ للناس تحصـيل العلم بالأحكام الواقعية من الإمام (ع) مباشـرةً، لاسيّما وأن الإمام (ع) يقوم بإكمال عقول وعلوم الناس فلا يبقى هناك جهل؟

أنه مع تكامـل علوم الناس وعقولهم فـذلك لا يعنى كونهم أنبياء كما لا يعنى أن الطريق الـذى يتلقون منه العلم هو قناة الوحى كما لا يعنى صـيرورتهم فى مسـتوى علمى واحـد، بـل يبقى بينهم تفـاوت وفوارق فى المسـتوى العلمى والعقلى حتّى مع حصول تطور علمى

وتكنلوجى هائل وتوفر وسائل الاتصال السريعة بحيث يكون بامكان كل شخص الاتصال بالإمام مباشرةً ليأخذ الحكم الشرعى القطعى الواقعى منه، فإنّه مع كل ذلك تبقى الفوارق العلمية والعقلية بين الناس، ومن ثَمَّ لا يكونون كلهم بدرجة حواريى وأصحاب الإمام (ع) ال- (٣١٣) وإذا وجدت الفوارق العلمية والعقلية بين عموم الناس فبالتالى يحتاجون إلى من هو أعلم منهم وأكثر إحاطة ليرجعوا إليه فيما قد جهلوه، أى ليكون واسطة بينهم وبين الإمام (ع) لايصال الأحكام ونحوها.

كما أن السُنّة التكوينية لقيام دولة الظهور ودولة الرجعة ليست قائمة على إيصال العلم لعموم الناس عبر قناة واحدة، بل تبقى القنوات الظنية على حالها ويبقى الدور المناسب فى كل مجال لأهل التخصص والخبرة، وبالتالى يرجع الأقل علماً إلى من هو أكثر علماً، وهذا هو معنى رجوعهم إلى الفقهاء.

وبعبارة أخرى إن قوله تعالى: وَما كانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْ لا

نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِى الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٣٤٨

لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ («١») لا يطرأ عليها النسخ، فهى تبين ترسيماً من الله تعالى لكيفية جهاز عمل المعصوم بعد قوله تعالى: وَما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجالًا نُوحِى إِلَيْهِمْ فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ («٢»)، فلا بدَّ للإمام من جهاز عمل وواسطة بينه وبين الناس، وإلّا بمقتضى طبيعة البشر لا يمكن اتصال ملايين الناس بشخص واحد على درجة واحدة من الارتباط والفهم والتلقى، نعم تحدد قنوات تشعبية تنازلية الأكثر علماً فى الأعلى ثمّ الأقل فالأقل ويكون الإمام (ع) على رأس الهرم، وهذا التنظيم فى الشريعة لا ينسخ حتّى عند ظهور الإمام (ع) لاسيّما أن مفاد آية النفر فى سورة التوبة متطابق مع مفاد آية الحكم: إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْراةَ فيها هُدىً وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذينَ أَسْلَمُوا لِلَّذينَ هادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتابِ اللَّهِ وَكانُوا عَلَيْهِ شُهَداءَ فَلا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلا تَشْتَرُوا بِآياتى ثَمَناً قَليلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِما أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولئِكَ هُمُ الْكافِرُونَ («٣»). فى سورة المائدة كما تقدم بيان ذلك.

كما أن أصل حكم رجوع الجاهل للعالم يحكم به العقل ويشير إليه قوله تعالى: قُلْ هَلْ يَسْتَوِى الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ («٤») فإنّ مفاد هذه الآية أشار إلى نفس هذا الحكم العقلى الفطرى.

فإنّ الناس بالتالى يأخذون من الفقهاء الأحكام والتى تكون

ظاهرية بلحاظ علم الإمام (ع) لأن ما عند الإمام (ع) أكثر واقعية، وقد

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٣٤٩

ثبت فى محله من علم الأصول أن الحكم وإن كان فى رتبته واقعياً ولكنه بلحاظ حكم واقعى أكبر يكون ظاهرياً («١»).

فما يعطيه ويبينه الفقهاء حينئذٍ حكم واقعى فى رتبته ولكنه ظاهرى بلحاظ ما عند الإمام (ع)، وهكذا من جهة كونه ظنياً أو يقينياً فإنّه تقدم أن اليقينى بلحاظ يقينى أعلى يكون ظناً كما أن الحس يقينى واعتبره القرآن ظناً فى قبال المعجزة فى فتنة بنى إسرائيل والنصارى فما يبينه الفقهاء حينئذٍ هو حكم يقينى فى مرتبته ولكنه ظنى بلحاظ ما عند الإمام (ع).

فما دام هناك تفاوت وفوارق فى استقاء العلم فلا محالة يبقى لأهل التخصص والاختصاص دور وشأن، وهذا من ضروريات طبيعة الحياة والنظام الاجتماعى والنظام المعيشى البشرى فى عيشه العلمى والمعلوماتى.

وما هذه الشبه والإشكالات على الفقهاء ودورهم إلّا لأجل

استهدافهم وبالتالى استهداف النخبة فى الدين لتحصل الفوضى فيه وهو

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٣٥٠

مراد الأعداء، إذ من الطبيعى أن استهداف أىّ مجال من مجالات الحياة إنما يكون بالنيل من المتخصصين فيه لتحصل الفوضى حينئذٍ بذلك الاستهداف، فمثلًا من يريد النيل من مجال الطب لتعم الفوضى فيه وبالتالى يستغل الموقف فى تحقيق مآربه إنما يبدأ

باستهداف الأطباء الماهرين وبذلك يكون الطب فوضى، وهكذا فى مجال الهندسة لمن يريد أن تحصل الفوضى فيها وذلك بالنيل من المهندسين الماهرين، وهكذا الكلام فى بقية المجالات، لأنه فى كل مجال من هذه المجالات هناك ترتب ونظم متسلسلة، وبمقتضى هذا النظم والتراتبية تحصل الحماية من التسويف واللصوصية والتدجيل.

فإنّ الرجوع لأهل الخبرة والاختصاص فى كل مجال هو من فطرة البشر وضمن حدود معينة، وإلّا فالبديهيات محافظ عليها فى كل المجالات.

وعليه فاستهداف الفقهاء إنما هو من هذا القبيل، إذ يسلك الأعداء هذا الطريق لتحصل الفوضى فى الدين والمناصب الدينية ليكون بإمكانهم الدجل والاختراق والتلصص فى مناصب الدين، لذلك نجد أن أهل البيت (عليهم السلام) وضعوا قوانين خاصة وضوابط فى تحديد المرجعيات والمناصب الدينية لا يمكن تجاوزها إذا حافظنا على أصول ثقافة الدين بالشكل الصحيح ونشر هذه الثقافة بين أتباع أهل البيت، وإلّا فمن البساطة جدّاً التدجيل على الجهال وخداع السذج.

أنواع الحجج مفتاح البصائر ...: ص: ٣٥٠

مما لا ريب ولا شكّ فيه أن العاصم والمانع من التأثر بالشبهات

وأن قوام استكشاف البصيرة فى الفتن المعرفية أو العقائدية هو بمعرفة

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٣٥١

مراتب الحجج ويجب أن تكون مبيَّنة وبيِّنة لدى المكلف والمؤمن، فإنّه إذا استبانت واتضحت مراتب الحجية فسوف يفوِّت الفرصة على الشبهة والمتشابهات، فإنّما تدب وتنتشر الشبه والاستناد للمتشابهات إذا ضاعت والتبست مراتب الحجية ومدارجها وتسلسلها، لذا تقدم أن المنقذ من ظلامية الفتن والاثارات فى البصيرة والمعرفة هو معرفة مراتب الحجية ومنظومة الحجج، ولا يكفى معرفة أصل حجية الحجة.

ثمّ بعد معرفة أصل حجية الحجة ومعرفة مرتبة تلك الحجة فى منظومة الحجج لا بدَّ من قواعد رقابية استكشافية تبين علاقة الحجج بين بعضها البعض ونظامها ومحدودية كل حجة وأن تلك الحجة لا زالت فى مرتبتها وحدودها، وأيضاً تكشف زيف وبطلان المدعى لحجية حجة فى غير مرتبتها.

أما منظومة وسلسلة الحجج ففى أعلى مراتبها بديهيات وضرورات العقل، ثمّ توحيد الله تعالى، ثمّ بعده لسيد الأنبياء، ثمّ لسيد الأوصياء، ثمّ الأئمّة (عليهم السلام)، ثمّ الفقهاء والنواب بالنيابة العامة أو الخاصة، فهذه السلسلة الهرمية لكل منها حجية فى مدى وحدود معينة ومساحة خاصة.

فمن روائع القرآن الكريم أنه يجذر ويبنى ويؤسس مثل هذه النظم فى منهج المعرفة، فكم من الأمم تضلل وتغش عقليتها ويصادر وعيها إذا حسبت أن الحجة حجةٌ بالاطلاق والتعميم، يعنى بالاعتماد على الحجج بنحو اطلاقى غير محدود بحدود، فالآفة تنجم وتنشأ من ذلك الاطلاق والتعميم.

مراتب الحجج ...: ص: ٣٥١

نقرأ فى الدعاء فى الحديث الشريف: «اللهم عرفنى نفسك، فإنّك

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٣٥٢

إن لم تعرفنى نفسك لم أعرف رسولك، اللهم عرفنى رسولك، فإنّك إن لم تعرفنى رسولك لم أعرف حجتك، اللهم عرفنى حجتك، فإنّك إن لم تعرفنى حجتك ضللت عن دينى» («١»)، فهذه أربعة محاور وليست ثلاثة:

١ معرفة الله (عزوجل).

٢ معرفة النبى (ص).

٣ معرفة الحجة والإمام (ع).

۴ معرفة الدين.

فمعرفة الدين وليدة لمعارف ثلاث متراتبة متسلسلة متدرجة، والذى لا تستتب ولا تتم لديه معرفة الله تعالى بشكل توحيدى سديد وصائب لا- تتم لديه معرفة النبى (ص)، فإنّه إذا لم تعرف قدرة وحكمة وعظمة وصفات الله سبحانه وتعالى لم يعرف مقام النبوة والرسالة لأن مقام النبوة والرسالة ليس مقام خلافة وتبليغ عن مخلوق ما، بل هو مقام خلافة وتبليغ عن خالقٍ جبارٍ متكبرٍ عظيم حكيم عزيز، ... فبقدر معرفة عظمة الله سبحانه وتعالى نستطيع أن نتفهم من ينسب وينتسب إليه فى الخلافة والتبليغ.

"""""""""

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٣٥٣

فمن الجهالات التى ترى فى جملة من الرؤى فى المدارس الإسلاميّة حول مقام النبوة ما يكون منبعها جهالات فى معرفة الله، لأنه لو عظم الخالق فى كل شىء عظم من يستخلفه، لأنه يبلغ عمن نصبه وأرسله، فإذا عرفنا وعظمنا صفات المرسِل عرفنا عظم صفات المرسَل.

وإذا عرفنا عظمة وصفات المرسل والخليفة والمبلغ ومقاماته العظيمة وشؤونه العالية فلا محالة سوف نعرف عظمة الإمام وخليفة الرسول.

فهذه المعارف الثلاث متراتبة يعنى لا يمكن أن تتم معرفة النبى بسداد وصواب إلّا بعد معرفة الله سبحانه وتعالى بسداد وصواب، فمعرفة الله تعالى متقدمة على معرفة النبى (ص)، ومعرفة النبى متقدمة على معرفة الإمام، أى أن مراتب الحجية متراتبة متسلسلة متدرجة، ولذلك نلاحظ أن البينات والحجج العقلية وغير العقلية على توحيد الله تعالى أكثر بياناً وبرهاناً وجلاءً من البراهين والحجج التى على نبوة الأنبياء أو على نبوة سيد الأنبياء، وكذلك البراهين والبينات والحجج القائمة على نبوة سيد الأنبياء أكثر من البراهين والبينات القائمة على إمامة ووصاية سيد الأوصياء، وكذلك البراهين والبينات والحجج القائمة على إمامة سيد الأوصياء أمير المؤمنين على بن أبى طالب (ع) أكثر من البراهين والبينات القائمة على إمامة الحسنين (ع)، والبراهين القائمة على إمامة الحسنين (ع) أكثر من البينات والبراهين القائمة على إمامة الأئمّة

التسعة من ولد الحسين (عليهم السلام). نعم، الإمام المهدى (ع) أفضل التسعة المعصومين كما فى بعض الروايات، وكذا فى خطبة الغدير للنبى (ص...): «

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٣٥۴

تاسعهم هو باطنهم وهو ظاهرهم وهو أفضلهم » («... ١»)، فيكون مقام الإمام المهدى (ع) بعد الخمسة أصحاب الكساء (عليهم السلام)، لأن الأدلّة على إمامته أكثر من الأدلّة القائمة على إمامة التسعة (عليهم السلام)، فلا بدَّ من الالتفات لتلك المراتب، فإنّه كلما ازدادت البيانات ازدادت الحجية فإنّ الحجية تشتد وتضعف تبعاً لزيادة البيانات والدلائل وقلتها، وكلما ازدادت شدة ودرجة الحجية ازداد وارتفع وعلا- مقام تلك الحجية، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإنّ الفضائل والصلاحيات مختلفة أيضاً، ولذلك فإنّ سيد الرسل (ص) هو إمام أيضاً إلّا أنه إمام للأئمّة الاثنى عشر، فإنّ لسيد الرسل مقام النبوة والرسالة والإمامة، لذا فإنّ الأئمّة تابعون مطيعون مسلمون لرسول الله (ص) كما أنه (ص) تابع ومطيع ومسلم لله تعالى.

يقول الإمام الرضا (ع ...): « لأن رسول الله (ص) لم يكن ليحرم ما أحلّ الله، ولا ليحلل ما حرم الله، ولا ليغير فرائض الله وأحكامه فى ذلك كله متبعاً مسلماً مؤدياً عن الله وقول الله (عزوجل): إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا ما يُوحى

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۳۵۵

إِلَيَّ («۱») فكان متبعاً لله مؤدياً عن الله ما أمره به من تبليغ الرسالة»، قلت: فإنّه يرد عنكم الحديث فى الشيء عن رسول الله (ص) مما ليس بالكتاب وهو فى السُنّة ثمّ يرد خلافه، فقال: «وكذلك قد نهى رسول الله (ص) عن أشياء نهى حرام فوافق فى ذلك نهيه نهى الله، وأمر بأشياء فصار ذلك الأمر واجباً لازماً كعدل فرائض الله تعالى، ووافق فى ذلك أمره أمر الله تعالى، فما جاء فى النهى عن رسول الله (ص) نهى حرام ثمّ جاء خلافه لم يسع استعمال ذلك، وكذلك فيما أمر به، لأنّا لا نرخص فيما لم يرخص فيه رسول الله (ص)، ولا نأمر بخلاف ما أمر رسول الله (ص) إلّا لعلّة خوف ضرورة، فأما أن نستحل ما حرم رسول الله (ص)، أو نحرّم ما استحل رسول الله (ص) فلا يكون ذلك أبداً، لأنّا تابعون لرسول الله» («۲»).

فهذه السلسلة محفوظة، فلا يمكن للرسول (ص) والعياذ بالله أن يرد على الله تعالى أو يتخلف عن تبعية أوامره تعالى، فالأسس والأساس فى التشريع من الله (عزوجل) وسُنّة النبى (ص) تابعة لفرائض وأوامر وتشريعات الله وليست هى فى عرض تشريعات الله بل هى تابعة وتأتى فى الدرجة الثانية لفرائض الله، ولا يمكن أن نتصور ونفرض بأن سنن النبى ترفع فرائض الله، وكذلك سنن المعصومين (عليهم السلام) من أئمّة أهل البيت تابعة لسنن النبى (ص) ولفرائض الله تعالى،

ولا يمكن حينئذٍ أن تكون سنن الأئمّة المعصومين (عليهم السلام) رافعة أو مضادة لسنن النبى (ص) وفرائض الله والعياذ بالله.

وكذلك فتاوى الفقهاء تابعة وفى كنف فرائض الله وسنن النبى وسنن أئمّة أهل البيت (عليهم السلام)، ولا يمكن لفتاوى الفقهاء أن تخرج عن

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۳۵۶

فرائض الله ولا عن سنن النبى ولا عن سنن الأوصياء، فإنّ جميع فقهاء مدرسة أهل البيت يذكرون أن التقليد واتباع الفقيه فى الفتاوى إنما هو فى غير الضروريات المعلوم حكمها من فرائض الله وسنن النبى وسنن الأوصياء.

يعنى أن فتوى الفقيه لها دائرة محدودة معلمة ومخطوطة بخطوط حمراء، وتلك الخطوط الحمراء هى ضرورات فرائض الله وضرورات سنن النبى وضرورات سنن الأوصياء، فبالتالى ما علم أنه من فرائض الله بالضرورة وما علم أنه من سنن النبى بالضرورة وما علم أنه من سنن الأوصياء بالضرورة لا يمكن للفقيه أن يتجاوزه، فهو يستنبط ويستكشف ما هو نظرى فى دائرة النظريات من أحكام الله وأحكام الرسول وأحكام أئمّة أهل البيت، كل ذلك فى كنف فرائض الله وسنن النبى والأوصياء، ولا تخرج تلك الاستنباطات عند الفقهاء عن دائرة تلك الضروريات.

وربما يتوهم البعض وجود تهافت فى كلام علماء الأصول، حيث إنهم من جهة يقولون: إن إجماع الفقهاء من غير دخول المعصوم فيه ليس بحجة، ومن جهة أخرى يقولون بأن فتوى الفقيه حجة، فكيف تكون فتوى الفقيه منفرداً حجة مع أن مجموع الفقهاء من غير المعصوم لا قيمة له فى الحجية، فهل هذا تهافت أم ماذا؟!

ويرتفع توهم التهافت إذا دققنا فى مساحة حجية الفقهاء، فإنّ

فتوى الفقيه إذا كانت فى غير العقائد وغير الضروريات وكان الفقيه مستنداً للموازين الشرعية المقررة فى مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) أى إذا كانت فتواه وفق الموازين الشرعية وفى مجال النظريات والمتشابهات من الفقه فإنّ فتواه حجة.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۳۵۷

أما فتوى الفقيه بل لو أجمع الفقهاء على الافتاء فيما يخالف الضروريات أو العقائد الأصلية أو ما لم يكن على الموازين بحسب البحث الاستدلالى لدى فقيه آخر فحينئذٍ فتواهم ليست بحجة، فإنّ هكذا قضايا وموازين ليست ضمن مساحة حجية الفقهاء ولا لأهل الخبرة وإنما لا بدَّ من إعمال البراهين والرجوع للبديهيات والضروريات، والتمييز بين هاتين المساحتين واضحة وسهلة مع وجود الوعى فى البصيرة.

فلا يمكن لفقيه أن يرفع فرضاً كوجوب الصلاة بل حتّى لا يمكن للنبى (ص) أن يرفع مثل هذا الوجوب لمحدودية سنن النبى وكونها فى كنف فرائض الله، فإنّ أصل وجوب الصلاة والصوم وباقى الفرائض الضرورية هى من فرائض الله، كما أن زيادة الركعتين فى الصلاة الرباعية عند كل المسلمين من سنن النبى (ص)، فهذه سُنّةٌ للنبى فى كنف وظل وتابعية فريضة من فرائض الله وهى وجوب الصلاة، وكذلك سنن الأئمّة المعصومين (عليهم السلام) هى فى كنف وظل فرائض الله وسنن النبى، يعنى أنها لا تتجاوز وجود الفرائض الإلهية والسنن النبوية، كذلك فتوى الفقهاء فى حرمة الزنا وحرمة اللواط والربا مثلًا لا تتجاوز فرائض الله وسنن النبى ومناهج الأئمّة.

ومن لم يحافظ على هذه التراتبية والمحدودية وقع فى زيغ وفهم خاطىء لبعض الروايات كرواية الدين الجديد، حيث قال أبو جعفر (ع): «يقوم القائم بأمر جديد، وكتاب جديد، وقضاء جديد، على العرب شديد، ليس شأنه إلّا السيف، ولا يستتيب أحداً، ولا تأخذه فى

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٣٥٨

الله لومة لائم» («١») حيث فهم أن الإمام المهدى (ع) عند ظهوره يأتى بدين جديد وقرآن جديد ويدعو إلى شىء غريب ... فيفهم أن الإمام والعياذ بالله يرفع وجوب الصلاة ووجوب الزكاة والحج ويرفع حرمة الفواحش والربا ويأمر بقطع الرحم ... الخ، وهذا مستحيل، لأنّ صلاحيات الإمام لا تخرج عن صلاحيات الله وصلاحيات رسوله.

بل إن هذا هو معنى الغلو لأنّ معنى عدم الغلو فى الأئمّة أن لا نعتقد أنهم يأتون بشريعة جديدة تناهض وترد على شريعة الرسول والعياذ بالله بل نقول هم مسلمون وتابعون ومطيعون لله ولرسوله (ص)، فالاعتقاد الصحيح بإمامة أهل البيت (عليهم السلام) هو أنهم أئمّة منصوبون من الله تعالى وهم خلفاء الله ورسوله ومرتبطون بالغيب وليسوا بأنبياء، فلا يأتون بشريعة غير شريعة الرسول، ولا يخرجون عن دائرة شريعة سيد الرسل وخاتم الأنبياء.

كيف نتصور أن شخصاً يتشبث برواية أو روايتين أو حتّى عشرة أو مئة، ويتوهم بحسب هذا الفهم والتفسير الخاطىء أن المهدى (ع) يأتى بدين جديد بمعنى أنه يأتى بدين غير منضبط ضمن قوالب الحجية، وأنه والعياذ بالله يأمر باستباحة المحرمات التى حرمها الله تعالى ورسوله (ص) ويأمر بترك الواجبات التى فرضها الله تعالى، كيف يتصور ذلك وأىّ عاقل يقبل به.

بل حتّى لو فرضنا أنه يأتى بدين جديد فلا بدَّ أن يكون ذلك الدين منظماً ومنضبطاً ضمن مراتب وقوالب الحجية، وإلّا كان الضلال

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٣٥٩

والاضلال كما هو الحال فى الفرق الضالة والمنحرفة والمدعية للزيغ فى الغيبة الصغرى، كما يذكرها الشيخ الطوسى («١») فى كتاب الغيبة كالشلمغانية والشريعية وغيرها، وما ذلك إلّا لاختلاط وعدم ترتب منظومة الحجج عندهم فضلوا وأضلوا جماهيرهم بتصويرهم أن حجية الإمام (ع) فوق حجية الرسول (ص).

وكيف نتصور أو يعقل أن تأتى مدرسة من المدارس الإسلاميّة بخبر أو رواية حتّى لو فرضنا صحتها ينسبونها للرسول (ص) فيها ردّ على القرآن الكريم وتحريم ما أوجبه الله تعالى فيه، فمثلًا بعد أن ثبت أن القرآن الكريم يدعو إلى التوسل بالنبى (ص) ويجعله من الأركان ومن أصول الإيمان فى قوله تعالى: وَما أَرْسَلْنا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جاؤُكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً رَحِيماً («٢») فيأتى البعض ويحرم التوسل اعتماداً على روايات ينسبها للنبى (ص) مع أن التوسل باب معنوى لطلب الاستغفار من الله تعالى، بل التوسل بالنبى وآله من أركان الدين كما تقدم بنص القرآن حيث يأمر: توسلوا وتوجهوا بالنبى (ص)، فقوله: جاؤُكَ معناه بالعامية الدارجة

(دخيلك يا رسول الله) فهو توجه وتوسل بالله تعالى، لكن لا مباشرةً، بل من طريق الباب وهو الرسول (ص)، لذا يأمر القرآن بالتوجه والتوسل ولو عن بعد المسافات، أليس كل المسلمين يقولون فى صلاتهم: (السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته) مخاطبين الرسول بذلك، و (الكاف)

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٣٦٠

فى اللغة العربية للمخاطب الحاضر، وهو تشريع فى ضرورى من ضروريات المسلمين، بل فى فعل توحيدى وهو الصلاة، حيث شرع فيها خطاب وتوسل وتوجه للنبى (ص).

كما أن فقهائنا كالشيخ الطوسى والشيخ المفيد والسيد المرتضى والشيخ الصدوق والشيخ الحلبى والشيخ ابن إدريس والشيخ ابن زهرة والشيخ سلار وكافة القدماء (رح) يفتون باستحباب السلام على الأئمّة (عليهم السلام) بعد التسليم على الرسول (ص) وقبل (السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين) حيث يقولون: يستحب أن تقول: (السلام على الأئمّة الراشدين المهديين من آل طه وياسين) («١»).

إذن كافة المسلمين يتوجهون فى الصلاة بالتسليم على النبى وهم لم يخرجوا من الصلاة وهذا من ضروريات المسلمين فقوله: وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جاؤُكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ («٢») يعنى لا يتوجهون إلى الله إلّا بأن يطرقوا باب الله الأعظم وهو الرسول (ص)، فطرق الباب أوّلًا ثمّ التمكن من الولوج فى الساحة الربوبية، قال تعالى: وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِها وَلكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوابِها وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ («٣») والنبى (ص) هو باب الله الأعظم، وباب الرسول (ص) هو على بن أبى طالب (ع)، قال رسول الله (ص) كما تواتر عنه: «أنا مدينة الحكمة وأنت يا على بابها» («۴»)، فمن أراد المدينة والحكمة فلا بدَّ أن يأتيها من بابها.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٣٦١

فمن وفودنا على وصى النبى نستطيع أن نفد على النبى (ص)، ومن وفودنا على النبى (ص) والتجائنا وتوجهنا وتوسلنا ولواذنا به نكون قد وفدنا على الساحة الربوبية وتوجهنا إلى الله (عزوجل).

وأيضاً فى قوله تعالى: وَإِذا قِيلَ لَهُمْ تَعالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُؤُسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ («١»)، فلم يقل: تعالوا إلى الله مباشرةً، إذ البارى لا يباشر ولا يتباشر ببشرة، بل لا بدَّ من الوفود على الرسول (ص) أوّلًا فهو الشافع المشفع، ولكن ما هو فعل المنافقين؟ لَوَّوْا رُؤُسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ، فالقرآن الكريم يبيّن أنهم ليسوا موحدين، بل هم مستكبرون.

والاستكبار صفة وسُنّة إبليس اللعين إذ استكبر ولم يسجد لآدم (ع) حيث يقول: قالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِيناً («٢») فسُنّة إبليس الاستكبار عن التوسل والتوجه.

قال الله تعالى: وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثاقَ النَّبِيِّينَ لَما آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِما مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلى

ذلِكُمْ إِصْرِي قالُوا أَقْرَرْنا قالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ* فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذلِكَ فَأُولئِكَ هُمُ الْفاسِقُونَ («٣») هذه الآيات من سورة آل عمران يحدّثنا القرآن فيها أن نبوات الأنبياء نالوها بشفاعة سيد الأنبياء محمّد (ص).

وهكذا الآيات من سورة الأعراف: إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْها لا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوابُ السَّماءِ وَلا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٣٦٢

الْخِياطِ وَكَذلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ («١») تبيّن لنا بأنه من دون التوسل بالنبى (ص) لا يدخل المسلم الجنّة ولا ترتفع لديه عقيدة، حيث يقول: كَذَّبُوا بِآياتِنا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْها أى تكذيب واستكبار وليس تكذيباً فقط، وإنما تكذيب واستكبار على الأنبياء والرسل والأولياء الصالحين، وهم آيات من آيات الله تعالى، قال تعالى: وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْناهُما إِلى رَبْوَةٍ ذاتِ قَرارٍ وَمَعِينٍ («٢») وأكبر وأعظم آيات الله هو الرسول محمّد (ص) وأهل بيته الأطهار (عليهم السلام).

ثمّ إن القرآن عبّر: اسْتَكْبَرُوا عَنْها ولم يعبر: (استكبروا عليها)، فما الفرق بين استكبروا عليها وبين استكبروا عنها؟

ذكر فى كتب الأدب واللغة أن فعلًا ما قد يضمن معنى فعل آخر ثمّ يؤتى بأداة تناسب المعنى المتضمن، فالمعنى حينئذٍ استكبروا وصدوا عنها، فيقول القرآن: إن أولئك استكبروا وصدوا عن التوسل والتوجه لرسول الله (ص) ولووا رؤوسهم ويصدون وهم

يستكبرون، أى كما فعل إبليس اللعين إذ استكبر عن آيات الله.

وأكبر آيات الله هو الرسول (ص)، فالتوجه والتوسل والخضوع لآيات وحجج الله شرطٌ وركن ركين كى تنفتح أبواب السماء لعملك ولعقيدتك مَنْ كانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعاً إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ («٣») فالصعود والرفع مشروط بالخضوع والتوجه والتوسل لنبى الله (ص) ولحجج وآيات الله.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٣۶٣

والمستكبر عن آيات الله محالٌ أن يدخل الجنّة كما يعبر القرآن حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِياطِ («١») إذن لا ننجو ولا يقبل ولا يصح إيماننا إلّا بالاتيان بفريضة إيمانية من فرائض القرآن الكريم وهى التوسل والتوجه للنبى (ص).

إذن لا بدَّ أن نقرأ رواية الدين الجديد الذى يأتى به المهدى (ع) فى ظل هذه المسلّمات، يعنى فى منطقة غير الضروريات من فرائض الله تعالى وسُنّة النبى (ص) ومنهاج الأئمّة (عليهم السلام) أى فى تلك المنطقة الوسيعة وهى منطقة النظريات التى اكتنفها تشابه وريب واختلاط عبر القرون، ومع ذلك لا يأتى (ع) فى تلك المنطقة إلّا بما هو حق حقيق.

لذا نقرأ فى دعاء الندبة:

«أين المدخر لتجديد الفرائض والسنن، أين المتخير لإعادة الملّة والشريعة، أين المؤمل لإحياء الكتاب وحدوده، أين محى معالم الدين وأهله» («٢»).

وكذا فى دعاء العهد:

«واجعله اللهم ... ومجدداً لما عطل من أحكام كتابك ومشيداً لما ورد من أعلام دينك وسنن نبيك (ص)» («٣»).

وهكذا فى دعاء الافتتاح أيضاً:

«اللهم اجعله الداعى إلى كتابك والقائم بدينك» («۴»).

‘‘‘

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٣۶۴

وهكذا فى دعاء يدعى به فى زمن الغيبة والمروى عن صاحب الزمان (ع ...): « وجدد به ما امتحى من دينك وأصلح به ما بدل من حكمك وغُيِّر من سُنّتك حتّى يعود دينك به وعلى يديه غضاً شديداً صحيحاً لا عوج فيه ولا بدعة فيه» («١»).

وغيرها من الأدعية.

ففى دعواتنا والتزاماتنا وتوجهاتنا أنه (ع) يحى دين الله ويعمل بكتابه وسُنّة رسوله ويسير على نهج الأئمّة السابقين، لا كما يذكر من الفهم المعوج المزعوم استظهاره من آحاد الروايات والعياذ بالله تعالى وحاشاه (ع) من أنه يميت القرآن وسُنّة النبى ونحو ذلك.

فبالاعتماد على انحفاظ تراتبية الحجج ومعرفة مراتب الصلاحيات نفهم الرواية بالفهم الصحيح، أما إذا اختلطت علينا مراتب الحجج ودلائل الدين وصارت فوضى وفوضوية فى البصيرة والمعرفة نصل لفهم واستنتاج خاطئ ومعوج وننزلق فى متاهات وظلمات ونخرج من الدين.

إذاً هناك تراتبية فى منظومة الحجج لا يمكن هدمها ولا تقديم شىء منها على غيره، فإنّ توحيد الله تعالى إنما يتم وفق الموازين العقلية

وبديهياته فتكون بديهيات العقل فى أعلى مراتب الحجج ثمّ توحيد الله، وأن نبوة أىّ نبى لا بدَّ أن تكون من خلال توحيد الله، فنبوة الأنبياء لا بدَّ أن تكون فى كنف وظل وهيمنة توحيد الله، وهكذا إمامة أىّ إمام بالنسبة لنبوة الأنبياء، وهكذا بالنسبة للفقهاء مع الأئمّة (عليهم السلام)، فتكون الحجج مرتبة بالترتيب الهرمى هكذا بديهيات العقل ثمّ توحيد الله تعالى ثمّ نبوة الأنبياء ثمّ وصاية الأوصياء ثمّ النواب الخاصون والنواب العامون.

، دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٣۶۵

وسيتضح هذا الترتيب جلياً من خلال بيان كيفية إعمال القواعد الرقابية فى الفصل الآتى (الخامس).

تراتب حجية الأئمّة ...: ص: ٣۶۵

قد يستفهم البعض عن لابدّية الضبط والانضباط فى الحجج ضمن نظام خاص ومنظومة خاصة؟

ولكن بالالتفات لما تقدم والاغراض والحِكَم التى لأجلها أوجد الله تعالى هذا الخلق العظيم فإنّه تعالى أراد لهذا الخلق التكامل والسير فى طرق تحصيل الرضا منه تعالى.

ولما كان الشيطان قد وضع حبائله وعمل بأساليبه الخبيثة لايجاد طرقٍ مزيفة لإضلال الناس وإيقاعهم فى الزيغ ليتركوا الطريق الذى رسمه الله تعالى لهم.

من هنا جاءت الحاجة لطريق وقناة اتصال بالحق وبعالم الغيب ولابدَّ أن تكون قناة يقينية الصدق وهى قناة المعصومين (عليهم السلام) فكان سيد الرسل محمّد (ص) القناة الوحيدة الذى له القدرة على الاتصال بعالم

الحق ومن خلاله يتصل عالم الإمكان بعالم الحق تعالى، فإنّ ما يتلقاه سيد الرسل عن الله تعالى يعظم حتّى ما يتلقاه جبرائيل (ع) ليوصله للنبى ويعظم ما يتلقاه روح القدس ليوصله للنبى، وهذا مؤيد ومدلل عليه بروايات عنه (ص) حيث نقل أنه (ص) تعرضه الغشية، وفى بعض الروايات أن ذلك حينما لا يكون بينه وبين الله تعالى ملك ولا وسيط، وكما ورد عنه (ص): «لى مع الله حالات لا يسعها لا ملك مقرب ولا نبى

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٣۶۶

مرسل» («١») وفى بعض الروايات (لنا) بدل (لى) أى أن قناة الاتصال من العظمة والشأن بحيث لا يتحملها إلّا محمّد وأهل بيته (عليهم السلام).

ومما يؤيّد ذلك ما ورد فى آية الإسراء وروايات أهل البيت (عليهم السلام) أن النبى (ص) رآى فى المنام بنى أمية وبنى مروان ينزون على منبره فغم الرسول (ص) لذلك، فنزل عليه جبرائيل وسأله عن سبب اغتمامه فأخبره الرسول بما رآى، فقال جبرائيل: إن ذلك شىء لم أعلمه فعرج إلى الله تعالى فأنزل هذه الآية من قوله تعالى: وَما جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِى أَرَيْناكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِى الْقُرْآنِ («٢») أى أن هناك من عالم الحق وعالم الغيب ما يوصله الله تعالى للنبى (ص) مباشرةً من دون المرور بجبرائيل ولا غيره.

لذلك تقدمت حجية الرسول (ص) وصارت بعد حجية الله تعالى،

ثمّ جاءت حجية الأئمّة (عليهم السلام) بعد حجية الرسول وقبل حجية جميع الأنبياء والمرسلين والملائكة المقربين، ويشير لذلك ما فى الزيارة الجامعة ... « حتّى لم يبق نبى مرسل ولا صديق ... إلّا عرفتهم جلالة أمرهم حتّى لا يطمع » («... ٣») من هنا تبيّن قول أمير المؤمنين (ع): «نزّهونا عن الربوبية وقولوا فينا ما شئتم» («۴») وما عن الصادق (ع) قال بعد أن سُئل

، دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٣۶٧

ما أنتم: «خزان علم الله وتراجمة وحى الله، ونحن قوم معصومون أمر الله بطاعتنا ونهى عن معصيتنا، نحن الحجة البالغة على من دون السماء وفوق الأرض» («١»).

فحجية الرسول بعد حجية الله، ثمّ حجية الأئمّة (عليهم السلام)، ثمّ حجية الفقهاء، ولكن حجية الأئمّة أيضاً لها تراتبية خاصة بحيث لا يمكن للإمام اللاحق تجاوز

حجية الإمام السابق، فإنّهم (عليهم السلام) قناة واحدة متصلة ذات تراتب طولى يبتدئ بالرسول الأعظم وينتهى بالمهدى المنتظر (ع).

فإنّه ورد فى الكافى: «لا يتنزل شىء من الله تعالى إلّا ويتنزل أوّلًا على رسول الله (ص)، ثمّ على على أمير المؤمنين (ع)، ثمّ الحسن، ثمّ

الحسين حتّى الإمام المهدى سلام الله عليهم أجمعين» («۲»).

‘‘‘‘

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۳۶۸

فهم (عليهم السلام) قناة واحدة ويكون الإمام الأخير فيها له الإمامة الفعلية فقد روى عن الصادق (ع) قال: «حب ولايتى لجدّى على بن أبى طالب أحب إلىَّ من نسبى إليه» («۱») ونظيره روى عن الكاظم (ع)، يعنى أنه (ع) يتولى الطاعة لأمير المؤمنين والولاية له مع أن كلًا منهما حجة وإمام معصوم.

وبالتالى فإنّ هرم القيادة والإمامة والولاية تبقى محفوظة فى هذه السلسلة فإنّ إمامة وقيادة وولاية وحجية الأئمّة السابقين مفعلة دائماً كما أن حجية الله تعالى مفعلة حتّى مع وجود الأنبياء والأوصياء فكذلك الأئمّة السابقون، وهذه قاعدة فى الحجج، فإنّ الحجة الأعلى تبقى مفعلة دائماً حتّى مع فعلية الحجة الأقل والأدون.

من هنا يندفع توهم البعض بأنه كيف يتفق فى دولة الرجعة رجوع أمير المؤمنين والحسن والحسين (عليهم السلام) مع أن الإمامة الفعلية للمهدى (ع)، إذ من المعلوم أن أمير المؤمنين والحسنين أفضل من المهدى (ع)، فكيف نتصور وجود الأفضل مع أن الإمامة الفعلية للأقل فضلًا؟

فإنّ هذا مندفع إذا التفتنا إلى أن كون الإمامة الفعلية هى للإمام المهدى لا يعنى عدم إشراف أمير المؤمنين والحسنين (عليهم السلام) على إمامة المهدى، وذلك لما قرر فى جملة من الروايات وغيرها من الدلائل القرآنية أن ولاية الرسول (ص)

، دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۳۶۹

وولاية أمير المؤمنين والحسنين لم تنقطع بانتقالهم إلى البرزخ وعالم الآخرة، فسلسلة مراتب الولاية محفوظة وأن طاعة الرسول لزومها فعلى على كل إمام من الأئمّة (عليهم السلام) كما ورد عن أبى عبد الله (ع) أنه قال: «كأنى أنظر إلى القائم (ع) على منبر الكوفة وحوله أصحابه ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلًا عدة أهل بدر، وهم أصحاب الألوية، وهم حكّام الله فى أرضه على خلقه، حتّى يستخرج من قبائه كتاباً مختوماً بخاتم من ذهب، عهد معهود من رسول الله (ص)، فيجفلون عنه إجفال الغنم البكم، فلا يبقى منهم إلّا الوزير وأحد عشر نقيباً، كما بقوا مع موسى ابن عمران (ع)، فيجولون فى الأرض ولا يجدون عنه مذهباً فيرجعون إليه، والله إنى لأعرف الكلام الذى يقوله لهم فيكفرون به» («۱»).

وهذا نظير التشكيلات الحكومية فى هذه الأزمنة فإنّ رئيس الوزراء هو المباشر للقيادة الفعلية والإدارة، مع أن رئيس الجمهورية يعد رسمياً له المنصب الأعلى ولا بدَّ لرئيس الوزراء أن يطيعه، بل إن قرارات رئيس الوزراء لا تسرى ما لم يقرّها رئيس الجمهورية.

لذا لا بدَّ أن نفهم الإمامة بمعنى الجهاز المنظومى وليس بمعنى الفرد الواحد البشرى، بل هى كتلة جهاز واحد متكامل عبارة عن سلسلة حجج مرتبة الأعلى فالأعلى، وأن الإمام المباشر والفعلى لا يعنى كونه الأفضل، بل يكون للإمام الأعلى حجية ودور الإشراف فى مرحلة فعلية إمامة الأقل حجية.

***

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۳۷۳

الفصل الخامس: القواعد الرقابية فى المعرفة ... ص: ۳۷۳

اشارة

بعد أن علمنا أن هناك أنواعاً من الحجج وأنها مرتبة ومنظمة وفق هندسة إلهية خاصة، وأن من الحجج ما هو محكم ومنها ما هو

متشابه، وأن المحكم والمتشابه فى الحجج أمر نسبى وليس ذاتياً لها إذ العمل بالحجة فى مرتبتها محكم والعمل بها فى غير مرتبتها متشابه، وعليه فإنه من ضمن هندسة إحكام منظومة الحجج لا بدَّ من ضوابط وقواعد معينة يعرف من خلالها أن العمل بتلك الحجة هل هو فى مرتبتها ليكون العمل بها عملًا بالمحكم، أم صوعد بها لغير مرتبتها فيكون العمل بها عملًا بالمتشابه؟

وهذه القواعد هى نفس تحديد مرتبة كل مرتبة من تلك الحجج بحيث إن نفس تلك الحجة من جهة العمل بها فى مرتبتها يكون عملًا بالمحكم، ومن جهة هيمنتها على الحجة الأدون منها تكون قاعدة رقابية تبيّن لنا نوع العمل بغيرها من كونه عملًا بالمتشابه.

ولذا يمكن أن تكون عندنا القواعد الرقابية التالية:

بديهيات العقل أولى القواعد ...: ص: ۳۷۳

أولى القواعد الرقابية هى بديهيات العقل، فلا يمكن لله تعالى أن يطالبنا بخلاف تلك البديهيات، فإنّه تعالى حيث يخاطبنا ويطالبنا بالتوحيد إلّا أن ذلك ليس خلافاً لبديهيات العقل، فإنّه تعالى يقول: لَوْ كانَ فِيهِما آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتا فَسُبْحانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ («۱») فإنّ الله

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٣٧۴

تعالى يرشد العقل السليم إلى بديهة من بديهياته وأنه لا بدَّ لهذا الكون والعالم من إله واحد وإلّا لوقع الاضطراب والتنافر وبالتالى يقع الفساد، فإنه تعالى بهذه الآية لا يستدل على وحدانيته لأن الوحدانية من البديهيات وقد ثبت فى محله أن البديهى ينبه عليه ولا يستدل له.

وهو بديهية عقلية كما أنه تعالى لا يأمر بالظلم ولا ينهى عن العدل والاحسان التى هى بديهيات العقل فقول الله تعالى: وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ («۱»)، وَما رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ («۲»)، وَما أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ («۳»)، فلِمَ ينفى الله (عزوجل) عن نفسه الظلم ولِمَ يدافع عن نفسه؟ فهل يقع الريب أو الشكّ فى الله تعالى أو فى أمانته أو لكى يبيّن لنا أن بديهيات العقل لا يخالفها من قبح الظلم ونحوها؟

إنما ذلك منه تعالى لكى يبين لنا أن قُبح الظلم وحُسن العدل قواعد رقابية معرفية لمعرفة إلوهيته تعالى فيقول: لا تقصوا ولا تغلقوا ولا تُلغوا عقولكم فإنّ بديهيات العقل صرح مشيد لا يمكن تجاوزها، وأن أوامر الإله لا يمكن بحالٍ أن تتجاوز ذلك الصرح، فإنّ مساحة شأن صلاحيات الله وحجيته لا تناقض ولا تتعدى بديهيات العقل فى إدراك الكمال لذا قال تعالى: قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبالِغَةُ فَلَوْ شاءَ لَهَداكُمْ أَجْمَعِينَ («۴»)، لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ («۵»).

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٣٧۵

من هنا يتضح أن من يدعى الإلوهية والربوبية لا بدَّ أن لا يتجاوز بديهيات العقل السليم وإلّا لو تجاوز أىّ بديهة منها فذلك كاشف عن بطلان دعواه، بل إنه بمجرد ثبوت إلهية الله تعالى ببديهة العقل لا بدَّ أن يكون الإله واحداً، فتضاف حينئذٍ بديهة لبديهيات العقل وهى بطلان دعوة أىّ مدعى للإلوهية.

ضروريات دين الله ثانى القواعد ...: ص: ۳۷۵

وثانى القواعد الرقابية يُبيّنها لنا القرآن الكريم من أن الرسول (ص) وكل الرسل وكل الأنبياء حجيتهم وإن كانت مطلقة بالنسبة إلى من دونهم إلّا أنها بالنسبة إلى حُجية الله هى محدودة لأنّ حجية البارى تعالى فوق حجية الأنبياء بل إن حجية الأنبياء متفرعة على حجية الله، فحجية الأنبياء لا بدَّ أن تقع تحت ظل وهيمنة حجية الله تعالى، قال الله تعالى: ما كانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِباداً لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ («۱») فمضمون الآية وعدة آيات أخرى تبيّن حدود طاعة أىّ رسول ونبى من الأنبياء بأنها محدودة باطار وقانون ونظام التوحيد، قال صادق آل محمّد (ع): «لم يبعث نبى إلّا بتحريم أصول المحرمات» («۲»)

فالمحرمات والفواحش لا يمكن لنبى أن لا يحرمها كما لا يمكنه أن لا يوجب الواجبات كالصلاة والصوم فهذه أصول لا يمكن لنبى أن يتجاوزها ولا يمكن له أن يرفعها لأنها من فرائض الله وأن دين الله واحد، فلو افترضنا جدلًا وإن كان محالًا

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٣٧۶

وحاشى لساحة الأنبياء والرسل ذلك أن نبياً من الأنبياء أو رسولًا من الرسل دعا الناس إلى ما يخالف وحدانية الله تعالى أو لمخالفة ضرورة من ضروريات دين الله تعالى لسقطت حجيته والذى يكشف عن عدم نبوته أساساً أى يكون مدعياً للنبوة كذباً وليس هو بنبى حقيقةً، فإنّ توحيد الله قاعدة رقابية معرفية على حجية الرسل كما أنه لو فرضنا أن نبياً أباح محرماً إلهياً أو لم يوجب واجباً من ما قد فرضه الله تعالى فى أصول الديانة فهو أيضاً كاشف عن سقوط حجيته وبالتالى عن عدم نبوته أساساً أيضاً لأن ذلك ليس من صلاحيات الأنبياء والرسل.

فالقرآن الكريم وبديهيات العقل تضع لنا نصاباً وضابطة لحجية الرسل والأنبياء وذلك أن مشروعية الرسل ورسالة الرسل وشرائع الرسل يجب أن لا تخرج عن التوحيد والتنزيه والتعظيم لله تعالى، وأن منتهى العلو والعلياء إنما هو للبارى تعالى لا غيره وأن المبدأ والمعاد إليه جلّ وعلا، فضروريات الدين قاعدة رقابية على الرسل وعلى حجية الرسل لو تخطوها وحاشاهم ذلك لانكشف أنهم ليسوا برسل ولسلبت صلاحياتهم من النبوة والرسالة وبهذه القاعدة الرقابية نميز ونفرق ونستكشف صدق الرسول المحق من زيف المدعى للرسالة كمسيلمة الكذاب، فمن خلال تجاوزه لحدود توحيد الله أو لضرورات دين الله اتضح بطلان ما يدعيه لنفسه من النبوة.

فالرسل وإن كانوا معصومين ومنزهين يصطفيهم الله تعالى فى غابر علمه إلّا أن الله تعالى يقول: لا تلغوا ولا تقصوا عقولكم، بل إن الرقابة والفحص مستمر ولا بدَّ منها، لأن دين الله هو دين النور والهداية ودين المناهج والشرائع المنضبطة ودين البصائر لا دين العماية، فحجية الرسل تتلو حجية الله (عزوجل) فهى محدودة بحجية الله.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٣٧٧

سنن الأنبياء ثالث القواعد ...: ص: ٣٧٧

وحجية الرسل بدورها ضابطة وقاعدة رقابية لمعرفة الناس لإمامة الأئمّة (عليهم السلام) أى أن حجية الأئمّة لا تخرج من هيمنة حجية سيد الرسل، فهم (عليهم السلام) لا يتجاوزون ضروريات سنن الرسول (ص)، لذلك قال رسول الله (ص) لأمير المؤمنين (ع): «إنى قاتلت على تنزيل القرآن وستقاتل أنت يا على على تأويله» («١») فإنّ الأمير (ع) لم يكن ليتجاوز شريعة سيد الرسل بل مطبق لها وسائر على نهجها فهو حارب على تأويلها أى على تطبيق ما جاء به سيد الرسل.

لذا نقرأ فى زيارة أمين الله: «أشهد أنك جاهدت فى الله حق جهاده وعملت بكتابه » («... ٢») فهو (ع) تابع لضرورات فرائض الله وعامل بكتابه تعالى ومطبق لسنن سيد الرسل (ص)، فمن العلامات الكبرى لحقانية سيد الأوصياء أنه عمل بسُنّة النبى (ص) وليس مبدلًا لها.

وهكذا كثير من الزيارات لأمير المؤمنين (ع) فيها نعوت كثيرة

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٣٧٨

ومتميزة لسيد الأوصياء (ع) بأنه منفذ متقيد تابع لضرورات الدين ولسُنّة النبى (ص).

فبديهيات العقل وضرورات الدين وسُنّة سيد المرسلين قواعد رقابية تكشف للأمّة الإسلاميّة من هو على (ع) ومن هو غيره، من هو إمام الهدى ومن هو إمام الضلالة، من سار على دين الله وسُنّة نبيه ومن خالف وأحدث وبدل فى السُنّة الشريفة لسيد الرسل (ص).

وكذا الزهراء (ع) وما أدراك ما الزهراء الصديقة الطاهرة بضعة الرسول سيدة نساء أهل الجنّة وهى تسود كل النساء الصالحات المؤمنات نزلت بحقها العديد من الآيات، التطهير، المباهلة، وسورة الإنسان وما اسند إليها من صلاحيات الفيء وهى أقرب قربى النبى،

والنصوص مفعمة فى حقها (ع) ومع كل ذلك فإنّها فى خطبتها ومحاججتها مع السلطة لم تطلب شيئاً من ذلك، وإنما قالت: «أفخصكم الله بآية أخرج أبى (ص) منها أم تقولون أهل ملتين لا يتوارثان أوَلست أنا وأبى من أهل ملّة واحدة» («١») ومفاد ذلك منها (ع) أنها تقول للعقول: إن دين الإسلام ليس دين عماء وعماية بل دين بصيرة، فابصروا بعقولكم هل خرجت عن ملّة أبى كى لا أرثه، أى أنى لا زلت تحت القواعد

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٣٧٩

الرقابية الواجب على عدم تجاوزها فإنّى لم أتجاوزها فلم أخالف ضروريات الدين ولا سُنّة سيد المرسلين.

إذاً حجية الزهراء (ع) مع عصمتها وما لها من المقامات الأخروية والتكوينية وعلو شأنها مع كل ذلك هى فى ظل ضرورات الدين وفرائض الله وضرورات سُنّة أبيها سيد المرسلين (ص) ومنهاج أمير المؤمنين (ع)، فحجية الله وحجية الرسول (ص) وحجية سيد الأوصياء (ع) فوق حجية الزهراء أى أن حجية الزهراء منضبطة ضمن إطار حجية الله وحجية الرسول، فلحجية الله والرسول الهيمنة على حجية الزهراء والأئمّة الأطهار (عليهم السلام).

فمن هذا القبيل كلام سيد الشهداء (ع) يوم عاشوراء: «يا ويلكم أتقاتلونى على سُنّة بدلتها أم على شريعة غيرتها » («... ١») فإنّ معنى ومؤدى هذه العبارة من الإمام الحسين (ع) أن إمامته وحجيته دون حجية الرسول (ص) وأن هناك قاعدة رقابية تحده إذا تجاوزها، فللغير أن يعرفه بتلك الحدود والمقررات ويحاسبه ويقاتله، وأما مع عدم تجاوزه دائرته وحجيته وأنه ما زال ضمن مرتبته فلا يحق للغير من العامة والناس مُسائلته ومقاتلته، بل اللازم اتّباعه وطاعته، وتلك القاعدة الرقابية هى دين الله وشريعة سيد الرسل، فضرورات وفرائض دين الله وضرورات وسنن النبى (ص) قواعد رقابية معرفية للناس على استقامة أئمّة أهل البيت (عليهم السلام)، وهو أمر عظيم فالإمام الحسين لا يطالب الناس بالالتفات إلى عصمته وأنه ريحانة الرسول وأن الكثير من الآيات نازلة بحقه وأنه سيد شباب أهل

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٣٨٠

الجنّة و ... فإنّ كل ذلك مفروغ عنه ولا شكّ فيه، كما أنه لم يطالب بالالتفات إلى ما نُص عليه من إمامته وخلافته، بل طالب بالالتفات إلى أنه لم يخالف القواعد الرقابية المعرفية وهى دين الله وسُنّة رسوله فيقول: إنى لم أخرج عن ضرورات فرائض الله ولا ضرورات سنن النبى (ص)، فإنّه ليس لى صلاحية ذلك، وإلّا فلو خرجت عن ذلك لاستحللتم تكفيرى وقتلى وسفك دمى.

فلننظر إلى الدين الإسلامى ومذهب أهل البيت كم هو رائع، فإنّه دين التثبت والعقل والبصيرة لا دين العماية، لو افترى على الله والعياذ بالله لأخذنا منه باليمين أو لقطعنا منه الوتين قال تعالى: لَأَخَذْنا مِنْهُ بِالْيَمِينِ* ثُمَّ لَقَطَعْنا مِنْهُ الْوَتِينَ («١»).

لذا فإنّ حجية الأئمّة (عليهم السلام) فى ظل هيمنة حجية الله ورسوله وتابعه لها، كما يقول الإمام على بن موسى الرضا (ع): «إن الله حرم حراماً وأحل حلالًا وفرض فرائض، فما جاء فى تحليل ما حرم الله أو فى تحريم ما أحل الله أو دفع فريضة فى كتاب الله رسمها بين قائم بلا ناسخ نسخ ذلك فذلك ما لا يسع الأخذ به، لأن رسول الله (ص) لم يكن ليحرم ما أحل الله ولا ليحلل ما حرم الله ولا ليغير فرائض الله وأحكامه، كان فى ذلك كله متبعاً مسلماً مؤدياً عن الله، وذلك قول الله: إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا ما يُوحى إِلَيَّ («٢») فكان (ع) متبعاً لله مؤدياً عن الله ما أمره به من تبليغ الرسالة»، قلت: فإنه يرد عنكم الحديث فى الشىء عن رسول الله (ص) مما ليس فى الكتاب وهو فى السُنّة ثمّ يرد خلافه، فقال: «كذلك قد نهى رسول الله (ص) عن أشياء نهى حرام فوافق فى ذلك نهيه نهى الله، وأمر بأشياء فصار ذلك

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٣٨١

الأمر واجباً لازماً كعدل فرائض الله فوافق فى ذلك أمره أمر الله، فما جاء فى النهى عن رسول الله (ص) نهى حرام ثمّ جاء خلافه لم يسع استعمال ذلك، وكذلك فيما أمر به، لأنا لا نرخص فيما لم يرخص فيه رسول الله (ص) ولا نأمر بخلاف ما أمر به رسول الله (ص) إلّا لعلة خوف ضرورة، فأما أن نستحل ما حرم رسول الله (ص) أو نحرم ما استحل رسول الله (ص) فلا يكون ذلك أبداً، لأنّا، تابعون لرسول الله (ص) مسلمون له كما كان رسول الله (ص) تابعاً لأمر ربه مسلماً له، وقال الله (عزوجل): وَما آتاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ

وَما نَهاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا («١») وإن الله نهى عن أشياء ليس نهى حرام بل إعافة وكراهة، وأمر بأشياء ليس بأمر فرض ولا واجب بل أمر فضل ورجحان فى الدين، ثمّ رخص فى ذلك للمعلول وغير المعلول، فما كان عن رسول الله (ص) نهى إعافة أو أمر فضل فذلك الذى يسع استعمال الرخصة فيه، إذا ورد عليكم عنا الخبر فيه باتفاق يرويه من يرويه فى النهى ولا ينكره وكان الخبران صحيحين معروفين باتفاق الناقلة فيهما يجب الأخذ بأحدهما أو بهما جميعاً أو بأيّهما شئت وأحببت، موسع ذلك لك من باب التسليم لرسول الله (ص) والردّ إليه وإلينا، وكان تاركك ذلك من باب العناد والإنكار وترك التسليم لرسول الله (ص) مشركاً بالله العظيم، فما ورد عليكم من خبرين مختلفين فاعرضوهما على كتاب الله، فما كان فى كتاب الله موجوداً حلالًا أو حراماً فاتبعوا ما وافق الكتاب، وما لم يكن فى الكتاب فاعرضوه على سنن رسول الله (ص)، فما كان فى السُنّة موجوداً منهياً عنه نهى حرام ومأموراً به عن رسول الله (ص) أمر إلزام فاتبعوا ما وافق نهى رسول الله (ص) وأمره، وما كان فى السُنّة نهى إعافة أو كراهة ثمّ كان الخبر الأخير خلافه فذلك رخصة فيما عافه رسول الله

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٣٨٢

(ص) وكرهه ولم يحرمه، فذلك الذى يسع الأخذ بهما جميعاً وبأيّهما شئت وسعك الاختيار من باب التسليم والإتباع والردّ إلى رسول الله (ص)، وما لم تجدوه فى شىء من هذا الوجوه فردوا إلينا علمه فنحن أولى بذلك، ولا تقولوا فيه بآرائكم، وعليكم بالكف والتثبت والوقوف وأنتم طالبون باحثون حتّى يأتيكم البيان من عندنا» («١»).

فكما أن الدين قاعدة رقابية على حجية الرسل، كذلك شريعة الرسول محمّد (ص) وسُنّة سيد الرسل (ص) قاعدة رقابية على حجية الأئمّة (عليهم السلام)، فليس من صلاحيات الأئمّة تبديل ضرورات سنن سيد الرسل، لذا قال الرسول (ص): «أيها الناس حلالى حلال إلى يوم القيامة وحرامى حرام إلى يوم القيامة» («٢»)، فالأئمّة لما لم يكونوا أنبياء فهم لم يأتوا بشريعة غير شريعة سيد الأنبياء (ص)، وهذه قاعدة رقابية أعطاها الله تعالى ورسوله (ص) للأمّة الإسلاميّة لتمييز الإمام المحق من الإمام الباطل المبطل.

وهذا معنى تراتبية الحجج، أى أن بعض الحجج أكبر من البعض الآخر.

مواقف الزهراء (ع) رابع القواعد الرقابية ...: ص: ٣٨٢

يقول النبى (ص): «يا على أنا كالشمس، وأنت كالقمر، والزهراء كالزهرة، والحسنان كالفرقدين» («٣»)، فهذا التشبيه والفوارق منه صلوات الله عليه يذكرها لبيان تراتبية الحجج وأن بعض الحجج فوق بعض، فإنّ حجية الرسول (ص) فوق حجية سيد الأوصياء، وحجية سيد الأوصياء

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٣٨٣

فوق حجية الزهراء، وحجية الزهراء فوق حجية الحسنين (عليهم السلام)، فلا يمكن لسيد الأوصياء (ع) أن يتخطى مواقف الرسول (ص)، ولا يمكن للزهراء (ع) أن تتخطى مواقف سيد الأوصياء (ع)، ولا يمكن للحسنين (ع) أن يتخطيا مواقف الزهراء (ع) فى الأحداث التى جرت بعد رسول الله (ص)، كما لا يمكن لإمام من أئمّة أهل البيت الأحد عشر أن يتخطوا الزهراء (ع)، لأن حجيتها فوق حجيتهم، كما ينسب إليه (ع ...): « وجدّتنا الزهراء حجة علينا » («... ١») وهو مضمون أن نورهم اشتق من نورها كما فى روايات النور المستفيضة، ومضمون أن من مصادر علمهم (عليهم السلام) مصحف فاطمة (ع).

كما أن حجية الحسنين فوق حجية الأئمّة التسعة، فلا يمكن أن نتصور ونتعقل ما قد يذكر من الفهم المعوج من أن الإمام المهدى يدعو لمعاداة آباءه من الأئمّة وأنه يهدم قبورهم ومراقدهم وعدم تعظيمهم («... ٢»).

فإنّ ذلك خلاف صلاحياته ورتبة حجيته (ع) فلا يمكنه نبذ اتّباع روايات آبائه وسننهم وضرورات الدين وسُنّة سيد المرسلين فله دائرة حجية لا يتعداها ولا يتجاوزها، ويؤكد ذلك ما يذكره الشيخ الطوسى فى كتاب الغيبة والشيخ الصدوق فى كتاب كمال الدين وما فى

كتاب الغيبة للنعمانى وغيرها من كتب الأصحاب أنه (ع) حينما وجهت إليه أسئلة على يد النواب الأربعة (رض) فإنّه أكثر من تسعين بالمائة من الأجوبة

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٣٨٤

وتوقيعاته الشريفة كانت إرجاعات لضرورات سنن آبائه السابقين (عليهم السلام) من رواياتهم وتراثهم الشريف لأن ذلك التراث من آبائه يمثل ضرورات سنن الرسول والأئمّة الصالحين الطاهرين، فهو (ع) بذلك يؤكد ويُشدد يد الناس عليها لأنها قاعدة رقابية معرفية لاستقامة الإمام الثانى عشر (ع)، لأن اعتقادنا بالإمام الثانى عشر فرع وتابع لاعتقادنا برسول الله ولاعتقادنا بالإمام على بن أبى طالب ولأنّا اعتقدنا بالزهراء ومظلوميتها (ع) ولأنّا اعتقدنا بالحسنين (ع)، فكيف يتصور أن الإمام الثانى عشر (ع) يتخطى إمامة أئمّة أهل البيت (عليهم السلام) لأنهم قاعدة رقابية على معرفة حجيته.

وحتّى لو فرضنا فى عصر الظهور وبويع الإمام (ع) عند ركن الكعبة وحشدت أنصاره وهزم جيش السفيانى وأقام الإمام الدولة المباركة على أرض العراق و، ... فهل يمكن الاستغناء عن تراث أهل البيت (عليهم السلام)؟

كلا وحاشى، لأن تراث أهل البيت (عليهم السلام) فيه ضرورات سُنّة النبى (ص) وضرورات سنن المعصومين، والإمام المهدى (ع) وإن كان فى الحقيقة ينبوع كل شىء ولكن لا يمكن أن يستغنى عن ضرورات الدين وسنن النبى والأئمّة، وهو لا يتخطى ذلك لأن ضرورات الدين وسنن النبى والأئمّة من آبائه الطاهرين قواعد رقابية على حجيته.

فلو ادعى مدعى أنه الإمام المهدى، ثمّ تجاوز ذلك التراث لكشف ذلك عن زيف دعواه، فلا يتوهم متوهم أنه (ع) لأجل أن عنده علم كل شىء وبالتالى يتخطى ويقفز على شريعة جدّه حاشاه ذلك، بل هو يحيى شريعة جدّه فى دائرة المتشابهات وما هو منسى من سُنّة النبى،

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٣٨٥

لذلك فإنّ أحد المهام العظيمة للحوزات العلمية هو إبقاء دور الفقهاء كجهاز وأيدى وسواعد وأعوان للإمام المعصوم فى دولة الظهور ودولة الرجعة وإن كان للإمام فى دولته نواب خاصون.

ولا يتوهم أن الإمام (ع) بعد ظهوره حيث تتكامل العلوم والعقول فلا تبقى حاجة لتراث أهل البيت (عليهم السلام)، لأن الاعتقاد بالإمام والإمامة وحجيته لا تعنى الغلو بأن يعتقد بأن صلاحية الإمام هى صلاحيات النبوة، لأن المجىء بشريعة جديدة ناسخة لشريعة سيد المرسلين باطل بالضرورة.

كما لا يعتقد فى الإمام الألوهية بأن ينسخ ضروريات وفرائض الله تعالى وضرورات الدين الإلهى، فلا نسخ فى ضروريات الدين ولا ضروريات سنن النبى (ص) فضلًا عن بديهيات العقل، فلا محالة تكون هذه الضروريات بمنزلة قاعدة يستكشف بها صدق الإمام وأنه إمام الحق الموعود.

فكيف يفرض ويتوهم رفعه لمثل تلك الضروريات وقد وصف (ع) فى كثير من الروايات أنه يحيى كتاب الله وسُنّة النبى ومنهاج آبائه الأطهار لا أنه يُميتها، فمع هذه الأوصاف كيف يُتخيل أو يُتعقل أنه يقصى ويشطب على تراث أهل البيت (عليهم السلام) الذى هو متضمن لضروريات الدين وسنن النبى وسنن الأوصياء ومناهجهم، وما أشبه هذا التوهم بتوهم من يتوهم أن القرآن يُقصى ويبعد ويستغنى عنه عند ظهور الإمام، فإنّ المتوهم يُعلل ذلك بأنه مع وجود القرآن الناطق وهو الإمام فلا حاجة للقرآن الصامت، وكأن هذا المتوهم يحسب أن ارتباط كل الناس بالقرآن الناطق خط مفتوح على مصراعيه فى كل الأوقات والأحوال، ولو صح هذا التوهم لصرنا كلنا أنبياء! بوجود هذا الارتباط.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٣٨٦

وكذلك الفقهاء والنواب سواء بالنيابة الخاصة أم العامة ليس من صلاحياتهم التعدى على سنن ومناهج الأئمّة (عليهم السلام)، فإنّ

حجية الفقهاء متفرعة عن حجية الأئمّة، ولو جاز تعديهم لزاد الفرع على الأصل، إذاً حجية الأئمّة ودائرة سنن وضرورات الأئمّة (عليهم السلام) قاعدة رقابية معرفية على حجية الفقهاء.

لذلك لم تفتأ شيعة أهل البيت (عليهم السلام) من إعمال القواعد الرقابية حتّى على النواب الأربعة فى الغيبة الصغرى رغم ما نص عليهم من قبل الأئمّة الأطهار (عليهم السلام) فإنّ القواعد الرقابية والفحص والتثبت وإعمال العقل لم تلغ حتّى فى معرفة الله تعالى وحتّى فى معرفة الرسل والأوصياء فكيف تلغى بحق النواب والسفراء والفقهاء، وهذا لا ينافى احترامهم وتبجيلهم، إذ هذه القواعد ضوابط معرفية فى معرفة الرسل والأوصياء فكيف بمن دونهم، وإنما ذلك لأن حجيتهم محدودة وواقعة تحت حجية الأئمّة (عليهم السلام) فإنّ خروجهم منها يكشف عن إلغاء حجيتهم.

وهذا من روائع الإسلام أنه لا يقصى المعرفة والعقل، فالقرآن الكريم يعرفنا بأن معرفة الله تعالى لو تخطت العدل والاحسان والعياذ بالله لكانت معرفتنا بالله باطلة، وهكذا فى معرفتنا وتصديقنا بالرسول (ص) فإنّه لا يخرج عن التوحيد، وإلّا لو خرج بطلت حجيته ولانكشف أنه مسيلمة الكذّاب وأنه ليس رسولًا لله حاشاه من ذلك، ونحن إنما نذكر ذلك للتوضيح وإلّا فالنبى (ص) حجيته ثابتة ويقينية ومعاذ الله أن نشكّك فى ذلك.

وهكذا الإمامة لو خرج مدع لها وبدّل سُنّة النبى (ص) لانكشف أنه ليس بالإمام المحق، لذا لم يفتأ علماء الإمامية ومدرسة أهل البيت

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٣٨٧

(عليهم السلام) من تسجيل المؤآخذات على من بدّل سُنّة النبى (ص)، لأن ذلك ليس بالأمر المنفلت وغير تابع لضوابط وقواعد وإنما أمر عظيم ومنضبط، قال تعالى: وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّناً وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ («١»).

فإنّ تبديل سُنّة النبى يعنى عدم التبعية للنبى (ص) وخروج عن الحق وعن الصراط المستقيم، فليس الأمر خيارياً يعمل أو لا يعمل ويتبع أو لا يتبع، وإنما هو أمر محتوم قال تعالى: قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّما عَلَيْهِ ما حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ ما حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَما عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلاغُ الْمُبِينُ («٢») فهذا أمر موجه للكل بأن يطيعوا الله بما فيهم الرسول فى الدرجة الأولى والإمام فضلًا عن عامة الناس وقوله: أَطِيعُوا الرَّسُولَ أمر موجه للكل بما فيهم الإمام فى الدرجة الأولى فضلًا عن عامة الناس، فأوّل من أطاع الرسول هو على بن أبى طالب (ع)، كما أن أوّل من أطاع الله هو الرسول (ص) وهو السابق على جميع الأنبياء والمرسلين والمخلوقين فى طاعة رب العالمين.

وعلى بن أبى طالب هو السابق لطاعة الرسول (ص) فإنّ أَطِيعُوا الرَّسُولَ أمر موجه للكل بما فيهم أئمّة أهل البيت (عليهم السلام)، بل ولعامة الأنبياء والمرسلين فى الدرجة الأولى، ثمّ لسائر الخلق من الجن والإنس.

وقال تعالى: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا («٣») فقوله: وأطيعوا أولى الأمر أمر موجه لعامة الفقهاء والنواب الخاصين بل حتّى للنبى عيسى (ع)، أوَلا يكون

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٣٨٨

عيسى وزيراً للمهدى (ع) ويصلى خلفه («١»)؟ فإنّ هذه الآية عامة، والنبى عيسى (ع) حى وكذا الخضر حى، فهما مشمولان بوجوب طاعة أولى الأمر من أهل البيت (عليهم السلام).

منهاج الأئمّة خامس القواعد الرقابية ...: ص: ٣٨٨

فإنّ حجية الأئمّة (عليهم السلام) مهيمنة على حجية الفقهاء، لذلك نجد فى أوّل الرسائل العملية للفقهاء يقولون: إن صلاحيتنا فى الفتوى محدودة أى فى غير الضروريات وفى غير العقيدة، فإنّ العقيدة من الدين الذى لا يغيّر باختلاف الآراء فهى ليست ضمن دائرة

حجية الفقهاء.

لذلك نجد مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) تؤكد وتحث عامة الناس على متابعة ومراقبة النواب والفقهاء.

فإنّ ما تقدم ذكره من جمع الروايات فى كتاب من قبل النائب الثالث الحسين بن روح النوبختى (رض) وعرضها على فقهاء قم تؤكد ذلك، فإنّ النائب وإن كان يحظى بمنزلة خاصة وتبجيل الإمام الثانى عشر (ع) ولكنه من جهة روايته لروايات الأئمّة السابقين (عليهم السلام) فهو

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٣٨٩

خاضع للقواعد الرقابية المعرفية وهى عدم تجاوزه لضرورات سُنّة الأئمّة المعصومين السابقين، فحتّى لو كان نائباً خاصاً يبقى تحت المراقبة والمتابعة ليعلم كونه ضمن دائرة حجيته ولم يتعدها وإلّا سقطت حجيته، وانكشفت عدم نيابته وسفارته أساساً.

فإنّ حجية الأئمّة قاعدة رقابية معرفية على حجية السفراء والفقهاء، وإن حجيتهم تحت ظل وهيمنة حجية الأئمّة (عليهم السلام)، بل إن حجيتهم قطرة أو نقطة فى محيطات وسماء المعصومين (عليهم السلام).

لذلك فإنّ الإمام على بن أبى طالب (ع) كان يجعل مراقبين على كل والٍ من الولاة الذين يولّيهم فى دولته، فأىّ والٍ منهم يتجاوز أو يتخطى الاستقامة وطريق العدل ويرتكب جوراً والعياذ بالله فإنّه (ع) يعزله مباشرةً، لأن صلاحيات الوالى عن على بن أبى طالب (ع) لا تتجاوز حدود حجية على بن أبى طالب (ع) ولا تتجاوز حجية الرسول (ص).

فهكذا هى منظومة الدين، وهكذا يجب أن نعيها ونعرفها ونبصرها كى لا تشتبه وتلتبس علينا الفتن واللوابس، فإنّها منظومة محكمة فى دين الله تعالى ودين رسوله (ص) وفى مذهب أهل البيت (عليهم السلام) إحكاماً تاماً، لذا لم يُلغَ دور الفقهاء فى الغيبة الصغرى ولن يلغَ فى دولة الظهور، لأن دولة الظهور هى دولة الإسلام الصحيح والتطبيق الواقعى لدين الله، فهى دولة العلم والعلماء لا دولة الجهل والجهلاء، ودولة الفضل والفضيلة لا دولة الرذيلة والرذائل، ودولة المكارم لا دولة السفاسف.

فباعتبار أن أصعب الامتحانات والفتن كما مرَّ هى فى قوة العقل والفكر والبصيرة فى الإنسان فلا بدَّ أن تلحظ منظومة الحجج والأدلّة ومراتب الحجج وإلّا كان الأمر صعباً مستصعباً.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٣٩٠

فإنّ الله تعالى فى قوله: هُوَ الَّذِى أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتابَ مِنْهُ آياتٌ مُحْكَماتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتابِ وَأُخَرُ مُتَشابِهاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ ما تَشابَهَ مِنْهُ ابْتِغاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغاءَ تَأْوِيلِهِ وَما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِى الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنا وَما يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبابِ («١») يخبرنا بأنه لا بدَّ أن تكون لنا منهجية فى التفكير وفى المعرفة والبصيرة وألّا نتبع العشوائية والفوضوية.

وقوله تعالى: إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْراةَ فِيها هُدىً وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتابِ اللَّهِ («٢») ليس خاصاً بالتوراة، بل هو من الدين الذى يعم كل بعثات الأنبياء ليحكموا بها حكم قضاء وسلطة تنفيذ وحكومة سياسية وقضائية وتشريعية وفتوائية، فقوله تعالى: يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ أى الأنبياء، وَالرَّبَّانِيُّونَ أى الأوصياء والأئمّة المعصومون (عليهم السلام)، وَالْأَحْبارُ أى العلماء الفقهاء، فإنّ رتبة الفقهاء تأتى بعد رتبة الأنبياء والأوصياء، وإن كان الفقهاء قطرة من سماء الأنبياء ولا يقاسون بأحد من الأئمّة ولكن هذا لبيان عدم إلغاء دور الفقهاء وأن لهم مرتبة حجية على الناس وهذه المرتبة تحت ظل وهيمنة الأوصياء، وقوله: بِمَا اسْتُحْفِظُوا أمر للأنبياء بحفظ كتاب الله، والحفظ يكون بالعمل به وتعليمه وإقامته فى البشرية، وبالتالى فهو أمرٌ للأوصياء بذلك أيضاً أى بأن يحفظوا كتاب الله، وهكذا الأحبار العلماء، وهذه الآية فريضة فى كل الشرائع لأنها من فرائض دين الله (عزوجل).

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٣٩١

وإلّا فإنّ اتّباع المتشابه ونبذ المحكم وعدم الوعى فى المعرفة والبصيرة مرض عقلى والعياذ بالله ناشئ من الانحراف فى السلوك والتطبيق، أى من ارتكاب المحرمات والفواحش، والتساهل فى واجبات دين الله.

الواقع والاستكشاف فى الحجج ...: ص: ٣٩١

عندما نرتب وننظم هذه المراتب من الحجج ثبوتاً، أى ندركها ثبوتاً فإنّ لها ترتيباً ونظماً إثباتياً كذلك، والتفريق بين المقامين دقيق ويجب أن لا يكون هناك فصل إذ أن التغاير بينهما تغاير حيثى، ولا يمكن الفصل بين هاتين الحيثيتين.

فعندما نضع بديهيات العقل فى رأس الهرم لمراتب الحجج فإنّا لا نفرط فيه ونجعله شاملًا حتّى لنظريات ومتشابهات العقل، وإنما العقل حجة وله هذه المرتبة فى ضمن البديهيات من الأوّليات والفطريات ونحوها.

فالبديهيات العقلية جعلت قاعدة معرفية استكشافية حتّى فى معرفة التوحيد إنما ذلك إذا كانت فى دائرة مسلمة وواضحة وهى البديهيات، وأما فى حدود الادراك العقلى النظرى والذى يكون محل اختلاف الأنظار فلا يمكن أن يكون العقل فى هذه الدائرة قاعدة محكّمة ومحكَّمة وميزان فصل، لأن هذه الدائرة من إدراكات العقل ليست مسلمة وليست واضحة وإنما هى محل اختلاف الأنظار!

وهكذا فرائض دين الله تعالى إنما كانت فى المرتبة الثانية للحجج ثبوتاً إذا كانت فى دائرة الضروريات، فهذه الدائرة هى القاعدة الاستكشافية والرقابية لحجية الرسول وتمييز الرسول المحق ممن يدعى الرسالة كذباً فذلك إنما يكون

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٣٩٢

فى حدود ما ثبت بالضرورة أنه من دين وفرائض الله تعالى، فلا يمكن لإله أن يأمر بغير العدل، لكن فى ضمن الدائرة الضرورية من العدل وليس فى الدوائر المتشابه منه، فإنّ حجية البارى تعالى وصلاحياته مهيمنة على حجية الرسول (ص) فى ظل دائرة ما أدركناه بالضرورة أنه من تشريعات الله، أما فى دائرة النظريات والمتشابهات من فرائض الله فإنّ حجية الرسول محكَّمة، فالرسول هو المبين للتشريعات التى لم ندركها بالضرورة.

فإنّا نستكشف الرسول المحق من المدعى كذباً من خلال تمرده وعدم تمرده على دائرة توحيد الله ودائرة ضروريات فرائض الله.

وهكذا نستكشف إمام الحق ونميزه من إمام الجور من خلال اتّباع سُنّة الرسول (ص) فى دائرة الضروريات، فليس للإمام تجاوز دائرة حجية الرسل فضلًا عن دائرة حجية العقل وضروريات فرائض الله تعالى.

فإنّ الإمام مشمول بقوله تعالى: وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ («١») لذا فالأئمّة (عليهم السلام) فى مناهجهم وطرائقهم المعصومة من الزلل والخلل لا- يتجاوزون ولا يتمردون على دائرة ضروريات سنن النبى (ص)، هذا ثبوتاً وواقعاً، وأما إثباتاً واستكشافاً فمن خلال استمرار الرقابة والمتابعة للإمام وأنه فى دائرة حجيته ولم يتجاوز ضروريات العقل وضروريات فرائض الله وضروريات سنن النبى (ص)، وهذه المتابعة لأجل تصحيح وسداد معرفتنا للإمام المحق وزيادة الإيمان به ولنميّزه عن إمام الجور، وبعبارة أدق نراقب معرفتنا للأئمّة من أوّل حياتهم إلى استشهادهم هل كان عملهم ضمن دائرة حجيتهم ولم يتجاوزوا ضرورات العقل والدين وسُنّة الرسول فهم أئمّة حق وإلّا فنعلم أنّا لم نكن نتبع إمام حق، لذلك

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٣٩٣

كانت من أبرز صفات أمير المؤمنين (ع) فى أكثر الزيارات الواردة: «أشهد أنك جاهدت فى الله حق جهاده وعملت بكتابه »... («١»)، «اللهم اجعله الداعى إلى كتابك والقائم بدينك » («... ٢») فإنّ علامة إمام العدل وإمام الحق أنه محيى لسنن النبى ومقيم لفرائض الله تعالى ولا يتمرد عليها والعياذ بالله.

أهمية الحورات العلمية الدينية ...: ص: ٣٩٣

لذلك فإنّ من أحد الانجازات العظيمة للحوزة العلمية أنها تُبقى وتحافظ على درجة الادراك الضرورى لضروريات الدين وسنن النبى

(ص) ومنهاج أئمة أهل البيت (عليهم السلام)، تبقيها على مستوى الضرورة، لأنه بالنشر العلمى والتكريس والتركيز العلمى تبقى الأدلّة بديهية ومعلومة وبيّنة لدى عموم المؤمنين والمسلمين.

وأما لو طرأ النسيان والغفلة والابتعاد والهجران للدين والكتاب والسنة حينئذٍ تعود البديهيات والضروريات نظريات، وهذا أمرٌ خطيرٌ جدّاً، لأن حومة الدين تصبح فريسة وضحية لكل عابث ومُتلصص، لأن الضرورة صفة إدراكية فى عقول البشر قد تتأثر بعوامل الزمن والهجران والنسيان وغيرها.

من هنا نفهم أن أعداء أهل البيت لماذا سعوا كثيراً لتدمير الحوزات العلمية واستهداف طلبة العلوم الدينية، فإنّ هؤلاء يقومون بدور مهم ومسؤولية خطيرة وهى حفظ الدين فى بيئته الادراكية لدى العقول والمحافظة على حياة الدين فهما ضمان لامتداد مسار وخط الأنبياء من خلال إبقاء الحالة العلمية

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٣٩٤

والادراكية وحالة البداهة فى البديهيات وحالة الضرورة فى الضروريات، وهذا سدٌ منيع عن عوامل التآكل وعوامل الهدم والإبادة، فإنّ بقاء الدين ليس بوجوده الثبوتى الواقعى فى بطون الأدلة، وإنما فى بقاءه الإثباتى الادراكى فى العقول أيضاً وبقاءه معلوماً لدى النسل البشرى إذ العلم يموت بموت أهله، وإن الأعداء يعلمون بخطورة بقاء الدين فى بيئته العلمية فضلًا عن بقاءه الثبوتى، فإنّ ما سنذكره لاحقاً من مفاد بعض التقارير الصادرة من بعض الجهات الغربية حيث صرحت بأنهم فشلوا فى إبادة مدرسة أهل البيت وبالخصوص حوزة النجف الأشرف بحسب تصريحهم رغم ما قدموه من إمكانيات هائلة للنظام البعثى («١») فى العراق، فإنّ المقصود من الفشل ليس الفشل فى إبادة الأبنية وتهديمها، ولا الفشل فى استئصال وتصفية الأجسام والدماء، ولا غير ذلك، وإنما هم فشلوا فى إبادة هذه الحالة الوجودية العلمية من تراث أهل البيت، فإنّ بقاء الدين فى بيئته العلمية بفضل طلبة العلوم الدينية فشلٌ ذريعٌ لهم لعلمهم بأن بقاء الدين بهذا

“

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٣٩٥

النحو يكون ذا حصون وقلاع تمنعهم من تمرير ثقافاتهم الالحادية والانحرافية والمادية...

لأن هذه القواعد فى الحجج هى قواعد رقابية استكشافية تتقوم بجنبة ثبوتية وبجنبة إثباتية، أما الثبوتية فهى واقع الدين، وأما الإثباتية فهى كون الدين بحالة ادراكية واصلة إلى درجة الضرورة والبداهة.

بين البصيرة والتمرد ...: ص: ٣٩٥

من هنا فإنّ من اعترض وتمرّد على النبى (ص) فى عهده فذلك لا يمكن تبريره بأنه كان تحكيماً لفرائض الله على سنن النبى، لأن ذلك الاعتراض والتمرّد لم يكن فى دائرة الضروريات، بل كان فى دائرة المتشابهات والنظريات، وفى هذه الدائرة ليس لأحد أن يحكم فهمه القاصر ويجتهد فى قبال النص، فإنّ فرائض الله التى هى فى درجة النظرية أو الجزم النظرى فضلًا عن مراتب النظريات الأخرى لا يمكن أن تجعل محكّمة للاعتراض والتمرّد على النبى (ص)، لذلك نحن ننتقد وندين أولئك الذين تمردوا على طاعة النبى (ص) وعصوه وإن كانت ذريعتهم الاجتهاد أو تحكيم فرائض الله، لأن تلك الدائرة التى اعترضوا فيها هى دائرة المتشابهات والنظريات، والنبى أعلم بذلك فى تلك الدائرة، فكما لا افراط فلا تفريط فى معرفة النبى (ص) «المتقدم لكم مارق والمتأخر عنكم زاهق» («١») أى لا غلو ولا تقصير.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٣٩٦

الغلو والتقصير تعريف آخر ...: ص: ٣٩٦

فإنّا لا نقول بأن صلاحيات النبى تتجاوز ضروريات فرائض الله، وهذا معنى عدم الغلو إذ الغلو وهذا معنى جديد نذكره للغلو إعطاء صلاحيات فوق دائرة حجية تلك الحجة، فإنّ القائل بالغلو فى النبى يعطى للنبى صلاحيات تغيير فرائض وضرورات دين الله، أما عدم الغلو فى النبى وعدم التقصير فيه هو أنه لا يتجاوز ضرورات وفرائض دين الله وأنه تحت هيمنة وطاعة الله تعالى فى دائرة الضروريات، أما النظرية من فرائض وأحكام دين الله فنتعلمها ونستبينها من النبى (ص)، فمعنى عدم التقصير فى حجية النبى أن له الصلاحية فى دائرة النظريات والمتشابهات.

وهذا رسم لحجية النبى ثبوتاً وإثباتاً، فثبوتاً أنها بعد فرائض ودين الله وأنها محدودة ومهيمن عليها من قبل حجية الله وصلاحياته، وإثباتاً أى أن حجية النبى (ص) محدودة بغير الضروريات الفطرية والأوّلية وبغير الضروريات الدينية التى اجتمعت عليها كل أديان السماء.

وهذا نظير قول الفقهاء فى أوّل رسائلهم العملية أنه لا تقليد فى ضرورات الدين، لأنه لا حجية للفقيه أصلًا فى دائرة الضروريات.

فإنّ صلاحيات الأنبياء إنما فى غير دائرة الضروريات من فرائض الله تعالى بأن لا يتجاوزوا ولا يتعدوا على التوحيد والعدل وضرورات الفرائض من الصلاة والصوم ... قال تعالى: فَأَرْسَلْنا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ ما لَكُمْ مِنْ إِلهٍ غَيْرُهُ أَفَلا تَتَّقُونَ («١») وقال تعالى: رَبَّنا وَابْعَثْ فِيهِمْ

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٣٩٧

رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ («١») أى أن صلاحيات الأنبياء لا تمثل ولا تتسع لدائرة ضروريات وفرائض الله تعالى.

وهكذا حجية الأئمّة تحدد إثباتاً وثبوتاً بما دون سننه (ص)، فحجية الأئمّة (عليهم السلام) تأتى بعد منطقة ودائرة ودرجة فرائض الله وسنن النبى (ص).

وإثباتاً فحجية الأئمّة (عليهم السلام) فى غير ضروريات سنن النبى (ص)، أى فى النظريات والمتشابهات من سنن النبى (ص).

لذلك فإنّ النبى (ص) لم يشرع شيئاً لم يشرعه الله، وهكذا الأئمّة (عليهم السلام) لم يشرعوا شيئاً لم يشرعه الله ولا رسوله (ص)، بل إن الله تعالى يشرع أسساً، ثمّ الأنبياء يوالدوا ويشعبوا منها تلك المنظومات، ثمّ تأتى تشريعات الأئمّة (عليهم السلام) امتداداً وتطبيقاً وتنزيلًا وتشعيباً لها.

لذا فإنّ بديهات العقل وفرائض الله وسنن النبى (ص) هى قواعد محكمة استكشافية للتمييز بين الإمام الحق وبين المدعى للإمامة باطلًا.

ولا يتوهم أن فى المقام دوراً، لأن كون بديهيات العقل وفرائض الله وسنن النبى قاعدة استكشافية لتمييز إمام الحق عن مدعى الإمامة فى دائرة الضروريات، وأما فى نظريات العقل ونظريات ومتشابهات الكتاب ومتشابهات سنن النبى فإنّ المحكم فى ذلك هو نفس الإمام، فللإمام حجية وصلاحية أن يبين مجهولات ومبهمات العقل ومجهولات ومبهمات الكتاب ومتشابهات ومبهمات سنن النبى (ص)، من هنا جاءت

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٣٩٨

الحاجة والضرورة الملحة للاهتداء والاقتداء بالإمام (ع)، فإنّ فى كل مرتبة حجية منطقتين منطقة ضروريات ومنطقة نظريات متشابهات، فمنطقة الضروريات تكون قاعدة استكشافية، رقابية، ومنطقة المتشابهات تكون تلك الحجة الأخرى فى المنطقة الضرورية محكمة فيها، بل بضميمة الضرورى من نفس الحجة أيضاً.

إذن من بركات هذه المعادلة وهى لابدّية المحافظة على منظومة الحجج ووجوب تحكيم الحجة الأعلى على الأدون أنه لا بدَّ من إعمال المراقبة فى طول الطريق وليس ابتداءً فقط، فمن يأتى بمعجزة ليثبت الحجية له لا يعنى ثبوتها مطلقاً، بل لا بدَّ من كونه فى طول

الطريق لا يتجاوز الحجج الأعلى منه، وهذا هو الحاصل مع الأئمّة (عليهم السلام)، فرغم ثبوت إمامتهم إلّا أن الفقهاء والشيعة لم يفارقوا المتابعة والمراقبة لهم.

من هنا يتضح عدم التصادم مع رواية الرسول الأعظم (ص): «على مع الحق والحق مع على يدور الحق معه حيثما دار» («١»)، فإنّ المقصود بهذه الرواية أنه (ع) حق بالنسبة لما دونه فى الحجج فى دائرة المتشابهات وليس بالنسبة لما فوقه من الحجج، فإنّ علياً (ع) هو يدور مدار حجية وأحقية بديهيات العقل وضروريات دين الله وسنن نبيه (ص) فهو تابع لهذه الحجج الأعلى، لا أن بديهات العقل أو ضروريات الدين والسُنّة تدور مدار على، بل لا بدَّ لعلى أن يدور مدارها، ويشير إلى ذلك ذيل الحديث النبوى «لا يفترقان حتّى يردا علىَّ الحوض» فجعل (ص) نفسه الشريفة مداراً ابتدأ منه الثقلان ومنتهى يصلان إليه.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٣٩٩

نعم، بالنسبة للدوائر الأخرى التى هى دون تلك الحجج العليا فإنّ الحق يدور مع على (ع)، فهناك موازين ومقاييس لا يمكن تركها أو تجاوزها فى تحديد الإمام، فإنّ الاعتقاد بالإمام نشأ من تلك الموازين والمقاييس.

إذاً فى ثبوت إمامة الإمام لا بدَّ من ملاحظة أمرين: أمر إثباتى إبتدائى كالمعجزة ونحوها، وأمر إثباتى بقائى استمرارى وهو عدم تجاوز الحجج الأعلى والبقاء فى هيمنتها وظلها، والأمر الأوّل لا بدَّ أن يكون واضحاً جلياً يفهمه عامة الناس كالصيحة بالنسبة لظهور الإمام المهدى (ع)، ولا يحصل القطع بالإمامة إلّا بتحقق الأمرين معاً، لذا نلاحظ الفقهاء والشيعة بشكل عام يطبقون على الإمام الموازين والثوابت من البداية إلى النهاية.

مما يدلل على أن أتباع أهل البيت (عليهم السلام) يثبتون معرفة إمامهم دوماً عن بصيرة وعلم وبرهان، و لا يكتفون بالإثبات الأوّلى دون الاستمرارى، فلا يمكن إلغاء الموازين العقلية لا فى أوّل الطريق ولا فى وسطه ولا فى آخره، فالإمام لا بدَّ أن يكون طهراً طاهراً مطهراً ليس فقط فى أوّل الطريق بل على طوله، وهذا من إعجاز الدين الإسلامى فى تبيان مدرسة أهل البيت (عليهم السلام).

وإلّا فلو ادعى مدّع الإمامة مع دليل إثبات ابتدائى كالمعجزة ولكن لم يتم دليل استمرارى، كأن خالف ضروريات العقل أو الدين أو سُنّة النبى، فإنّ ذلك يكشف عن توهم المعتقد بإمامة ذلك المدعى.

وباختصار إن تحكيم الدلائل والبراهين حول أىّ شخصية كمقام سماوى أو منصب من مناصب الدين يجب أن يظل تحت مجهر الموازين، وإن القرآن

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٤٠٠

والدين لا يسد عقل الإنسان عن تحكيم ورصد المجهر العقلى من أوّل الطريق إلى آخره، فلا يمكن مصادرة العقل ولا الثوابت ولا الموازين، بل لا بدَّ أن تظل محكمة فى كل صغيرة وكبيرة، من هنا نفهم لماذا نادى الرسول الأعظم (ص) عندما رآه البعض واقفاً مع امرأة فى أحد الشوارع فنادى الناظر هذه صفية زوج النبى (ص) («١») فإنّه (ص) يعطى درساً للناس بأن المراقبة فى المعرفة لا بدَّ أن تبقى مستمرة حتّى على الأنبياء.

وكذلك من هذا البيان نفهم لم كان طغاة بنى أميّة وبنى العبّاس يختبرون الأئمّة (عليهم السلام) بالأسئلة العلمية والمناظرات، لأنهم كانوا يريدون التأكد من إمامتهم فضلًا عن أهدافهم الأخرى، فإنّهم لما كانوا الأفضل والأعلم بمقتضى الإمامة، فلا بدَّ أن تكون الأفضلية والأعلمية متحققة باستمرار وليس فى أوّل الطريق فقط.

ثمّ تأتى فى المرتبة الرابعة صلاحيات الفقهاء وهم الذين لهم نيابة عامة، أى ليس لهم ارتباط واتصال بأهل البيت إلّا عبر الكتاب والسُنّة والمصادر الدينية فلم ينب أحدٌ منهم بالخصوص وإنما صارت له النيابة وفق شرائط وموازين بيّنها الله والنبى والأئمّة، وهكذا فى نفس المرتبة أى الرابعة حجية النواب بالنيابة الخاصة وهم السفراء، فإنّ الفقهاء والسفراء فى مرتبة واحدة إذ تقدم أنه لا منافاة بين حجية كل منهما ولا

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۴۰۱

تلغى حجيـة كل منهما حجية الآخر حيث بيّنا بحسب مفاد آية (النفر) («۱») وآية (الحكم) («۲»)، أن الفقهاء لهم دور فى دولة الرسول وفى دولـة أمير المؤمنين، وهكـذا حتّى فى دولـة الرجعـة ودولـة الظهور للإمام الحجـة (ع) لأن هذه الآيات فرائض من الله لرسم جهاز العمل للمعصومين.

وهـذه المرتبـة الرابعـة للفقهاء عموماً أيضاً محـدودة بضـروريات دين الله وسـنن النبى (ص) وسـنن أحكام وتعاليم المعصومين (عليهم السـلام) فضـلًا عن ضـروريات العقل، فهـذه المراتب والتراتبيـة والقواعد الاسـتكشافية لا بدَّ من معرفتها وإلّا وقعنا فيما وقعت فيه الفرق الضالة فى الغيبة الصـغرى أو الكبرى، حيث جوزوا أن يكون للإمام صـلاحيات أن يشـرع ويفعل ما يشاء فاتبعوا أدعياء الإمامة، كما أنا ذكرنا بأن الشـبهة العقائديـة لا يمكن أن تزاح ويتخلص منها إلّا بالمداقـة فى المراتب للحجج، فلا يكفى معرفـة أصل حجيـة الحجـة، وإنما لا بـدَّ من معرفـة حقيقـة الحجـة وذلك بمعرفـة مرتبـة حجيـة تلك الحجـة وأنها حجة فى أىّ دائرة دون غيرها، ولا بدَّ من معرفة منطقتيها الثبوتية والإثباتية.

القواعد الرقابية وحفظ ثقافة أهل البيت (عليهم السلام ...): ص: ۴۰۱

يذكر الشيخ الطوسى فى كتاب الغيبة والشيخ الصدوق فى كمال الدين والنعمانى وغيرهم أن فقهاء الشيعة وعلمائهم وعامة

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۴۰۲

الشـيعة لم يفتأوا دوماً من المراقبـة، فعامـة الناس من الشـيعة يراقبون الفقهاء والنواب، ثمّ الفقهاء والنواب والعامـة يراقبون الأئمّة (عليهم السلام)، وهكذا («... ۱»).

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۴۰۴

فالعامـة يراقبون الفقهـاء ويسـتمرون فى المراقبـة هل أنهم لا زالوا على التقوى والثبات والسير على ضـرورات دين الله وسُـنّة نبيه (ص) والأئمّـة الأطهـار (عليهم السـلام) وإلّا اسـقطت حجيتهم، لـذلك نِعْمَ مـا قيـل: (إنـا لاـ نجـد انتخاباً حراً نزيهـاً سديـداً لقيـادات تقـود المجتمعات كنظام الانتخاب فى طائفـة أتباع أهل البيت (عليهم السـلام)) وهو انتخابهم للفقهاء والمراجع، فحتّى النظام الديمقراطى فى الغرب وفى أمريكا تتدخل فيه الأموال والمافيات والدعايات والاعلان وتتدخل فيه وفيه ... إلى ما شاء الله.

فمثلًا رئيس الجمهوريـة فى أمريكـا لاـ يُنتخب مباشـرة من الشـعب أبـداً، وإنمـا نواب المحافظـات هم الـذين ينتخبون الرئيس، ونواب المحافظات ورئيس المحافظـة لكل ولاية هو الذى يكون له ثراء ومال معين، فلا بدَّ أن يصـعد رأس ماله إلى سـقف معين كى يحق له أن يرشح ليكون رئيساً لمحافظة أو رئيساً

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۴۰۵

لولاية، فالمال أوّل شىء فى هذه المعادلة الانتخابية، وإذا انتخب هؤلاء رؤساء الولايات فمن بينهم ينتخب رئيس الجمهورية.

فحواجز المال وحواجز القوة هى الحاكمة والمهيمنة فى الانتخابات، فأين الشفافية، وأين النزاهة، هذا فضلًا عن بقية الدول الغربية.

فلا تجد نظاماً حرّاً نزيهاً تشترك فيه كل طبقات المجتمع على الرقابة والبصيرة لا العماية كنظام المرجعية الذى أسـسه أئمّة أهل البيت (عليهم السـلام)، مرجعيـة الفقهاء كأعوان ونصـراء وخـدام لأئمّـة أهل البيت (عليهم السـلام) هـذا النظام أقامه وأسـسه أئمّة أهل البيت (عليهم السـلام)، وهو نظـام إعجـازى وليس هو من نظم وإنشـاء الفقهـاء والمراجع، بـل بنـاه البـاقر (ع)، ووضع له الصادق (ع) ضوابط وحواجز نظمية إدارية لا يمكن أن تخترق.

صدر كتاب ((ehT ygoloeht fo etlhgionsed بعـد سـقوط الطاغية صدام عن دائرة الاسـتخبارات الأمريكية يقول بأن أتباع أهل البيت هم الجماعة الوحيدة فى المسلمين الذين لم يذوبوا فى الغرب إلى الآن!

يقول: استطعنا أن نذوّب أغلب المسلمين فى الغرب والثقافة الغربية إلّا أتباع أهل البيت، وإنما ذلك لسببين مهمين، الأوّل هو الحسين (ع)، فهو الذى يدفق فى أتباع أهل البيت العزّة والإباء والصمود والاستقامة والبطولة والاعتزاز بالهوية، فكيف يمسخ هكذا مجتمع أو تغير هويته وهو يتغذى وينهل الهوية والشخصية من الحسين (ع)، لذلك نلاحظ محاولات الطعن والتشكيك فى قضية الحسين (ع) والاستهانة والتحقير لخطباء مؤسسة الحسين (ع)، وهكذا الروايد (واللطامة) نجد التشكيك فيهم بأقلام مريبة من داخل أوساط المذهب لتخريب مثل هذا الباب والصرح العظيم وهو مؤسسة سيد الشهداء (ع).

ويذكر هذا الكتاب وقد ترجم فصول منه، السبب الثانى وهو

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٤٠٦

المراجع والفقهاء، ويذكر حوزة النجف بالاسم يقول أيضاً: كنّا نزوّد النظام البعثى معدل كل سنتين أو ثلاث بأحدث النظم الأمنية لكى يفتك بالحوزة وبالشيعة إلّا أنه فشل.

وربما يُسائل كيف لم يستطع النظام البعثى أن يخترق الحوزة ولم يفتك بها؟ وكيف فشل النظام البعثى أن يخترق الفقهاء والمرجعية بأن يجعل مرجعاً مزيفاً للشيعة، وهذا هو الذى يريدون الوصول إليه؟

وما ذلك إلّا لأن الأئمّة وضعوا لها نظاماً ذا حواجز وأستار وستور مختبرية يفشل من تطمع نفسه أو تسول نفسه ولو كان من الدول والقوى العظمى أن تخترق هذا الستر، فإنّ الفقيه والمرجع يبقى تحت الرقابة الشعبية من أوّل عمره إلى آخر نفس فى حياته، فأىّ أمّة من البشر وأىّ طائفة من البشر عندهم هكذا رقابة نزيهة وشفافة على القيادة، وفى انتخاب القيادة كهذا النظام الذى وضعه أئمّة أهل البيت (عليهم السلام)، وهذا من إعجازهم (عليهم السلام)، وبالتالى فلا يمكن لشخص مزيف أو لشخص كارتونى مهما أوتى من حيل وأساليب أن يخترق هذا المقام المرجعية والفقهاء لأنه نظام منيع، فلو كان فقيه من الفقهاء تقياً ورعاً طول حياته ولا سمح الله فى بعض حياته ابتعد عن التقوى أو العلم لُابعد عن هذا المنصب.

القواعد الرقابية والشلمغانى والعبرتائى ...: ص: ٤٠٦

التاريخ يحدّثنا أن فقهاء صلحاء أجلاء فى بداية أمرهم كابن أبى العزاقر الشلمغانى وأحمد بن هلال العبرتائى كانا من الفقهاء الكبار، لكن فى فترة من حياتهم زاغوا عن الطريق وادعوا لأنفسهم ما ليس لهم، فاسقطت حجيتهم لعدم مراعاتهم للحجج الأعلى.

فالشلمغانى كان من أفقه فقهاء الشيعة فى الغيبة الصغرى، وإن

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٤٠٧

كتابه فى الفقه أو رسالته العملية والتى تسمى بكتاب التكليف منتشرة فى كل بيوت الشيعة فى العراق وفى إيران وفى الخليج وغيرها، فلم يخلُ بيت من بيوت الشيعة من هذا الكتاب، فهو فقيه نحرير تقى ورع فى العهد الأوّل من عمره!؟ إلّا أنه والعياذ بالله فى أخريات حياته طمع فى أن يكون نائباً خاصاً أو سفيراً فخرج عن الموازين، ولذلك أقصى من قبل أتباع أهل البيت وصار مصيره إلى أسفل الأسفلين («١»).

“”””””

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٤٠٨

وأما العبرتائى فهو أيضاً من كبار الفقهاء وأدرك أربعة من المعصومين (عليهم السلام) (الجواد والهادى والعسكرى والمهدى (عليهم السلام))، وقد حجّ بيت الله أكثر من خمسين حجة عشرين منها مشياً على الأقدام من الكوفة إلى مكّة، ومع ذلك ما أن أدعى لنفسه النيابة الخاصة والسفارة أسقط عن الاعتبار وصدر فى حقه اللعن، لأنه تجاوز الموازين وانكشف بطلانه لوجود القواعد الرقابية التى سنّها أئمّة أهل البيت (عليهم السلام).

وهـذا لا نجـده فى أى أمّـة أو نحلـةٍ أو ملّةٍ أو مذهبٍ غير مذهب أهل البيت (عليهم السـلام)، فإنّه مذهب قائم على نظم إعجازى، فإنّ تاريخ هذا المذهب نيّر وبديع ويسـطر لنا أحدث النظم الاعجازية الربانية للرقابة، فابن أبى العزاقر الشـلمغانى تسـنم واحتل مرتبة كبيرة، وهكـذا العبرتائى، إلّا أن الرقابـة باقيـة بضـمانة التقوى والموازين والعلم، وقـد كان لهـذا النظام الاعجازى الأثر الأقوى فى حفظ الدين والمذهب والهوية الشيعية.

فكم فقيه من الفقهـاء من أتباع مـذهب أهل البيت (عليهم السـلام) كان فقيهاً تقياً إلّا أنه عرض عليه النسـيان مثلًا فمن تقواه قال: قلـدوا غيرى، كالوحيـد البهبهانى مثلًا رئيس الحوزة العلمية فى كربلاء، عندما عرض عليه النسـيان قال: قلدوا السـيد بحر العلوم والشـيخ جعفر كاشف الغطاء، لأنه ضمن موازين رقابة التلاميذ والخبراء وأهل الخبرة من الفقهاء فى الحوزة العلمية، فهذه كلها مختبرات وضمانات.

لـذلك يسـتهدف الأعـداء والمغرضون الحوزات العلميـة لأنها مختبرات وضـمانات للرقابة العلمية وللرقابة فى الانتخاب ونزاهة القيادة، ومن ثَمَّ يسـتهدفون طلبـة العلوم الدينية لكى تضـيع الموازين فيكون باسـتطاعتهم حينئذٍ التغلغل والنفوذ فى جسد المذهب والعبث فيه، فإنّهم

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٤٠٩

بعـد أن شـخصوا هـذين السـبين العظيمين الحسـين (ع) ونظـام اختيار الفقهاء شـنوا أعتى أنواع الحروب والفتك بهما لتسـهيل الطريق لانتشار الثقافة الغربية وتمييع الهوية الإسلاميّة لأتباع أهل البيت (عليهم السلام) بعد ما ذابت الجماعات الإسلاميّة فى ذلك المد الغربى العلمانى والالحادى.

ولكن تبقى ثورة الحسين (ع) وقّادة، ويبقى هذا النظام الاعجازى لاختيار الفقهاء سدّاً منيعاً وصرحاً مشيداً عظيماً كقواعد رقابية معرفية فى ردع جميع محاولات الهدم والتضـليل إلى ظهور الإمام المهدى (ع) ليقيم دولة الحق وينشر الإسلام الصحيح ويثبت أركان وأصول دين الله وشريعة محمّد (ص) ونهج آبائه الأئمّة الهداة المهديين الصالحين.

بواعث الانحراف ...: ص: ٤٠٩

من البـديهى أن يتوقف كل عاقل عند المواقف والأحداث الغريبة ليتساءل ويتأمل فى أسـبابها ومناشـئها وبواعثها، وثمرة ذلك التوقف والتأمل أن تلك الأحداث الغريبة إن كانت حسـنة حاول إيجادها بايجاد وتوفير أسـبابها وبواعثها، وإلّا تجنبها قبل وقوعها والتلبس بها، فإنّه كما يقال (الوقاية خير من العلاج).

فمن تلـك المواقف والأحـداث المسـتحقة للوقوف عنـدها انحراف فقهاء كبار كالشـلمغانى والعبرتائى، فما هى أسـباب وبواعث هـذا الانحراف؟

مما لا شكّ فيه إن أسباب ومناشىء ذلك كامنة فى نفس الإنسان وفى سلوكه عموماً ونوع وطبيعة علاقته مع الله تعالى خصوصاً!

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٤١٠

فإنّ النفس إذا لم تخضع وتوقن بوجود طريق ومسـلك واحـد انحصارى لله تعالى وهو طريق المعصومين فإنّها لا محالة عرضة بل آيلة للزيغ والانـحراف، فـإنّ المعصومين هم الـذين صـفاهم واصـطفاهم الله تعـالى ليكونوا قناة أمان للخلق، وإلّا فما عـدا هـذه القناة يكون الشيطان هو المتبع!

ويمكن اسـتفادة ذلك من قوله تعالى: وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِى آتَيْناهُ آياتِنا فَانْسَلَخَ مِنْها فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطانُ فَكانَ مِنَ الْغاوِينَ* وَلَوْ شِئْنا لَرَفَعْناهُ بِها وَلكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَواهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ («١»).

فالاخلاد للأرض يعنى اتّباع الشيطان، أى استحباب الهوى والغرائز والملاذ، فالله تعالى يبيّن لنا أنه تعالى رسم لنا طريقاً ومسلكاً منه

يعبد ويطاع ويتقرب إليه، حيث يقول: آتَيْناهُ آياتِنا، ولكن الإنسان إذا انسلخ عن ذلك الطريق وأخلد للهوى والغرائز فقد سمح للشيطان أن يتلاعب به.

فالنفس إذا لم تُروض بالطاعة والمرارة وشيء من القسوة والقطيعة عن الشهوات والأهواء فإنّها لا محالة تشط ويتلاعب بها الشيطان، إذ روى عن الرسول الأكرم (ص): «أعدى عدوك نفسك التى بين جنبيك» («٢») وما ذلك إلّا لأنّ الشيطان عدو مبين للإنسان، فلابدَّ من سدّ كل الثغرات والمنافذ لئلّا يوسوس للنفس، بل لو وسوس فلا بدَّ أن

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٤١١

تكون النفس مطمئنة متيقنة مستقرة، يقول الله تعالى: أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يا بَنِي آدَمَ أَنْ لا تَعْبُدُوا الشَّيْطانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ («١»).

ولكن الأزمة والمشكلة فى الإنسان أنه لا ينظر للنفس كدابة يمتطيها فى مرحلة من مراحل وجوده بل يجعلها كجزء ثابت ويراها ذاته، وهذا خطأ معرفى سلوكى تعايشى يقع فيه الإنسان حيث يظن النفس جزء ذاته بينما هى دابة ووسيلة ومركوب تركبه روح الإنسان أى عقله.

فلما كانت النفس دابة يركبها عقل الإنسان فلا بدَّ أن لا تعطى كل ما تريد وإنما تعطى مقدار الحاجة.

ولكن الإنسان لما جعل النفس جزء ذاته فَحَسِبَ متطلبات النفس هى متطلبات الذات، فراح يطلق لها العنان فى مراداتها ومتطلباتها وهذا بالتالى يضر بذاته لأن النفس ستقوى وتتنفر عليه ولا تؤدى وظيفتها بالشكل المطلوب والصحيح، بل إن متطلباتها وحوائجها لا تقف عند حدٍ فيكون هو دابتها! ففى رواية عن المفضل بن عمر قال: سمعت أبا عبد الله (ع) يقول: «إيّاك والسفلة، إنما شيعة جعفر من عفّ بطنه وفرجه واشتد جهاده وعمل لخالقه ورجا ثوابه وخاف عقابه» («٢»).

وبمثال حسى لو كانت لشخص فرس يحتاجها عند التنقل والترحال والحروب لصد الأعداء وكوسيلة تخدمه لتلبية أغراضه

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٤١٢

ومتطلبات حياته ولكنه يوفر لها المأكل لدرجة أنه صار خادماً لها فى تلبية جميع متطلباتها حتّى الراحة والنوم فضلًا عن الطعام، فبالنتيجة صارت الفرس تقضى حوائجها بواسطة ذلك الشخص، فلو أرادها للحرب والتنقل طلبت الراحة والنوم، ولو أراد هو الراحة والنوم طلبت هى الطعام والشراب، فصار الأمر بعكس المطلوب!

أما لو كان يعطيها بقدر الحاجة ويجبرها على تأدية متطلباته هو حتّى لو كان فى ذلك عناء ومشقة الدابة فإنّ ذلك هو السبيل الوحيد والترتيب المنطقى والعلاقة الطبيعية بين الشخص ودابته، وهكذا الإنسان ونفسه، فلو جعلها جزء ذاته وأعطاها كل ما تريد وتشتهى امتطته وقضت حوائجها وشهواتها به ومنه، وخسر هو ذاته وكانت وبالًا عليه بدلًا من أن تكون عوناً له.

وبالتالى تكون النفس أميرة عليه فيحسبها ويستغفل عقله.

وعلاج ذلك أن يجعلها دابة له ويتعامل معها على هذا الأساس تعاملًا عملياً تعايشياً وليس تعاملًا فكرياً تجريدياً فحسب.

فلا بدَّ للإنسان من ترويض نفسه لا أن يطيعها كما يقول أمير المؤمنين (ع): «هى نفسى أروضها » («... ١») أى أجعلها مأمورة خادمة.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٤١٣

كما يستفاد ذلك من الدرس العظيم الذى أوصلته لنا العقيلة (ع) من القرآن الكريم حينما ردّت على يزيد لعنه الله، حيث قالت: قال الله تعالى: ثُمَّ كانَ عاقِبَةَ الَّذِينَ أَساؤُا السُّواى أَنْ كَذَّبُوا بِآياتِ اللَّهِ وَكانُوا بِها يَسْتَهْزِؤُنَ («١») والذى يعنى أن الإنسان إذا توحّل فى الرذائل فإنّ الله تعالى يُعمى بصيرته وعقله، فإنّ الإنسان مجموعة قوى تؤثر بعضها فى البعض الآخر، فإذا كان الإنسان يرتكب المحرمات سوف تنعدم وتضيع منه البصيرة وبالتالى يحكّم المتشابهات على المحكمات، والإنسان الطاهر العفيف والذى أدمن السلوك النيّر وأدمن ورابط على التقوى والعفاف والطهارة والصلاح فإنّ ذلك يوجب قوة العقل والبصيرة والتمييز عنده.

لأنَّ سبب انحراف بعض الذين ادعوا النيابة الخاصة والسفارة مع أنه كان فى البداية مؤمناً مستقيماً أنهم مع ما وصلوا إليه لم تكن

نفوسهم راضخة ومتيقنة أن الطريق والمسلك إنما يُحدد من قبل الله تعالى والمعصومين، بل هم رضخوا لمطالب النفس فى طلب السيادة والرئاسة و...

واللطيف أن الإمام الثانى عشر (ع) لما أخرج اللعن بحق العبرتائى ذكر سبب انحرافه حيث قال: إنه لم يدع الله أن يجعل إيمانه مستقراً، فعن على بن محمّد بن قتيبة، قال: حدّثنى أبو حامد أحمد بن إبراهيم المراغى، قال: ورد على القاسم بن العلاء نسخة ما خرج من لعن ابن هلال وكان ابتداء ذلك أن كتب (ع) إلى قوّامه بالعراق: «احذروا الصوفى المتصنع»، قال: وكان من شأن أحمد بن هلال أنه قد كان حج أربعاً وخمسين حجة، عشرون منها على قدميه.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ۴۱۴

قال: وكان رواة أصحابنا بالعراق لقوه وكتبوا منه، وأنكروا ما ورد فى مذمته، فحملوا القاسم بن العلا على أن يراجع فى أمره.

فخرج إليه: «قد كان أمرنا نَفَذَ إليك فى المتصنع ابن هلال لا رحمه الله، بما قد علمت لم يزل، لا غفر الله له ذنبه، ولا أقاله عثرته يداخل فى أمرنا بلا إذن منّا ولا رضى يستبد برأيه، فيتحامى من ديوننا، لا يمضى من أمرنا إيّاه إلّا بما يهواه ويريد، أرداه الله بذلك فى نار جهنم، فصبرنا عليه حتّى بتر الله بدعوتنا عمره.

وكنّا قد عرفنا خبره قوماً من موالينا فى أيامه لا رحمه الله، وأمرناهم بإلقاء ذلك إلى الخاص من موالينا، ونحن نبرأ إلى الله من ابن هلال لا رحمه الله، وممن لا يبرأ منه.

واعلم الإسحاقى سلمه الله وأهل بيته مما أعلمناك من حال هذا الفاجر، وجميع من كان سألك ويسألك عنه من أهل بلده والخارجين، ومن كان يستحق أن يطلع على ذلك، فإنه لا عذر لأحد من موالينا فى التشكيك فيما يؤديه عنّا ثقاتنا، قد عرفوا بأننا نفاوضهم سرنا، ونحمله إيّاه إليهم وعرفنا ما يكون من ذلك إن شاء الله تعالى».

وقال أبو حامد: فثبت قوم على إنكار ما خرج فيه، فعاودوه فيه، فخرج: «لا شكر الله قدره، لم يدع المرء ربه بأن لا يزيغ قلبه بعد أن هداه وأن يجعل ما منَّ به عليه مستقراً ولا يجعله مستودعاً» («١») اللهم اجعل إيماننا مستقراً بحق محمّد وآله الأطهار.

ولا ينحصر هذا الكلام بمدعى السفارة، بل بكل الدعوات الباطلة

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ۴۱۵

من دعوى الألوهية والنبوة والإمامة والسفارة والفقاهة والسيادة و ... وكل ما هو عالى وشريف، فإنّ النفس ببواعثها الشيطانية تطمح لها، ولكن العقل يحكم موازينه وضوابطه ويضع نفسه فى محله الصحيح، ولكن أين الذى يجعل النفس دابة العقل ليكون فى جادة الحق والصراط المستقيم؟!

فإنّ بعض أولئك الفقهاء مع ما وصلوا إليه من العلم والعبادة لم تكن نفوسهم طوع عقولهم، بل كانوا يأملون أكثر مما تستحق نفوسهم، ولم يكونوا يعتقدون بالأئمّة تمام الاعتقاد، بل أحياناً يرون الرجحان فى أقوالهم أو أفعالهم كما روى عن المفضل، قال: سمعت أبا عبد الله (ع) يقول: «اتق السفلة، واحذر السفلة، فإنّى نهيت أبا الخطاب فلم يقبل منى» («١») وروى عيسى عن أبى عبد الله (ع): «إيّاك ومخالطة السفلة فإنّ السفلة لا تؤل إلى خير» («٢») فإنّ أبا الخطاب لم يمتثل كلام الصادق (ع)، لأنه كان يرى فعله ورأيه أرجح، وما ذلك إلّا لسوء سريرته الحاصل من عدم السيطرة على أهواء النفس، فإنّ الرواية تفيد أنه كان يرافق السفلة مع أن الإمام ينهاه، بمعنى أنك تتبع هواك فإيّاك من ذلك.

وقد روى عن الكاظم (ع) أنه قال عندما سُئل عن أبى الخطاب: «إن الله خلق الأنبياء على النبوة فلا يكونون إلّا أنبياء، وخلق المؤمنين على الإيمان فلا يكونون إلّا مؤمنين، واستودع قوماً إيماناً فإن شاء أتمه

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ۴۱۶

لهم وإن شاء سلبهم إيّاه، وأن أبا الخطاب كان ممن أعاره الله الإيمان، فلما كذب على أبى سلبه الله الإيمان» («١») أى فيهم استعداد

رسوخ الإيمان، فإنّ عصوا لم يرسخ، وهذا العصيان من النفوس إذا كانت لها السيادة على العقول.

***،

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۴۱۹

الفصل السادس: النيابة الخاصة ... ص: ۴۱۹

أصحاب السر ...: ص: ۴۱۹

قد نجد فى بعض الروايات أوصافاً خاصة لبعض الأصحاب كوصف أصحاب السر («۱») لميثم التمار ورشيد الهجرى وحبيب بن مظاهر الأسدى (رض) وجملة من أصحاب الإمام أمير المؤمنين (ع) حيث أتحفهم الإمام (ع) بعلوم وحباهم بها، وهكذا باقى الأئمّة (عليهم السلام) مع بعض أصحابهم فإنّ لهم علم المنايا والبلايا وأسراراً وغوامض العلوم وغيرها.

ولكن ذلك لا يعنى أنهم يرفعون اليد عن بديهيات العقل أو ضروريات الدين أو سنن النبى (ص) والأئمّة (عليهم السلام) ولا بدَّ أن نلتفت لهذه النكتة المهمة وهى قاعدة رقابية عقائدية معرفية، إذ مهما كان عند أولئك من علوم وأسرار و ... فإنّها لا تناقض ولا تخالف ولا تصطدم ولا تصطك فى حال من الأحوال ولا فى زمان من الأزمان مع ضروريات وبديهيات العقل وفرائض الله وسُنّة النبى (ص) والأئمّة (عليهم السلام) سواء أكانت تلك العلوم والأسرار عند الأصحاب أم عند الأئمّة (عليهم السلام)، فحتّى الأئمّة

، دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۴۲۰

(عليهم السلام) عندما نقول عندهم علم الباطن ولديهم أسرار و ... فلا يعنى ذلك أبداً التنازل عن أىّ ضرورة من ضروريات العقل ودين الله وسُنّة النبى والأئمّة (عليهم السلام).

فلا نستغفل ولا نغرر ولا نتوهم فى بريق هذه العناوين (علوم الباطن، أسرار، معارف، علم البلايا والمنايا) ... فحينئذٍ نتهاون عن التمسك بالضرورات والبديهيات، وإنما تبقى هذه الضروريات وتبقى تراتبية الحجج وتبقى القواعد الرقابية المعرفية فى كل الأحوال والأزمان.

ومما يشهد ويؤيد ذلك قصة موسى (ع) مع الخضر (ع)، قال الله تعالى: فَوَجَدا عَبْداً مِنْ عِبادِنا آتَيْناهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنا وَعَلَّمْناهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْماً* قالَ لَهُ مُوسى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً* قالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً* وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلى ما لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْراً* قالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شاءَ اللَّهُ صابِراً وَلا أَعْصِي لَكَ أَمْراً* قالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلا تَسْئَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْراً* فَانْطَلَقا حَتَّى إِذا رَكِبا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَها قالَ أَخَرَقْتَها لِتُغْرِقَ أَهْلَها لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً إِمْراً* قالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً* قالَ لا تُؤاخِذْنِي بِما نَسِيتُ وَلا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْراً* فَانْطَلَقا حَتَّى إِذا لَقِيا غُلاماً فَقَتَلَهُ قالَ أَ قَتَلْتَ نَفْساً زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً نُكْراً* قالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً* قالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَها فَلا تُصاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْراً* فَانْطَلَقا حَتَّى إِذا أَتَيا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَما أَهْلَها فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُما فَوَجَدا فِيها جِداراً يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقامَهُ قالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْراً* قالَ هذا فِراقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ ما لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْراً* أَمَّا السَّفِينَةُ فَكانَتْ لِمَساكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَها وَكانَ وَراءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْباً* وَأَمَّا الْغُلامُ

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۴۲۱

فَكانَ أَبَواهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينا أَنْ يُرْهِقَهُما طُغْياناً وَكُفْراً* فَأَرَدْنا أَنْ يُبْدِلَهُما رَبُّهُما خَيْراً مِنْهُ زَكاةً وَأَقْرَبَ رُحْماً* وَأَمَّا الْجِدارُ فَكانَ لِغُلامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُما وَكانَ أَبُوهُما صالِحاً فَأَرادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغا أَشُدَّهُما وَيَسْتَخْرِجا كَنزَهُما رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَما فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذلِكَ تَأْوِيلُ ما لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْراً («۱»).

فإنّ الخضر (ع) بعظمته وما عنده من علوم وأسرار وتوثيق من الله سبحانه وتعالى وإنه من رجال الغيب ومن رجال السر وعنده علم لدنى وتزكية من الله فهو بذلك فوق اليقين وليس رواية ظنية أو تحليلًا أو تأويلًا، حيث كانت مرافقة موسى (ع) له بإرشاد وتوجيه وتوثيق من الله سبحانه وتعالى، فمع كل ذلك عندما ارتكب ما يخالف ظاهر الشريعة وليس ضرورى الشريعة وإنما ظاهر الشريعة لم يكن موسى (ع) ليتجاوز من ذلك ويستمر فى صحبته معه على عمايةٍ وإنما اعترض عليه موسى (ع) ووقف أمامه لأن هناك حججاً فوق حجية الخضر وضوابط ونظماً إلهية لا يمكن للنبى موسى (ع) أن يتخلى عنها، ولقد بُعث بها جميع الأنبياء ولا يمكن لا لنبى ولا لوصى ولا لولى ولا لزكى ولا لملك مقرب أن يتخطاها فهى فرائض الله تعالى وأنها فوق الجميع، لذلك اعترض موسى على الخضر مع أن الخضر مُزّكى من الله (عزوجل) وموسى (ع) لم يغرر بذلك من أنه توثيق وتزكية ووحى، بل عندما شاهد مُخالفةً للقواعد والضوابط اعترض وحكَّم القواعد الرقابية وموازين البصيرة فى تعامله، فحتّى لو كان الخضر ذا علم لدنى وأن الله أمر موسى (ع) باتّباعه فذلك لا يمنع من إعمال تراتبية الحجج وتحكيم القواعد

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ۴۲۲

العامة، فإنّه بحسب الموازين العامة وظاهر الشريعة أن قتل النفس وخرق السفينة وبناء الجدار لقوم جفاة أمرٌ فيه فساد فى الأرض حتّى لو كان من ولى أو وصى أو نبى فكيف بمن دونهم، فإنّ الدماء والنفوس يراد لها محلل وولى من أولياء الله فحتّى الأطفال من أبناء الكفار ليس لنا مسوغ لقتلهم فى الحالات العادية باجماع الديانات ومذاهب المسلمين إلّا الخوارج الذين يمرقون من الدين ويستحلون دماء الأطفال ودماء الأبرياء ودماء الشيوخ والنساء، إذ من ثوابت كل الأديان حرمة الدماء ولم يجترئ على استحلاله أحد حتّى لو كانت هناك حالات استثنائية كتترس الكفار بالأطفال والتدرع بهم فإنّها حالات استثنائية لا تعدو بحالٍ لأن تكون دائمية استمرارية، فالاستثنائى لا ينقلب أوّلياً أبداً.

وكما يقول على بن أبى طالب (ع): «والله إنى لأهتدى للغدر، لكن كل غدرة فجرة، وكل فجرة مآلها النار» («١»).

وكذلك نلاحظ مسلم بن عقيل (ع) سفير الحسين لم يفتك غيلةً وغدراً لأنها ليست من أعراف الأديان السماوية أبداً.

يعنى أن هناك ثوابت لدين السماء لا يمكن لولى مهما كان أن يتجاوزها.

لذلك فإنّ الخضر مهما عُرِّف وزكى بوحى من الله لموسى (ع) فإنّ عند موسى وحياً بحجج أعظم من تزكية الخضر لا بدَّ من تحكيمها

‘‘‘‘

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ۴۲۳

على حجية الخضر، فإنّه قال بعد الاعتراف: قالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً* قالَ لا تُؤاخِذْنِي بِما نَسِيتُ وَلا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْراً («١») ورغم ذلك عاد واعترض ثانياً فقال: قالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً* قالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَها فَلا تُصاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْراً («٢») ولكنه مع ذلك يعترض مرة ثالثة، ولو لاحظنا الاعتراض الثالث لوجدناه ليس شيئاً واجباً ولا محرماً إذ قال له بعد إقامة الجدار: قالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْراً («٣») فهو أمر ندبى أوّلى فيه رُجحان عقلى وشرعى، إذ من الراجح أن يُدبر الإنسان أموره وفى ذلك الحال، كان الخضر وموسى (ع) جائعين وقد استطعما أهل المدينة فأبوا أن يُضيّفوهما لذلك يقول موسى (ع) للخضر من باب تدبير الأمر بأن يأخذ أجراً على إقامة الجدار، فهو أمر تدبيرى راجح وليس فيه إلزام اتخذه النبى موسى (ع) قاعدة رقابية على أفعال الخضر.

وهذه الاعتراضات من النبى موسى (ع) لم تكن هباءً أو خطأً فى مرحلة التنظير وإنما كانت اعتراضات صحيحة يُسطر لنا القرآن من خلالها ملاحم معرفية وبصائر نورية تُنير لنا الدرب وتكون درساً فى تحكيم القواعد الرقابية لعدم مخالفة ظواهر الشريعة فضلًا عن ضروریاتها، فإنّ موسى (ع) لم ينخدع ولم يتنازل عن الحجج العليا والضوابط والقواعد الرقابية لمجرد تزكية الله تعالى للخضر وإرشاده

باتّباعه، فلم يتأول مخالفة الضوابط والاستمرار فى مصاحبته، لأن تلك

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ۴۲۴

الضوابط والقواعد لا يمكن رفع اليد عنها ولا يمكن الاصطدام بها، لذا فإنّ الخضر عندما أراد أن يجيب النبى لم يُفند تلك الاعتراضات من حيث المبدأ، فلم يجوّز سفك الدم البرىء فإنّه حرام بأىّ حالٍ، وإنما أتى بوجوه علمية لدنية موحاة له من قبل الله تعالى، فالخضر أقرّ موسى على تلك المبادئ والقواعد، وأقرّه على عدم إمكان رفع اليد عنها، وإنما بيّن له أن هذه مصاديق لقواعد أخرى.

التأويل مع الظاهر لا الضرورى ...: ص: ۴۲۴

ولنلتفت إلى أن ما فعله الخضر هو مخالف للظواهر وليس للضرورى، وإلّا لو كان مخالفاً للضرورى فلا مجال للتأويل، كما أن الاحتياج للتأويل فى تصحيحه إذا كان مخالفةً للظاهر وأن ذلك التأويل من الله تعالى وليس من أىّ كان، فالخضر على ما كان عليه لم يكن ليتأول من نفسه، وإنما اعتمد على ما عنده من علم لدنى ليوصله إلى وجوه متينة.

إذن هذه الضوابط وهذه القواعد مُحكَمة دائماً، فحينما نقول أسراراً وأسراراً فلا نتعقل أن هناك أسراراً تخالف الشريعة أى أن باطن الشريعة يناقض ظاهرها.

تطابق الشريعة ظاهراً وباطناً ...: ص: ۴۲۴

لذلك تخطّأ دعاوى الصوفية أو بعض العرفاء عندما يتمحلون لأنفسهم أن النبى (ص) أو البارى تعالى لديه دين باطن هذا الدين عميق ويناقض ظاهر الشريعة، فإنّ هذا باطل، لأنه لا يمكن أن تكون ضرورات الشريعة تُخالف ثوابت باطن الشريعة، بل لا بدَّ من التلائم والانسجام

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ۴۲۵

والتناسق والتناسب والامتداد بين ظاهر الشريعة وباطنها، وإلّا كان كله من الزيف الباطل والعياذ بالله وإن احتمال أن يتوهم متوهم أن ظاهر الشريعة ليس إلّا سراباً أعوذ بالله فإنّ هذه سفسطة وليست حقيقة.

وهذه القاعدة المهمة دائماً ما تحاول الفرق الضالة الاحتيال عليها أو تزييفها لعقول المؤمنين باسم هذه العناوين والذرائع من أسرار وبواطن و ... وأنها تناقض ضروريات الدين، فإنّ ضروريات وبديهيات العقل وضروريات الدين وضروريات سُنّة النبى (ص) وضروريات سُنّة المعصومين (عليهم السلام) قواعد رقابية معرفية سواء على ما دونها من الحجج أم على الأسرار والأعماق والبواطن، لأن باطن المعارف يعنى الأمور النظرية والمتوغلة فى النظرية، وأن إدراكها نظرى وغامض، ومما لا خلاف فيه أن النظرى إنما يتسع وينبنى ويتوالد وينشعب ويأخذ سلسلة حلقات مترابطة مبتنى على البديهيات.

كما فى علم الرياضيات وبقية العلوم فلا نتصور وجود أسرار تناقض قاعدة أن (۴: ۲+ ۲) ولا غير ذلك، فإنّ كل قواعد الرياضيات وعلومه المستجدة المتداولة المكتشفة جيلًا بعد جيل إنما تبتنى على بديهيات الرياضيات لا أنها تهدمها وتناقضها وإلّا لانهدم أساسها وجذرها وبنيتها، وهكذا أسرار الفيزياء وأسرار الكيمياء وأىّ علم كان فإنّ معنى أن له أسراراً أى متوغلًا فى النظرية والابهام والغموض لكنه مبنى وفق حلقات ومعادلات تبتنى على بديهيات وضروريات ذلك العلم.

وهكذا الكلام فى معارف الشريعة وضرورياتها، فإنّ باطن الشريعة وأسرارها يجب أن لا يناقض ضرورياتها، بل أن أسرار وغوامض

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ۴۲۶

الشريعة والنظرى فيها لا بدَّ أن يبتنى على الضرورى منها، فإنّ ضرورة التوحيد وبقية صفات الله وأن البارى تعالى هو الغنى المطلق وأن

كل ما عدا البارى تعالى مخلوق مفتقر ومحتاج إليه تعالى ونبوة الأنبياء وولاية الأوصياء و («... ۱»).

فهذه ضروريات الشريعة يجب المحافظة عليها وعدم مخالفتها، ولا بدَّ أن يبتنى النظرى والسر والغامض عليها كما هو الحال فى كل العلوم، وإلّا لو كان النظرى مخالفاً أو مناقضاً للضرورى والبديهى لأدى ذلك إلى نسف نفس النظرى فيكون النظرى مناقضاً لنفسه، لأن النظرى فى كل علم يجب أن يكون مبنياً على بديهى وضرورى ذلك العلم.

فإنّ كل العلوم النظرية إنما تكون متحصلة من صغرى وكبرى أو استقراء أو ... وهذه تنتهى للبديهيات، والإنسان إنما ينطلق لايجاد وتحصيل علوم وقواعد ودوائر معرفية جديدة من تلك الدوائر والمساحات البديهية، فإنّ دوائر الضروريات والبديهيات رأس مال ثمين وكنز لا يُقدَّر، منحه الله تعالى للإنسان فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِى فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْها لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ («۲»)، إذن لا يمكن أن تكون هناك أشياء تناقض الفطرة، فهذه قوى قوامية وقيومية واستقامة وفطرة قيمة وهى قاعدة من القواعد المعرفية.

لذا فلو أردنا الوصول لباطن الشريعة فلا بدَّ أن يكون من الظاهر فإنّ الظاهر هو جسر وطريق الباطن ولا نتصور التناقض بينهما.

“

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۴۲۷

وما يحصل من توهم واشتباه فى هذا المجال إنما هو لأن الغوامض والأسرار والنظرية متشابهة قد يشتبه الأمر فيها لدى الإنسان فلا يعلمها فيجعلها غامضة لديه دوماً ولا يرجعها إلى محورية واسطوانية ومركزية المحكم وهو ضروريات الدين، والبعض نتيجة هذا التوهم يقع فى مصيدة ومسرحية الدجل والتحايل ومصادرة العقول والألباب والبصائر بعناوين مختلفة كأسرار وبواطن وغوامض و... فيرفع اليد عن الضروريات فيستبيح ارتكاب الفواحش وترك الصلاة والصوم ونصب العداء للأئمّة (عليهم السلام) ولشيعة أهل البيت وغير ذلك، وهو من العجيب، فإنّ من ضروريات الدين محبة محبى أهل البيت فكيف يكون من الدين بعنوان الأسرار ونحوه معاداتهم، وكيف أن معاداة فاطمة ومعاداة محبيها يكون من الدين بعنوان الأسرار والبواطن مع أن محبة فاطمة من ضروريات الدين وأنها (ع) تنجى محبيها يوم القيامة بل ومحبى محبيها فضلًا عن من تولاها (ع)، وما ذلك إلّا تحايلات وتدليسات وهلوسات.

وبعبارة أخرى كيف تترك ضروريات الدين الواصلة إلينا بتمويهات من الغرب أو الشرق، بل لنلتزم ونلتفت لحقيقة الدين وحقيقة الحجج التى أسسها الله والرسول والأئمّة من القواعد الرقابية المعرفية المهمة.

سقوط الحجية ...: ص: ۴۲۷

تقدم أن إعمال القواعد الرقابية وتطبيقها أمر مهم ولا بدَّ منه فى بناء نظم الحجج وتراتبيتها، وذكرنا أن من نتائج تطبيق تلك القواعد الرقابية إسقاط حجية بعض الفقهاء الكبار كابن أبى العزاقر والعبرتائى،

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۴۲۸

وهذه ظاهرة عظيمة فى تراتبية الحجج، فالكل تحت مجهر المراقبة ومختبر التجربة، وما أن يتجاوز دائرة حجيته حتّى يكون نتيجة عملية تلقائية للقواعد الرقابية بأن تنكشف عدم الحجية لذلك المتجاوز.

وكما تبيّن أن هذا البحث ليس منحصراً على حجية الفقهاء بل لكل الحجج على اختلاف مراتبها والتى منها النيابة الخاصة والسفارة، فإنّ هناك من كان سفيراً أو نائباً خاصاً وقد تجاوز دائرة حجيته فاسقطت لإعمال تلك القواعد الرقابية.

فإنّ محمّد بن أبى زينب المقلاص أو أبا الخطاب له عدة ألقاب اشتهر بها كان من أصحاب السر للإمام الصادق (ع)، وكان من القدر والجلالة والاستقامة بمكان زرارة بن أعين الفقيه، بل لعلَّه كان أكثر حظوة عند الإمام الصادق (ع) من زرارة أو محمّد بن مسلم أو أبى بصير أو بريد بن معاوية العجلى، مع أن هؤلاء هم الأوتاد الأربعة من الفقهاء والذين قال عنهم أئمّة أهل البيت (عليهم السلام): «بهم انتشر حديث وعلوم أهل البيت (عليهم السلام)» («۱») مع كل ذلك كان أبو الخطاب أكثر حظوة منهم عند الإمام (ع)، وكان

حمران بن أعين يروى عنه أى عن محمّد بن أبى زينب المقلاص فى فترة استقامته مع أن حمران أحد الرواة المهمين فى القراءات العشر، وكان من علماء علم التفسير، وشهد له الإمام الصادق (ع) بالجنّة بعد وفاته، فهذا حمران على عظمته كان كذلك يستفهم من محمّد بن أبى زينب المقلاص.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٤٢٩

إمكانية الانحراف والنائب الخاص ...: ص: ٤٢٩

بل إن محمّد بن أبى زينب المقلاص قد يستظهر من بعض الروايات أنه كان نائباً خاصاً وباباً وسفيراً للإمام الصادق (ع) وهناك شواهد على ذلك ويمكن مراجعة الكشى فيه لكن قد نستغرب أن هناك نائباً خاصاً بهذا القدر ثمّ ينحرف! ولكن ذلك لعدم تسليط الضوء على ذلك الحدث من قبل علمائنا ولم يبلوروا البحث فيه بشكل دقيق.

ورد فى ترجمة المفضل بن عمر الجعفى أن الشيعة أتت الإمام الصادق (ع) وأرادت منه أن يقيم المفضل مقام ومكان ابن أبى زينب المقلاص بعدما انحرف وتبرأت منه الشيعة وأن يقيمه باباً له، وهذا التعبير موجود فى غير واحد من الروايات من قبيل ما حكى نصر بن الصباح، عن ابن أبى عمير بإسناده أن الشيعة حين أحدث أبو الخطاب ما أحدث: خرجوا إلى أبى عبد الله (ع) فقالوا: أقم لنا رجلًا نفزع إليه فى أمر ديننا وما نحتاج إليه من الأحكام؟ فقال: «لا تحتاجون إلى ذلك متى ما أحتاج أحدكم عرج إلىَّ وسمع منىّ وينصرف»، فقالوا: لا بدَّ، فقال: «قد أقمت عليكم المفضل اسمعوا فيه واقبلوا عنه، فإنه لا يقول على الله وعلى إلّا الحق»، فلم يأت عليه كثير شىء حتّى شنعوا عليه وعلى أصحابه، وقالوا: أصحابه لا يصلّون ويشربون النبيذ وهم أصحاب الحمام يقطعون الطريق، والمفضل يقربهم ويدنيهم («١»)، مما يدلل أن محمّد بن أبى زينب المقلاص كانت له نوع من السفارة والنيابة الخاصة ولكنه لما انحرف وزلت به القدم لُعن وطُرد وتُبرئ منه، وهذا يعطينا نموذجاً أنه من

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٤٣٠

الممكن أن تسقط حجية النائب الخاص أو السفير الخاص، فإنّ النيابة الخاصة وإن كانت مقاماً عظيماً جليلًا وموقعاً حساساً جدّاً وإن الشخص الذى يتولاها لا بدَّ أن يكون من أهل التقوى واليقين وأن يكون صدّيقاً، فمع كل ذلك الشأن لمقام النيابة والنائب إلّا أن ذلك لا يعنى العصمة للنائب الخاص، كما أنه لو بحثنا ولاحظنا فى كتب علماء الإمامية لا نجد منهم من يفسر النيابة الخاصة والسفارة بأنها عصمة أو كون النائب معصوماً لا نجد ذلك فى كلماتهم مطلقاً، بل إن السفارة مع جلالها وعلو مقامها ليست إلّا منصباً ومقاماً يشغله من يختاره الإمام ليوصل الأحكام للناس ما دام مستقيماً وما دام ضمن دائرة حجيته ولا يتجاوز ولا يقفز على ضروريات الدين وسُنّة النبى والأئمّة (عليهم السلام) كما تقدم ذلك فى عرض كتاب الحسين بن روح النوبختى على فقهاء قم.

وأمثال الحسين بن روح النوبختى جملة أخرى كانوا نواباً وأبواباً للأئمّة (عليهم السلام) ولكن لم تعرف عنهم العصمة لا فى روايات أهل البيت (عليهم السلام) ولا فى كلام علماء الإمامية، مع أن أولئك السفراء والنواب عظماء أمثال سلمان المحمدى وحبيب بن مظاهر الأسدى وميثم التمار ورشيد الهجرى (رض)، فمع ما لهم من المكانة والقدر الجليل والشأن العظيم وأنهم سفراء ونواب إلّا أنه لم تعرف عنهم العصمة أبداً، فإنّ العصمة لأهلها، فهذه العصمة لا يصلها الإنسان مهما بلغ من مقامات عظيمة إلّا أهلها.

فإنّ هؤلاء السفراء والنواب على عظمتهم وما عندهم من علم البلايا والمنايا وعلوم الباطن والأسرار ... كانوا مستضعفين فى معارفهم بالنسبة للإمام (ع) كما ورد ذلك فى شأن رشيد الهجرى من معرفته

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٤٣١

بعلم المنايا والبلايا، والمستضعف باصطلاح الآيات والروايات هو الذى لم يصل إلى كمال الإيمان ولم تبلغ معارفه الإيمانية ما بلغته معارف المعصوم، فهو من هذه الناحية والجهة مستضعف يعنى لا يدرى أين طريقه لولا هداية ونور المعصوم وعنايته وإشرافه وإرشاده

وإن كان بالنسبة لمن دونه من عامة الناس هو كامل الإيمان ومن الأفذاذ، فإنّ مثل ميثم التمار (رض) بالنسبة لعامة الناس من الأفذاذ والكُمل وصاحب إيمان كامل إلّا أنه بالنسبة للإمام (ع) هو مستضعف أى يحتاج لهداية ونور وإرشاد المعصوم فى معرفة طريقه وسبيله لله تعالى.

السفير والنائب قد يفقد حجيته ...: ص: ۴۳۱

لذا فالسفير والنائب لا بدَّ أن يبقى على هدى المعصوم وضمن دائرة حجيته وإلّا بمجرد أن يتجاوزها تسقط تلك الحجية كما فى محمّد بن أبى زينب المقلاص.

وربما يطرأ فى المقام سؤال: إن الإمام (ع) لِمَ جعل مثل هذا الشخص سفيراً ونائباً مع علمه بأنه سينحرف ويلعن ويطرد، أليس هذا خلافاً للحكمة؟

ولكن الحق أن هذا هو عين الحكمة، والقرآن يضرب لنا مثلًا فى ذلك، فإنّ بلعم بن باعورا آتاه الله تعالى بعض حروف الاسم الأعظم وليس كله وإنما هدب شعاعى منه أو خيط مما لا يحصى من خيوط النور قال تعالى: وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِى آتَيْناهُ آياتِنا فَانْسَلَخَ مِنْها فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطانُ فَكانَ مِنَ الْغاوِينَ («١»).

فكيف يعطى الله تعالى بعض الاسم الأعظم لمثل هذا الذى يعلم

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ۴۳۲

به أنه سينحرف، فإنّ ذلك لم يخرج عن موازين الحكمة فإنّ البارى تعالى عادل لا يجور وقد قال فى كتابه العزيز: فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ* وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ («١»).

فإنّ الإنسان ما دام يجاهد نفسه ويتقى ويتورع ويزهد فى الدنيا ونحو ذلك، فإنّ الله تعالى يعطيه ويجازيه لقاء عمله هذا حيث روى عن أبى عبد الله (ع) أنه قال: «من زهد فى الدنيا أثبت الله الحكمة فى قلبه وأنطق بها لسانه وبصّره عيوب الدنيا دائها ودوائها وأخرجه منها سالماً إلى دار السلام» («٢»).

لكن الحكمة تكون على الكافر حجة وتكون للمؤمن حجة، أى الحكمة تكون بنفع المؤمن وبضرر الكافر، فإنّ الحكمة والمقام الذى يعطيه الله تعالى للإنسان الزاهد العامل فى الدنيا جزاء زهده وعمله تلك المقامات من السفارة أو بعض حروف الاسم الأعظم لا تعنى ضماناً ولا حسن عاقبة له ولا سداداً له وإنما حسن العاقبة والسداد والضمان يحصل عليها من استمرار العمل المستحق لذلك لا أنه يعمل ما يشاء وكيف يشاء لأنه ضمن السداد وحسن العاقبة بحصوله على النيابة أو السفارة أو بعض حروف الاسم الأعظم، فإنّ السداد والصراط المستقيم أمر دقيق أحدّ من السيف وأرفع من الشعر وهو أمر صعب عصيب، لأنه تحت الرقابة الشديدة والمتابعة المستمرة وبمجرد أن يتخلى عن الضروريات والحجج الأكبر والعليا واستمسك بالحجج الدون فإنّ منظومة الحجج لديه تنهدم وتنفصم وبالتالى يقع فى الفتن والزيغ، وأما لو استقام

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ۴۳۳

واستمسك بالعروة الوثقى وهى الحجج الأقوى فإنّه ينجو ويهتدى لانتظام منظومة الحجج لديه قال تعالى: وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقى وَإِلَى اللَّهِ عاقِبَةُ الْأُمُورِ («١»)، فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقى لَا انْفِصامَ لَها وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ («٢»).

فإنّ مثل بلعم بن باعورا ومحمّد بن أبى زينب المقلاص وإن كان لهم ما لهم من المنزلة والحبوة والحظوة و ... فإنّ ذلك لا يعد ضماناً ولا صيانة لمستقبلهم ما لم يكن العمل الصحيح والتمسك بالحجج الأعلى من قبلهم والحفاظ على دائرة الحجية لكلٍ منهما، إذ ليس فى منهاج الدين والمعرفة الدينية اعتمادٌ على أن هذا كان مستقيم العمل أو أنه مستجاب الدعوة ونحو ذلك، وإنما منهاج الدين

منضبط ومبنى وفق مراتب الحجج وقواعدها الرقابية.

وإن من أوتى علم المنايا والبلايا والأسرار والباطن ونحو ذلك لا يعنى أنه أوتى الحجية والعصمة سواءً بقى على الصلاح كسلمان المحمّدى وحبيب بن مظاهر وميثم التمار وغيرهم (رض) أم انحرف عن الحق كابن أبى المقلاص وغيره، وإنما يعنى أنّا نتربى على أيديهم فى حدود النظريات لكن فى إطار ومسار وصراط وجادة ضروريات وثوابت الشارع المقدس، فلنا الشرف أن نتربى ونتتلمذ على ميثم التمار ورشيد وغيرهم (رض)، شرف لنا ولآبائنا وأجدادنا أن نتتلمذ على أيديهم

ولا نصل إلى درجتهم، فإنّا يوم القيامة مسؤولون إلى من أولينا زمام

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٤٣٤

أنفسنا ورقابنا فى ظل الضروريات فإنّ أمثال سلمان وحبيب وميثم ورشيد وغيرهم من الأكابر والأعاظم عرّفوا لنا الأئمّة والكتاب وسُنّة النبى، فتلك الحجج الأكبر وهى ضروريات الكتاب والسُنّة النبوية وثوابت منهاج الأئمّة (عليهم السلام) لا يمكن تركها تحت ذريعة اتّباع الصلحاء وأهل اليقين ورفع اليد عنها فهى الطريق اللائح والمنهاج الواضح.

فهذا نموذج جيّد موجود فى النواب والسفراء الخاصين بقوا واستمروا وحافظوا على دائرة حجيتهم واستمسكوا بالحجج الأعلى وتركوا الحجج الأدون فثبتت حجيتهم، وهناك نماذج أخرى كمحمّد بن أبى زينب المقلاص والمغيرة بن سعيد العجلى تعدّوا دائرة حجيتهم وتركوا الحجج الأعلى واستمسكوا بالحجج الأدون فسقطت حجيتهم ببركة القواعد الرقابية.

كما تقدم مثل ذلك فى الفقهاء كابن أبى العزاقر وأحمد بن هلال العبرتائى.

دعوة للتوازن ...: ص: ٤٣٤

من خلال ما تقدم تتضح الصعوبة فى فهم معارف الدين، وأن الابتلاء والامتحان فى المعرفة والبصيرة أعظم الامتحانات الإلهية، وأن امتحان الله تعالى لنا فى الغرائز والشهوة والغضب ونحوها هى امتحانات سهلة هيّنة يسيرة بالقياس إلى امتحانات البصائر والعقائد.

فإنّ منعطفات تاريخ الأمم والبشر فى الاستقامة ونحوها إنما هى بسبب الامتحانات والاختبارات والفتن فى البصيرة والمعرفة، لأن مركز التحكم فى

الإنسان والمميّز له عن بقية المخلوقات وعن الملائكة أيضاً هو عقله ولُبه وذهنه

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٤٣٥

ودركه، فقد قال أمير المؤمنين (ع): «إن الله (عزوجل) رَكَّبَ فى الملائكة عقلًا بلا شهوة، ورَكَّبَ فى البهائم شهوة بلا عقل، ورَكَّبَ فى بنى آدم كلتيهما، فمن غلب عقله شهوته فهو خير من الملائكة، ومن غلبت شهوته عقله فهو شر من البهائم» («١») فإنّ النمط العام من الملائكة عنده قوة عقل فقط، أما الإنسان فإنَّ درجة القوة عنده بحيث تستطيع أن تتحكم وتجابه الشهوة والغضب، وهذا غير موجود عند الملائكة هذا الكلام ليس مع الملائكة المقربين، بل المقصود عموم الملائكة من غير المقربين.

ضرورة الدراسات العقائدية ...: ص: ٤٣٥

فإذن إذا كانت هذه القوة وهذه النعمة الوجودية التى هى رأس مال خطير أعطاها الله (عزوجل) للإنسان وهى قوة العقل والتى بتوسطها يمتحن الله الإنسان أعظم الامتحانات وبها امتاز عن بقية المخلوقات، فلا بدَّ للإنسان أن لا يقف عن تحريكها وتطويرها ولا يعطلها ولا يتوهم أنه اكتفى فى مرحلة ما فى دراسة المعارف وتعلمها، لأن معارف الدين بحر واسع، وإن قلنا أن التمسك بالضروريات هو تمسك بالعروة الوثقى، ولكن لكى يكون الإنسان أكثر فطنة وبصيرةً ونفاذاً فالحذر كل الحذر من تعطيل بحث المعارف والعقائد، إذ به نجاة الدين، فإنّه مما رواه الفريقان وهو مدار ملاحم تفسيرية علمية بين العلماء أن النبى (ص) قال: «العلوم كلها فضلة إلّا ثلاث: آية

محكمة، وسُنّة قائمة، وفريضة عادلة» («۲»)

، دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۴۳۶

فالآية المحكمة يعنى العقائد، والسُنّة القائمة يعنى تهذيب الأخلاق أو العلوم التى تبحث عن النفس والتى تؤدى لمعرفة النفس فإنّه «من عرف نفسه عرف ربه» («۱») و «من ملك نفسه هُدى واستقام» («۲»)، فهذه العلوم التى تبحث عن النفس وأخلاقها وبالتالى عن رياضات النفس هى سُنّة قائمة، والفريضة العادلة هى الفقه، أى فقه الفروع.

فإذن العلوم المهمة التى يجب على الإنسان أن يتعلمها هى ثلاثة محاور تكمل بعضها البعض ولا ينبغى التقصير والتماهل فى واحد منها، فإذا استطاع طالب العلم أن يشبع البحث والمعرفة ويدأب إلى آخر عمره فى السير فيها فإنّه لن يُباغت ولن يُغدر به ولن تتكأده القيام بالمسؤولية لأن وظيفة طلبة العلوم الدينية هى المرابطة فى الثغور الخطيرة الأساسية وحماية الدين فى تلك الثغور الثلاثة، فإذا أحكمنا المرابطة فيها لن يستطيع العدو أن يباغت حِمى الدين وذلك بأن تتكامل عندنا هذه المحاور الثلاثة من العلوم، إذ بها نحمى الدين فإنّ هذه وصية إعجازية من النبى (ص) فى القدرة على حفظ الدين وعجز العدو طوال

تاريخ البشرية، إذن فمن الضرورى عدم حصر التكثيف فى فقه الفروع وعلم أصول الفقه على حساب المحورين الآخرين، وهذا لا يعنى عدم

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۴۳۷

الاهتمام بعلم الفقه وأصوله ولكنّا نقول لا بدَّ من توازنه مع العقائد لأنهما كما يقول العلماء الأكابر المتقدمون جناحان يطير بهما العالم، فقه الفروع والفقه الأكبر وهو العقائد، بل وحتّى الفقه الأوسط وهو تهذيب النفس.

فهذه مراتب ثلاث إذا أحكمها طالب العلم آية محكمة وسُنّة قائمة وفريضة عادلة فإنّه سوف تكون له أجنحة يطير بها إلى ما شاء الله، وإلّا فإنّ تكثيف وإشباع أحدهما على حساب الآخر يكون المسير كمسير الأعرج برجل واحدة، فلا بدَّ من الموازنة فى الدراسة والمواظبة على هذين الخطين المتوازيين.

الدليل الإثباتى للنيابة الخاصة ...: ص: ۴۳۷

ثبت فى محله أن الأدلّة الإثباتية على أنواع ودرجات تختلف باختلاف المثبت والمدعى، فهناك الأدلّة العقلية، والأدلّة النقلية، والنقلية منها القطعى ومنها الظنى، وكل منهما ربما يكون نصاً فى المراد وربما يكون استظهاراً ظنياً وهكذا، فالنبوة مثلًا لما كانت مقاماً مهماً ومنصباً خطيراً لم يسلّم الناس للنبى لمجرد الدعوى من دون دليل إثباتى يقينى، فمثلًا فى قصة إمامة طالوت لم يكن ليسلموا له لمجرد دعواه بل لا بدَّ من القطع، وقد بين ذلك القرآن الكريم حيث قال تعالى: وَقالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسى وَآلُ

هارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلائِكَةُ إِنَّ فِي ذلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ («۱») أى شاهد ملكوتى إعجازى فإنّ التابوت فى بنى إسرائيل كان مثل عصا موسى من

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۴۳۸

جهة أنه أمر إعجازى، فإنّه لا يأتى متحركاً بنفسه إلّا فى سكينة، والسكينة لها شكل وصورة وريح من الجنّة وله شكل جميل مثل وجه الإنسان، وهذه الصورة يشاهدها بنو إسرائيل فقط فى تعيين كل نبى نبى من أنبياء بنى إسرائيل وقد رأوه عندما قالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طالُوتَ مَلِكاً قالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمالِ قالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفاهُ عَلَيْكُمْ وَزادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشاءُ وَاللَّهُ واسِعٌ عَلِيمٌ* وَقالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسى وَآلُ هارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلائِكَةُ إِنَّ فِي ذلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ («۱»)، فكان مجىء التابوت

هو الدليل القطعى عندهم على ذلك، وقد أتى ذلك التابوت فكان آية ملكه.

فقد ورد عن الرضا (ع) قال: «السكينة ريح من الجنّة لها وجه كوجه الإنسان، وكان التابوت إذا وضع بين يدى المسلمين والكفار فإنّ تقدم التابوت رجل لا يرجع حتّى يقتله أو يغلب، ومن رجع عن التابوت كفر وقتله الإمام» («

).

وعن أبى الحسن (ع) قال: «السكينة ريح تخرج من الجنّة لها صورة كصورة الإنسان ورائحة طيبة، وهى التى أنزلت على إبراهيم صلوات الله عليه فأقبلت تدور حول أركان البيت وهو يضع الأساطين،

وهذه السكينة، كانت فى التابوت وكانت فيها طشت يغسل فيها قلوب الأنبياء، وكان التابوت يدور فى بنى إسرائيل مع الأنبياء (عليهم السلام)» («۳»).

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۴۳۹

خطورة السفارة ودليلها ...: ص: ۴۳۹

والسفارة والنيابة الخاصة لما كانت مقاماً إجرائياً خطيراً وحساساً ومهماً لأنه يرتبط بالإمام المعصوم ارتباطاً خفياً ويؤدى عنه، وإن كانت صلاحياته وحجيته محدودة وليست مطلقة وأنه خاضع للمتابعة والمراقبة من الفقهاء والعوام من خلال إعمال القواعد الرقابية المعرفية وأنه خاضع لحجج أعلى وأقوى منه ومحكمة عليه، إلّا أنه لخطورة وأهمية هذا الموقع لم يكن لأحد فى زمن حضور الأئمّة (عليهم السلام) أو فى الغيبة الصغرى أن يقبل ويقر هذا المنصب لأحد إلّا بدليل قطعى نصى، أى بالدليل اليقينى دون غيره من الأدلّة الإثباتية فلا اعتداد بالاستظهارات الظنية حتّى لو كانت ظنوناً معتبرة ولا بالحدس، فلم يقبل شيعة أهل البيت (عليهم السلام) ولم يسلموا على طول فترات الحضور والغيبة للأئمّة (عليهم السلام) بنيابة أىّ نائب ولا سفارة أىّ سفير إلّا بالدليل اليقينى دون غيره من الأدلّة وإن كانت فى نفسها معتبرة كالظنون المعتبرة من الاستظهارات ونحوها ولا بالبينة ولا بغيرها من هذا المستوى من الأدلّة لأنها مراتب إثباتية دانية نازلة لا تناسب المقام الخطير للسفير والنائب لأنه يؤدى عن المعصوم فلا بدَّ من إثباته بالقطع واليقين.

كما أن ديدن شيعة أهل البيت (عليهم السلام) فى إثبات نيابة أو سفارة

النواب والسفراء سواء أكان فى عصر الأئمّة (عليهم السلام) أم فى الغيبة الصغرى للإمام المهدى (ع)، إذ ليس بصحيح ما فى كثير من الأذهان من أن ظاهرة النيابة والسفارة فى فترة الغيبة الصغرى فقط، بل إن الصحيح حسب الروايات العديدة أن هناك نواباً وسفراءً خاصين للمعصومين قبل الإمام المهدى (ع)، بل إن ذلك أحد الطرق اليقينية فى إثبات سفارة

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۴۴۰

ونيابة العمريين من خلال نص الإمام الظاهر وتصريحه بكونهما سفيرين فإنّ العمريين حسب مفاد الدليل كانا سفيرين ونائبين خاصين للإمام الهادى والإمام الحسن العسكرى (ع) فعهدت الشيعة وفقهاء الإمامية هذا المنصب للعمريين فى زمن العسكريين وأن تنصيبهما كان بنص من الإمام الهادى (ع) ثمّ العسكرى (ع)، فقد ورد: «اسمع لهما وأطع لهما فإنّهما الثقتان المأمونان» («۱») ثمّ فى تتمة بعض النصوص الواردة فى شأنهما أنهما كذلك لابن الحسن (ع) يعنى الإمام المهدى (ع) والذى يعنى أن العمريين لهما نفس السمة التى شغلاها وكانت لهما فى عهد الإمام العسكرى والهادى (ع)، فإنّ الشيعة والفقهاء فى تلك الفترة مع ما ورد من تنصيصه (ع) على توثيق العمريين لم يكتفوا بذلك فى ما بعد ما لم يصدر عن العسكرى (ع) ما يثبت استمرار السفارة والنيابة لهما فى عهد المهدى (ع) وإن ذلك الصادر خبر قطعى فيكونون قد أثبتوا السفارة والنيابة لهما بالأدلّة القطعية، وهكذا فى عصر الإمام الصادق

(ع)، فهناك روايات ونصوص تشير إلى ثبوت مقام وسمة السفارة والنيابة الخاصة لمثل جابر بن يزيد الجعفى، وكما هو الحال عند أصحاب الإمام الصادق بعد ثبوت انحراف محمّد بن أبى زينب المقلاص، فإنّهم جاؤوا وطلبوا من الإمام (ع) تنصيب المفضل بن عمر

الجعفى مما يعنى أنهم لا يكتفون بالظنون فى منصب السفارة والنيابة، بل

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ۴۴١

لا بـدَّ من الأدلّـة اليقينيـة القطعيـة والتى هى التصـريح المباشـر من قبل الإمام (ع) فى مثل تنصـيب المفضل بن عمر الجعفى، فإنّ تلك المراتب الأخرى من الأدلّـة كالظهورات والظنون المعتبرة والشاهـدين العـدلين ونحوها إنما لها مجالها ومساحتها الإثباتيـة الخاصة، أما مثل إمامـة أمير المؤمنين (ع) أو أىّ أصل من أصول الـدين أو قواعد الفقه الأصولية و ... ونيابة النواب لا يمكن إثباتها بهذا النحو من الأدلّـة الظنيـة ونحوهـا بـل لاـ بـدَّ من اليقين، نعم هـذه تنفع فى إثبـات أمور أخرى أهون من الإمام والنيابـة كالقواعـد الفقهيـة الفرعية وتفاصـيل أمور الفقه ونحوها وإلّا لو عكسـنا وأثبتنا الإمامـة والنيابة بالأدلّة الظنية أو أثبتنا الفروع الفقهية بالأدلّة القطعية لكان ذلك من الخلط فى الحجج ومنظومة الحجج.

وهو نظير المسـتندات فى الـدوائر الحكوميـة فإنّ كل وزارة لها مسـتندات معينـة خاصـة بها، فلوزارة الصـحة مسـتندات معينة وللجامعة والتعليم مسـتندات معينة وللحوزة العلمية مستندات معينة، فالمستندات أنواع وأنماط وأصناف مختلفة ودرجات متفاوتة، فليس المستند مطلقاً فى كـل مكـان وفى كل حال يكون مؤدياً ومفيـداً للغرض، فالروايـة الظنيـة حتّى لو كان الظن معتبراً لا يمكن إثبات نيابـة نائب خاص أو سفير لخطورة هذا المقام.

انضباط قنوات الحجية للغيب ...: ص: ۴۴١

وحفاظاً على تراتبية الحجج، فإنّ الحجج وتراتبيتها لها نظام خاص فأىّ مخالفة له ونقضه يوقع فى الزيغ، كما لو فرضـنا أن شخصاً رأى ملكاً حتّى لو كان من السماء الأولى ونقل له بعض الأوامر فهل ذلك يكون حجة على ذلك الشخص دون أن يكون عن طريق نبى أو رسول؟

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ۴۴٢

بلا إشـكال ليس حجـة عليه ولا يجوز لذلك الشـخص أن يعمل بتلك الأوامر بدعوى أنه سـمعها من ذلك الملك لأن ذلك الملك ليس حجـة علينـا إلّـا بتوسـط النبى أو الرسول أو وصـى أو ... أمـا الملـك فلم يكن منصوباً من الله تعالى ليكون حجـة علينا بل إن الله تعالى نصب علينا حججاً يجب علينا اتباعها كالرسول محمّد (ص) وعلى بن أبى طالب (ع) لذا وكما بيّنا ذلك سابقاً لا يمكن لنا اتّباع النبى موسى أو عيسى (ع) إلّا فيما أقره النبى محمّد (ص) فى دائرة الحجية لا الشرائع («١»).

فإنّ الـدين ومراتب الحجـج ليس العوبـة فى الأيدى، أى سواء أكان من البشـر أم من الملائكة كمالك خازن النيران أو رضوان خازن الجنّـة وحتّى عزرائيل (ع) بل وحتّى جبرائيل (ع) فلو أدلوا لنا بشـىء ليس لنا الأخذ منهم مطلقاً، لأن الله تعالى لم ينصـبهم حججاً علينا وإنما جبرائيل (ع) نصبه الله لإنباء الأنبياء والرسل ونحن لسنا بأنبياء يقيناً

“

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ۴۴٣

فليست الملائكـة حججـاً علينـا وإنمـا نحن نتلقى من الرسول الأعظم إذ أمرنا باتّباعه (ص) واتّباع الأئمّـة (عليهم السـلام) فهم جهاز الله لـدخول الأبواب السـماوية والرقى والتقرب لله تعالى أما من غيرهم فليس لنا الـدخول بها على الساحـة الإلهيـة ولا يصح التقرب، وهذا ضمن النظام الإلهى وتراتبيـة الحجـج، نظير النظام الإدارى الوضـعى فليس للموظف أن يأخذ الأوامر والتوجيهات إلّا من خلال مسؤوله المباشـر، ومـا ذلـك إلّـا لحفظ المقامات والسـيطرة على الأجهزة العاملـة بشـكل مرتب ومنظم، لـذلك نهى رسول الله بشـدة كثيراً من الصحابة عندما أرادوا التمسك ببعض ما روى عن النبى عيسى أو موسى (ع) فإنّه ليس لهم إلّا اتّباع سيد الرسل (ص) أو المقدار الذى أقره سـيد الرسل من باقى الأنبياء والرسل (عليهم السـلام) كما روى أبو عبيد فى (غريب الحديث) («١»): فى حديث النبى (ص) حين

أتاه عمر فقال: إنّا نسمع أحاديث اليهود تعجبنا فترى أن نكتب بعضها؟ فقال رسول الله (ص): «أمتهوكون أنتم كما تهوكت اليهود والنصارى؟! لقد جئتكم بها بيضاء نقية، ولو كان موسى حياً ما وسعه إلّا اتّباعى»، وروى

الطبرسى فى (الاحتجاج) («۲») عن الصادق (ع) أن رسول الله (ص) قال فى احتجاجه على يهودى: «يا يهودى إن موسى لو أدركنى ثمّ لم يؤمن بى وبنبوتى لم ينفعه إيمانه شيئاً ولا نفعته النبوة، يا يهودى ومن ذريتى (المهدى) إذا خرج نزل عيسى بن مريم (ع) لنصرته فيقدمه ويصلى خلفه»، وإلّا فإنّ الأمر ليس فوضى وإنما فيه تنظيم لأنه جهاز

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۴۴۴

إلهى كامل، وهذا من أشرف ما أنعم الله به علينا وهو اتّباع أفضل خلائق الله تعالى وسيد الرسل على الاطلاق وأهل بيته الطاهرين، فنحن أمرنا باتّباع والاقتداء والاهتداء بأفضل الخليقة وهو شرف لنا، فلا يتاه بنا ونضيّع هذه النعمة العظيمة ونتخبط فى الحجج ونتبع عناوين أخرى ما أنزل الله بها من سلطان.

فشرف لنا أنّا خلقنا فى مثل هذا الزمان وهو زمان سيد الرسل (ص) وأوصيائه النجباء ولم نخلق فى أزمنة أخرى لنتبع بقية الرسل فى شرائعهم فإنّا امرنا باتّباع من أمر جبرائيل وعزرائيل وإسرافيل وميكائيل ومالك وكل الكون بل وحتّى باقى الأنبياء والرسل باتّباعهم وطاعتهم وولايتهم ووصايتهم ... فلا نقع فى الزيغ والتيه ونرفع اليد عن تلك الحجج العظيمة ونتبع زعيق كل زاعق ونعيق كل ناعق ونطبل لكل راية ترفع.. فإنّا عندنا ضروريات وبديهيات لا يشوبها شىء وعندنا منهج لائح وأعلام واضحة من مذهب أهل البيت (عليهم السلام)، فلا نستبدل ما هو خير بما هو دون وما هو عالى بما هو سفل.

فلنكن على بصيرة وهداية ولا نتبع هلوسات وظنون وأدلّة حدسية

لإثبات أدعياء النيابة الخاصة والسفارة، وبالتالى نتعامل معه على أنه مرتبط بالأئمّة الصالحين (عليهم السلام).

فإنّ أهل البيت (عليهم السلام) نجوم وأسرار الخلق فلا يمكن أن نصدق من يدعى الالتصاق بهم إلّا بأدلّة قطعية يقينية وبراهين بيّنة محكمة. بل إن الشيعة مع من ثبتت سفارتهم ونيابتهم بالأدلّة القطعية اليقينية لم يكتفوا بذلك، بل راحوا يراقبونهم ويحكمون القواعد الرقابية عليهم حتّى مماتهم لأن ذلك المقام المعطى لهم ليس بالأمر السهل والهيّن بل أمر

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۴۴۵

خطير وهم ليسوا بمعصومين ولا مسددين، فكم هو عظيم وعى الشيعة وأتباع أهل البيت (عليهم السلام) حيث أدركوا أن أولئك السفراء ليسوا بمعصومين فلا بدَّ أن تثبت سفارتهم بالأدلّة القطعية كما لا بدَّ من استمرار المراقبة لهم فلا يكفى الدليل القطعى، بل لا بدَّ من إخضاعهم للرقابة والمتابعة ووضعهم تحت مجهر مراقبة الضروريات والحجج الأكبر، فكم الأمر عصيب وخطير ودقيق فلا نتساهل نحن فيه ونخلط الأمور بعضها بالبعض الآخر ولا نزيلها عن مواضعها ولنتذكر دائماً مثال الخضر (ع)، مع موسى (ع) فمع ما له من المكانة كان موسى (ع) يعمل القواعد الرقابية عليه.

إذاً أوّلًا: النيابة الخاصة لا تثبت إلّا بدليل قطعى، وثانياً: مع أن صلاحيات النائب محدودة وليست مطلقة، وثالثاً: أن القواعد الرقابية وهى ضروريات الدين جارية ومطبقة عليه على طول المسار.

فهذه ثلاث قواعد مهمة فى دائرة النيابة الخاصة والسفارة لا بدَّ من الالتفات إليها وتمييزها بشكل دقيق؛ لأن أهميتها مترشحة من أهمية منصب النائب والسفير الخاص.

شبهات عنكبوتية واهية ...: ص: ۴۴۵

من هنا يتضح بطلان ما يستدل به البعض على كونه ابناً للإمام (ع) وأن له حجية الوساطة بينه وبين الناس لأنه يعتمد فى إثبات ذلك على رواية يفهم منها فهماً خلاف ظاهرها وهى رواية الاصبغ بن نباتة عن أمير المؤمنين (ع) حيث ورد عن الاصبغ بن نباتة، قال: أتيت

أمير المؤمنين علياً (ع) ذات يوم فوجدته مفكراً ينكث فى الأرض، فقلت:

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ۴۴۶

يـا أمير المؤمنين رأيتك تنكث فى الأرض أرغبـة منك فيها؟ فقال: «والله ما رغبت فيها ولكن فكرى فى مولود يكون من ظهر الحادى عشر من ولدى» («١»).

فيستدل البعض على أنه ابن الإمام المهدى (ع) بناءً على أن المتكلم هو أمير المؤمنين (ع) والمولود الحادى عشر هو المهدى (ع) وقد قال: «يكون من ظهر الحادى عشر» أى أن ذلك المولود يولد من الإمام المهدى ويفكر فيه أمير المؤمنين (ع).

وبعبـارة أخرى كـأن أميرالمؤمنين (ع) يقول أولادى أحـد عشـر ومن ظهر الحادى عشـر يكون مولودٌ أفكر فيه، وبالتالى يكون مجموع الأئمّة (عليهم السلام) ثلاثة عشر، أمير المؤمنين وأولاده الأحد عشر والمولود من ظهر الحادى عشر.

وهذا التفسير مبنى على جعل لفظ (الحادى عشر) تمييزاً لقوله (ولدى) وهو خطأ لأن قوله: (من ولدى) صفة لقوله: (الحادى عشر).

فيكون المعنى أن أمير المؤمنين (ع) يقول: (الحادى عشر من الأئمّة من ولدى يكون من ظهره مولود أفكر فيه) والحادى عشر منهم هو الحسن العسكرى (ع) ومن ظهره يكون المهدى (ع).

مثلًا لو نـذكر نحن العبـارة بشـكل آخر للتوضـيح: (فكرى فى مولود يكون من ظهر الحادى عشـر من أئمّـة أهل البيت شديـد السـمرة ويلقب بالعسكرى وهو من ولدى) فنذكر مجموع صفات، ولكن الأمير (ع) ذكر صفة واحدة للحادى عشر وهو كونه من ولده.

وبالتالى فالتمييز لقوله: (الحادى عشر) هو اللفظ المقدر المعهود

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ۴۴۷

وهو (من الأئمّـة) وليس هو اللفظ المـذكور (من ولـدى) بل قوله: (من ولـدى) صـفة ل- (الحادى عشـر)، أى الحادى عشـر من الأئمّة والـذى هو الحسن العسـكرى موصوف بأنه من ولـدى، فمن ظهر الحسن العسـكرى يكون المولود وهو المهدى (ع)، فالإمام على (ع) يفكر فى المهدى نفسه وليس فى ابن المهدى كما يدعى هذا البعض.

فـإنّ لفـظ الحـادى عشـر عنـدما يرد فى الروايـات كـأنه اصـطلاح خاص بالترتيب لخلفاء الرسول (ص) وهم الأئمّـة الاثنا عشـر (عليهم السـلام). فكيف يحتـج بإيهام فى الدلالـة على أمر لا بدَّ أن يكون يقينياً لا وهمياً، ثمّ كيف يعتمد على رواية آحاد واحدة فى مسألة لا بدَّ فيها من اليقين، وثالثاً من أين الدليل اليقينى على أصل الولادة فى الخارج المحسوس. فكل هذه الأمور وهن فى وهن واهى.

فى عصر المهديين الاثنى عشر ...: ص: ۴۴۷

وهناك مجموعة من الروايات بمفاد واحد تقريباً وهو «منّا بعد

القائم أحد عشر مهدياً» («١»).

وفى رواية أبى حمزة أنه قال: «يا أبا حمزة، إن منّا بعد القائم (ع) إحدى عشـر مهدياً من ولد الحسـين»، ورواية كمال الدين (ج ٢/ ص ٣٥٨)، وبعض الأدعية كذلك ... « اللهم صل على ولاة عهده والأئمّة من بعده » («... ٢») وغيرها بنفس المضمون.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ۴۴۸

ولكن هذه الروايات صاغ مفادها البعض، بل حبك الإيهام فى مفادها وأدعى أنه من أبناء المهدى (ع) وهو مهدى أيضاً.

مع أن هذه الروايات لم تذكر نعت الإمام لما بعد الإمام الثانى عشر، وإنما النعت الذى ذكرته لهم أنهم مهديون وفى بعضها نفى أنهم أئمّة، كما فى الرواية عن الصادق (ع) وهو يفسـر كلام الباقر (ع) أنى سـمعت من أبى الباقر (ع) قال: «يكون بعد القائم اثناعشر مهدياً» وهذا كلام الباقر، فقال الصادق: «إنما قال أبى اثنا عشـر مهدياً ولم يقل اثنا عشـر إماماً، ولكنهم قوم من شـيعتنا»، وفى رواية أبى بصير: «وإنما هم مهديون» («١») فلم تصـفهم مجموع هـذه الروايات أنهم رواد الأرض وقطب القيادة فيها وإنما غايـة ما تـدل عليه أنها تعزى

وتسند إليهم جملة من المسؤوليات ما بعد وفاة الإمام المهدى (ع) أى فى عصر ومرحلة

الرجعة لا مرحلة الظهور فضلًا عن مرحلة ما قبل الظهور مع أن ما صرح فى رواية أبى بصير بأنهم يدعون الناس إلى موالاة ومعرفة حقنا. أى إن القيادة ليست بأيديهم ومركزية الإمامة هى للاثنى عشر فى عصر الرجعة بعد عصر دولة الإمام المهدى (ع).

ومن ثَمَّ لا تعارض هذه الروايات ما ورد فى روايات الرجعة أن الإمام أمير المؤمنين (ع) والإمام الحسين (ع) يرجعان قبل استشهاد الإمام المهدى وأن الذى يجهز ويدفن الإمام المهدى هو جدّه الحسين («٢»)

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ۴۴۹

(ع) ويدفنه فى موضع قبره فى كربلاء، أى إن ما بعد الإمام المهدى لا تخلو الأرض من الأئمّة الاثنى عشر، بل يبدأون بالعودة والرجعة ودولة الرجعة غاية الأمر أن هؤلاء المهديين الاثنى عشر سواء أكانوا من ولد الإمام الثانى عشر أم من ولد الحسين تكون لهم أدوار ومهام تحت قيادة وإمامة وفى ظل قيادة الأئمّة الاثنى عشر وليست لهم مناصب الإمامة والقيادة وما هو من هذا القبيل.

وأما ما فى رواية مختصر البصائر فلا تدل على خلو الأرض من الأئمّة الاثنى عشر بعد الإمام الثانى عشر بسنة وقانون الرجعة، غاية الأمر أن المهديين الاثنى عشر من ولد الإمام الثانى عشر سيكون لهم دور الأعوان والأنصار فى دولة الأئمّة فى الرجعة، لاسيّما بعد تواتر أن الأرض لا تخلو من الحجة الإمام، وإلّا لساخت الأرض («١»)، وهى نفس

عموم القاعدة المستفادة من قوله تعالى: إِنِّى جاعِلٌ فِى الْأَرْضِ خَلِيفَةً («٢»).

إذاً هؤلاء ليسوا بأئمّة، فالأرض لا تخلو من إمام أو خليفة لله فى الأرض، إذن هم فى دولة الرجعة.

وأما ما فى رواية غيبة الشيخ الطوسى عن النبى (ص) من قوله: «ثمّ يكون من بعده اثنا عشر مهدياً، فإذا حضرته الوفاة فليسلمها إلى ابنه أوّل المقربين، له ثلاث أسامى» («٣»)، فهى مضافاً إلى ضعف السند ورواية آحاد واحدة ظنية لا يصح الاعتماد عليها بمفردها فى مسألة لا بدَّ فيها من رقى الدليل إلى درجة اليقين أنه ليس فيها تصريح بأنه يسلم الإمامة وقيادة

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ۴۵۰

الأرض إلى ابنه كيف وقد صرّح فى الروايات الأخرى بأنهم ليسوا بأئمّة فكيف يسلم الإمامة إليهم، بل فى روايات الرجعة أن الذى يلى تجهيز الإمام الثانى عشر هو الحسين، فلا بدَّ أن يكون الضمير فى (ليسلمها) عائداً إلى بعض المسؤوليات وبعض الوظائف التى يقوم بها أولاده فى ظل إمامته أى عود الضمير إلى الصحيفة التى ذكرت فى صدر الرواية.

فلا بدَّ أن يكون الضمير عائداً إلى المهمة والمسؤولية المعينة لا إلى الإمامة، مضافاً إلى أن كلمة (بعده أو بعدهم) تدلُّ بصراحة على أنه لا دور لهؤلاء قبل ظهور الإمام الثانى عشر ولا فى أثناء دولته وإنما دورهم سيكون فى عصر الرجعة بعد دولة الظهور واستشهاد الإمام (ع).

فمفاد الروايات يقطع الطريق أمام ادّعاء النيابة الخاصة قبل الظهور كما أن هذه الروايات لا تعطى لهؤلاء المهديين نعت الحجية ولا نعت

النيابة الخاصة ولا نعت السفارة ولا نعت الإمامة وإنما غاية ما تدل عليه هو أن لهم بعض المسؤوليات.

مع أن كلمة (من بعدهم) أيضاً بمعنى دون مقام الأئمّة الاثنى عشر أى لهم مسؤوليات فى ظل إمامة الأئمّة الاثنى عشر (عليهم السلام).

وأما ما رواه السيد بن طاووس فى المصباح عن الرضا فى أعمال يوم الجمعة عن يونس بن عبد الرحمن عن الرضا (ع) دعاء وفى ذيله: «اللهم صل على ولاة عهده والأئمّة من بعده» («١») فالتعبير بالأئمّة من بعده لا تأبى الانطباق على رجوع الأئمّة (عليهم السلام) لاسيّما وأنه قد غاير (ع) بين عنوان الولاة من بعده والأئمّة من بعده مما يدل على أن له ولاة عهدٍ

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ۴۵۱

ليسوا بأئمّة هو لا يأبى الانطباق على المهديين الاثنى عشر وهم غيره مع تنصيص الرواية على وجود أئمّة من بعده يغايرون ولاة عهده

من بعده دلالة على تغاير الأئمّة بعد المهدى (ع) تغايرهم مع المهديين الاثنى عشر، والحاصل فإنّه لا دلالة فى الدعاء على أن هناك أئمّة من بعده يغايرون الأئمّة الاثنى عشر لاسيّما وأن كون عدة الأئمّة الاثنى عشر من ضروريات المعتقد عند أهل البيت بل فى روايات المسلمين أن خلفاء النبى اثنا عشر والمهم الالتفات إلى إمامة الاثنى عشر ثبتت بنصوص الآيات القرآنية وتواتر الأحاديث فكيف يقف فى مصافها ودرجتها روايات آحاد لم تصح سنداً فضلًا عن أن تبلغ اليقين مع أن دلالتها أجنبية عن مدّعى أدعياء السفارة والنيابة قبل الظهور؟

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ۴۵۵

الفصل السابع: حقيقة النيابة الخاصة والسفارة ... ص: ۴۵۵

أدلّة انقطاع النيابة الخاصة والسفارة ...: ص: ۴۵۵

الدليل الأوّل:

إن انقطاع النيابة بات من الأمور الواضحة عند علماء الإمامية وعامة شيعة وأتباع أهل البيت (عليهم السلام) بل أصبحت بديهية وضرورية عندهم بل حتّى لدى أهل السُنّة، فإنّ فِرَق أهل السُنّة فى نظرتهم إلى أتباع مدرسة أهل البيت بات واضحاً لديهم علماءً وعواماً أن من معتقدات وضروريات مذهب أهل البيت (عليهم السلام) هو انقطاع النيابة الخاصة والسفارة، بمعنى انقطاع الاتصال بالإمام، ومن ثَمَّ بناءً على ذلك بدءوا بسلسلة من الشبهات والاعتراضات والإشكالات على أصل عقيدة الإمامة وهذه الإشكالات والاعتراضات قد أجيب عنها تفصيلًا فى محلها وسنتعرض لاحقاً لجملة منها إن شاء الله.

فإنّ الأمر عندهم بلغ مرتبة من الوضوح والبداهة والضرورة بحيث أن نفس العامة على اختلاف مذاهبهم ومشاربهم نسبوا لأتباع أهل البيت (عليهم السلام) مسألة انقطاع النيابة وأنها لديهم كمسألة عقيدة الغيبة للإمام (ع) فى الوضوح والبداهة، فكما أن عقيدة غيبة الإمام ضرورية كذلك انقطاع النيابة الخاصة وبالتالى فإنّ تفسير عقيدة الغيبة الكبرى بانقطاع النيابة الخاصة والسفارة أمران مقرونان إلى بعضهما البعض، ومن ثَمَّ جعلوا هذا الاعتقاد عند الإمامية أمراً مفروغاً عنه بل بديهياً ضرورياً وراحوا يعترضون ويشكلون عليهم على أساسه.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ۴۵۶

بل إن أبرز إشكالاتهم حول ذلك أن الإمام المهدى (ع) إذا كان غائباً وليس له نوابٌ خاصون ولا سفراء فهو بالتالى منقطع عن المسلمين أى لا اتصال بينه وبين أتباعه وشيعته ومن يأتم به؟ وهذا الإشكال مذكور فى أغلب كتب العامة الكلامية حيث يشكلون به على أصل الإمامة، فكيف يكون إماماً ولا اتصال له بقاعدته وكيف يدبر أمور الأمّة؟ فأىّ كتاب كلامى من كتب العامة عندما يبحث عن الإمامة ويناقش فيها أتباع مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) وعقيدتهم فى الإمامة فإنّ أوّل نقاش يطرحه هو هذا الإشكال المبتنى على انقطاع السفارة والنيابة عند الإمامية فيفهم من خلال ذلك أنَّ انقطاع السفارة عند الإمامية عقيدة وضرورة كعقيدة أصل الإمامة وكعقيدة الرجعة و ... وإلّا لم يوردوا إشكالهم لو لم يكن انقطاع السفارة من أوّليات وبديهيات وضروريات مذهب أتباع أهل البيت (عليهم السلام).

الدليل الثانى:

التوقيع المبارك المروى بتوسط النائب الرابع على بن محمّد السمرى حيث ذكر الشيخ الطوسى فى كتاب الغيبة فى (ص ٣۶۵) عند ذكره أبى الحسن على بن محمّد السمرى فقال (تحت الرقم ٣۶۵) وأخبرنا جماعة عن أبى جعفر محمّد بن على بن الحسين بن بابويه قال: حدّثنى أبو محمّد الحسن بن أحمد المكتب، قال: كنت بمدينة السلام فى السنة التى توفى فيها الشيخ أبو الحسن على بن محمّد

السمرى (رض) فحضرته قبل وفاته بأيام فأخرج إلى الناس توقيعاً نسخته: «بسم الله الرحمن الرحيم يا على بن محمّد السمرى أعظم الله أجر إخوانك فيك فإنّك ميت ما بينك وبين ستة أيام فاجمع أمرك ولا توص إلى أحد فيقوم

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ۴۵۷

مقامك بعد وفاتك فقد وقعت الغيبة التامة فلا ظهور إلّا بعد إذن الله تعالى ذكره، وذلك بعد طول الأمد وقسوة القلوب وامتلاء الأرض جوراً وسيأتى شيعتى من يدعى المشاهدة ألا فمن ادعى المشاهدة قبل خروج السفيانى والصيحة فهو كذاب مفتر ولا حول ولا قوة إلّا بالله العلى العظيم». قال: فنسخنا هذا التوقيع وخرجنا من عنده، فلما كان اليوم السادس عدنا إليه وهو يجود بنفسه، فقيل له: من وصيك من بعدك؟ فقال: لله أمر هو بالغه وقضى. فهذا آخر كلام سمع منه رضى الله عنه وأرضاه («١»).

حيث أنه خطاب للنائب الرابع أن يجمع أمره ويبلغ أتباع أهل البيت (عليهم السلام) أنه ميت بعد الستة أيام وهذا فى نفسه إعجاز بأن يحدد الإمام موت السمرى بالتاريخ الصحيح وأن لا يوصى إلى أحد من بعده وأن الغيبة الكبرى أو الغيبة التامة قد وقعت وأن مدعى المشاهدة فهو مفتر كذّاب.

والمقصود بالمشاهدة بقرينة وقوعها فى سياق وفاة النائب الرابع والأمر له بعدم الوصية لأحد هو إبراز المشاهدة لافهام الناس بأنه على اتصال وارتباط بالإمام (ع) وأن له مقام الوساطة معه.

ولا- يشترط أن تكون المشاهدة المنهى عنها مزعومة ومعنونة بالسفارة أو النيابة كما سى- أتى بيانه تحت عنوان (عناوين دعوى السفارة)، وكذلك لا- مانع من أصل المشاهدة من دون إبراز دعوى الاتصال والارتباط أى دعوى منصب ومقام، كما سيأتى تحت عنوان (التشرف برؤية الإمام المهدى (ع) لا يعنى الحجية).

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ۴۵۸

فمضمون التوقيع أن الإمام (ع) ينفى دعوى السفارة والنيابة والارتباط والوساطة بعد السمرى (رض) فإنّ هذا المنصب والمقام بابه مسدود حتّى ظهور الإمام (ع) وإتمام البيعة له، وإن كان الإمام المهدى (ع) فى التوقيع الشريف قد ذكر حدّاً وغايةً لوقت الصيحة، ولكن بحسب الروايات المستفيضة والمتواترة التى تبيّن شؤون الظهور ذكرت بأنّ انقطاع النيابة الخاصة يمتد حتّى بيعة الإمام (ع) بين الركن والمقام وأوّل من يبايع هو جبرائيل (ع)، فإنّ هناك صيحة أخرى لجبرائيل بعد الظهور يوم البيعة، فعن أبى عبد الله (ع) أنه قال: «ينادى باسم القائم (ع) فيؤتى وهو خلف المقام، فيقال له: قد نودى باسمك فما تنتظر؟ ثمّ يؤخذ بيده فيبايع». [قال] وقال لى زرارة: الحمد لله قد كنّا نسمع أن القائم (ع) يبايع مستكرها فلم نكن نعلم وجه استكراهه، فعلمنا أنه استكراه لا إثم فيه («١»). ثمّ بعد جبرائيل يبايعه الثلاثمائة وثلاثة عشر من أنصاره.

فإنّ المستفاد من الروايات أن النيابة الخاصة والسفارة عن المهدى (ع) لا يشغلها أحد ولا تعطى لأحد حتّى تنعقد البيعة للإمام (ع) عند الكعبة وليس أمد ومنتهى ذلك مجرد الصيحة، أو للصيحة، ولكن المراد بها حينئذٍ التى تقع بعد الظهور، وهذا لأجل التوفيق بين الروايات، وحتّى الروايات الواردة فى الخراسانى أو الحسنى أو اليمانى أو شعيب بن صالح أو النفس الزكية أو ... فإنّها لا تعطيهم أىّ تمثيل رسمى أو نيابة أو أىّ صفة أخرى بل تنفى ذلك عنهم بل تنفى أىّ صفة وتمثيل رسمى حتّى عن الثلاثمائة والثلاثة عشر حتّى تعقد وتتم البيعة للإمام (ع)

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ۴۵۹

ويتشكل الجهاز الرسمى والحكومى للإمام (ع)، بشكل معلن فمن ثَمَّ تبدأ الأدوار أى بعد البيعة.

ضابطة صارمة علامة لعصر الظهور ...: ص: ۴۵۹

فإن الروايات الواردة جعلت الصيحة أكبر علامة حتمية لسنة الظهور ولنجوم أصحاب رايات سنة الظهور، فلا يمكن مجىء السفيانى

بدون الصيحة لأنّها من المحتوم وإن كان يمكن أن تقع الصيحة بدون السفيانى كما لا يمكن أن يجىء اليمانى بدون السفيانى وإن كان يمكن مجىء السفيانى بدون اليمانى والخراسانى، فأشدّ العلامات حتميةً هى الصيحة، ثمّ السفيانى، وهذه العلامة كاشفة عن دجل أدعياء هذه الأسماء مع عدم وقوعها.

أما السند للتوقيع المبارك فإنّه بات مُسلّماً لدى الإمامية، والراوى الأخير الحسن بن أحمد المكتب فهو قمى من مشايخ الصدوق، وقد ذكر فى ترجمته أنه من فقهاء قم الكبار بغض النظر عن ترحم الصدوق عليه («١») مع أن الصدوق الذى هو من أكابر زعماء الطائفة لا يتخطّى ديدن علماء الإمامية من عدم الاعتماد على رواية التوقيع عن النواب الأربعة إلّا بواسطة الوكلاء والأبواب الذين ذكرهم الشيخ الطوسى فى الغيبة أنهم أبواب ووكلاء للنواب الأربعة، وهذا التشدّد من علماء الإمامية فى توقيعات الناحية نظراً لخطورتها وحساسية الوضعية الأمنية بخلاف الحال فى الأئمّة (عليهم السلام) آبائه.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ۴۶۰

الدليل الثالث:

إن أصل معنى عدم الظهور، أى الغيبة الكبرى يتضمن عدم البروز وعدم التمثيل الرسمى عن الإمام (ع) حتّى عقد البيعة، أما قبل البيعة فإنّ نفس عنوان الغيبة ينفى ذلك، ومعنى الظهور أن جهاز الإمام يظهر ويبرز بشكل رسمى بالنيابة أو الوكالة أو السفارة ونحو ذلك، فإذن الدليل الثالث هو أن مُدعى النيابة الخاصة أو السفارة ينافى ضرورة عنوان الظهور فإنّ ظهور دولته وجهازها الرسمى ليس إلّا بعد عقد البيعة.

الدليل الرابع:

إن أدلّة الظهور والروايات التى ترسم لنا سنين الظهور وأيام الظهور كلها مفادها وبيانها أنه لا صفة رسمية ولا تمثيل رسمى ولا تنويب ولا توكيل من الإمام (ع) لأىّ من الأسماء اللامعة التى ستظهر وتقود التيارات فى الظهور فليس هناك أىّ تمثيل رسمى لشخصيات الظهور فضلًا عن غيرها حتّى تعقد البيعة.

الدليل الخامس:

إن مقتضى وقوع غيبتين له (ع) أحدهما صغرى والأخرى كبرى أن بين الغيبتين فرق وأن الكبرى أشدّ فى الخفاء والانقطاع عنه ولا يتم الفرق وأشدّية الخفاء إلّا بانقطاع النواب والسفراء.

ويشير لهذا الدليل النعمانى فى الغيبة والصدوق والطوسى والكلينى (رض) ويذكرها أيضاً جميع محدّثى ورؤساء علماء الإمامية حيث يذكرون روايات متواترة مروية من زمن النبى (ص) وعن أمير المؤمنين (ع) وكلها بأسانيد متصلة إلى الرسول (ص) وإلى أمير المؤمنين (ع) وإلى الزهراء ثمّ الحسن ثمّ الحسين ثمّ زين العابدين ثمّ

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ۴۶۱

الباقر ثمّ الصادق ثمّ الكاظم ... وهكذا بمعنى أن طرق الرواة إلى الصادق مثلًا دون أن يقع فيها موسى بن جعفر (ع) أو إلى السجاد دون أن يقع فيها الباقر والصادق (ع) وهكذا ... وحتّى عن نفس الإمام المهدى (ع) فى زمن الغيبة الصغرى يعنى مروية عن أربعة عشر معصوماً بطرق متعددة بل عشرات الطرق فهو تواتر بلا شكّ.

حاصل هذا التواتر أن للإمام المهدى (ع) غيبتين غيبة صغرى وغيبة كبرى، وأن التفريق أو الفارق بينهما أن الغيبة الصغرى يكون الخفاء فيها ليس تاماً لوجود تمثيل رسمى للإمام (ع) من خلال السفراء والنواب الخاصين وأن الغيبة الكبرى يكون الخفاء فيها تاماً، أى الانقطاع تاماً وقد أشير لذلك فى التوقيع الشريف حيث قال: «فقد وقعت الغيبة التامة» كما أن انتهاء الغيبة الصغرى يكون بانقطاع السفارة والنيابة الخاصة فى حين انتهاء الغيبة الكبرى يكون بالبيعة للإمام (ع) وظهوره وإقامة دولته وبروز جهاز إدارته.

الدليل السادس:

إجماع الفقهاء على انقطاع النيابة حتّى أنهم أجمعوا على كفر وضلال مدعى السفارة والنيابة كما تأتى الإشارة لذلك تحت عنوان كفر مدعى السفارة.

إذاً الأدلّة متوافرة ومتكاثرة وقد أشرنا إلى العديد من ألوانها وأنواعها فى الجزء الأوّل من كتاب (دعوى السفارة) وكتاب (فقه علائم الظهور) وفى كتب أخرى، وهناك أدلّة أخرى لا نريد أن نستوعبها كلها هنا لضيق المقام، فيمكن مراجعة الكثير من المصادر فى ذلك ككتب الحديث والروايات كالغيبة للطوسى أو النعمانى وكتاب الفرق للنوبختى

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ۴۶۲

وكتب سعد بن عبد الله الأشعرى وغيرها، فإنّ دلالات كثير من الروايات المتواترة على انقطاع النيابة الخاصة والسفارة فى الغيبة الكبرى بل كما ذكرنا بات انقطاع النيابة عند الإمامية ليس فقط ضرورة فقهية وإنما ضرورة عقائدية، وذلك لأهمية وخطورة مقام حجية النيابة الخاصة والسفارة حيث ينطوى على منبع ومصدر للتشريع وللولاية، فادعاء هكذا منصب مرتبط بأصل الاعتقاد بالإمام المعصوم.

منابع الشريعة ...: ص: ۴۶۲

بعد أن ثبت أن الله تعالى رسم وحدد للخلق طريق التكامل والتقرب إليه وهو العبادة، فإنّه تعالى حدد مع ذلك مصدر تحديد تلك العبادة المطلوبة، فليس صحيحاً بل قد يعد من الكفر أن يحدد الشخص طرقاً للعبادة غير الطرق التى بينها الشارع، قال الصادق (ع): «من خالف كتاب الله وسُنّة محمّد (ص) فقد كفر» («١») وعليه فلا بدَّ لعباد الله أن يتعبدوا بما يريد الله لا بما يريد العبد، ففى الحديث: «إنما اريد أن اعبد من حيث اريد لا من حيث تريد» («٢») ولذا نجد الشارع المقدس عيّن منابع خاصة منحصرة لأخذ التشريعات وما عدا ذلك باطل، وسميت بمنابع الشريعة وهى:

١ القرآن الكريم.

٢ السُنّة المطهرة من أقوال وأفعال الرسول الأعظم (ص) وأقوال وأفعال وتقريرات الأئمّة المعصومين (عليهم السلام).

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ۴۶۳

وهذا ثابت بحديث الثقلين المروى عند العامة والخاصة بطرق مستفيضة ومتواترة، حيث ورد عن رسول الله (ص): «إنّى تارك فيكم الثقلين كتاب الله (عزوجل) وعترتى أهل بيتى ألا وهما الخليفتان من بعدى ولن يفترقا حتّى يردا علىَّ الحوض» («١»).

وفى خطبة لأمير المؤمنين (ع) قال: «يا أيها الناس إنه بلغنى ما بلغنى وإنى أرَ أنى قد اقترب أجلى وكأنى بكم وقد جهلتم أمرى وإنى تارك فيكم ما تركه رسول الله (ص) كتاب الله وعترتى وهى عترة الهادى » («... ٢») فإنّ القرآن الكريم والسُنّة المطهرة فيها كل ما أراده الله من عباده وفيه أحكام كل الحوادث التى يتلقاها الإنسان فى حياته الدنيا.

قال الصادق (ع): «الله تبارك وتعالى أنزل فى القرآن تبيان كل شىء حتّى والله ما ترك الله شيئاً يحتاج إليه العباد حتّى لا يستطيع عبد يقول: لو كان هذا انزل فى القرآن إلّا وقد أنزله الله فيه» («٣»)، وقال (ع): «ما من شىء إلّا وفيه كتاب أو سُنّة» («۴») وعليه فأىّ عمل لم يكن مستنداً لكتاب أو السُنّة فلا يقبل ويعد فاعله خارجاً عن جادة الصواب.

فعن رسول الله (ص): «لا قول إلّا بعمل ولا قول ولا عمل إلّا بنية ولا قول ولا عمل ولا نية إلّا باصابة السُنّة» («۵») ومن هذه الروايات وغيرها

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ۴۶۴

نستخلص أن أىّ طريق للعمل أو العبادة يؤخذ من غير المعصومين فهو باطل، بل صاحبه خارج ضال مضل كما فى الرواية عن أبى جعفر (ع) أنه قال: «من دان الله بغير سماع من صادق ألزمه الله التيه يوم القيامة» («١») أى من تدين وعمل بحكم بغير المأثور من المعصومين جعل الله حاله يوم القيامة وهو يوم الفزع الأكبر فى تيه مع كون ذلك اليوم فى أشد الحاجة إلى الأمان والقرار أو أن التيه

كناية عن الضلال وعاقبة السوء.

وما ذلك إلّا لأنّ منابع الشريعة فيها تبيان كل شيء وأن أخذ أىّ حكم من طريق آخر يلزمه ترك طريق شرعى، وترك حكم شرعى قال الصادق (ع): «قال على: ما أحد ابتدع بدعة إلّا ترك بها سُنّة» («٢») والحاصل أن طريق معرفة أحكام وتكاليف الله تعالى منحصرة بالقرآن والسُنّة وكل منهما راجع للمعصومين (عليهم السلام) فهم الحجة فقط فإنّ الله تعالى أمرنا بأخذ ما يأتينا به هؤلاء المطهرون دون غيره من الطرق والأساليب الأخرى، فإنّ الحجية لطريق المعصومين وما عداه من طرق حتّى لو كانت تكشف الغيب وتصل لمعرفة الأحكام أو غيرها فلا حجية لها.

عدم حجية تلقى غير المعصوم ...: ص: ۴۶۴

بعد أن ثبت انقطاع النيابة الخاصة بالأدلّة القطعية، بل إن انقطاع النيابة الخاصة والسفارة هو من ضروريات مذهب أهل البيت (عليهم السلام)، يتضح بطلان ما قد يتوهمه جملة من دعوات الأدعياء المتقمصين

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ۴۶۵

المتوهمين وبعض الادعاءات والتخيلات من أنه نائب خاص للإمام أو سفير له أو يتوهم ويتخيل ذلك لغيره من المدعين ونحو ذلك من الرؤى فى المنام أو مشاهدة بعض الأفعال الخارقة بدعوى أنها معاجز أو أى دعوى للارتباط والاتصال بالغيب، اتضح بطلان كل ذلك لأنه بناءً على ما تقدم من تراتبية الحجج وأن تحكيم الحجة الأضعف فى مرتبة الأقوى هو ظنٌ وزيغ وتحكيمٌ للمتشابه على المحكم واليقينى، فانقطاع السفارة ثبت بالأدلّة القطعية بل صار من الضرورى، فلا يعارض ذلك توهمات المتوهمين بوجود بعض الأدلّة على نيابة أو سفارة أىّ كان، فإنّ المشاهدات وبعض الأفعال الغريبة لا تدانى الأدلّة القطعية وأنها أدلّة دون بالنسبة لأدلّة انقطاع السفارة الأعلى.

وهو نظير ما مرَّ من تفنيد القرآن وذمه النصارى واليهود لاستنادهم إلى الحس لحكمهم بقتل وصلب النبى عيسى (ع)، إذ بيّنا أن وجه الحكم بالبطلان وذم القرآن لهم مع أن الحس دليل يقينى هو أن الحس دليل يقينى فى نفسه أو بالقياس لما دونه أما بالقياس لما هو أعلى منه كاخبارات النبى الاعجازية فيكون ظناً وتحكيماً للمتشابه على المحكم فإنّ كشف الدليل الأقوى أثبت وأبين من الدليل الأضعف، فبالتالى ما يترآى من الدليل الأضعف يكون وهماً وظناً وليس بيقين بل تشابه وشبهة وهو اصطلاح قرآنى خاص كما بيّنا.

لذا فإنّ تلك الأدلّة القطعية واليقينية لانقطاع السفارة لا تضاهيها ولا تناهضها أدلّة المُدعين، بل لا يوجد أىّ احتمال لصحة أدلّة المُدعين ولا يوجد أىّ ريب فى دجلهم وزيفهم.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ۴۶۶

افتراق الريب عن الفحص العلمى ...: ص: ۴۶۶

فمن الغريب أن بعض الباحثين بدعوى البحث الموضوعى يقول لا بدَّ من الفحص فى أدلّة المدعين للنيابة الخاصة أو السفارة والتثبت من صدقها أو كذبها، وهذا الكلام وإن كان منطقياً بشكل عام كميزان وضابطة فى التثبت والبحث لكنه ليس بصحيح وليس بمنطقى إذ تلك الأدلّة المُدّعاة فى قبال أدلّة يقينية عالية، فليس من الصحيح ولا من المنطقى أساساً توهم واحتمال الصحة فى أدلّة مُدّعى النيابة الخاصة بعدما ثبت انقطاعها بالأدلّة اليقينية العالية.

فمثلًا بعد أن ثبتت عقيدة التوحيد بالأدلّة اليقينية العالية فلو ادعى مدعى أن هناك إلهاً آخر وذكر بعض الأدلّة فهل من المنطقى التردد والاسترابة فى تلك الأدلّة بدعوى احتمال تماميتها وصدقها؟!

بل إن من يتوهم ذلك هو مريض أو متمارض فى الادراك فلا ريب ولا شكّ فى عدم موضوعية هكذا بحث وأن من يحتمل صحة

البحث فيه فليس بسليم العقل إذ أن التردد والريب فى هكذا اعتقادات ثبتت بالأدلّة القطعية اليقينية كما قال تعالى: إِنَّما يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ («١») فإنّ التردد فى الريب والاسترابة حالة مرضية فى الادراك والعقل فليس من المعقول الاعتداد بالسفاسف والتفاهات واعتبارها أدلّة فى مواجهة أدلّة يقينية قوية شديدة، نعم الفحص فيها لكشف المغالطات والزيف فيها منهج علمى لمن لديه القدرة العلمية والفنية.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ۴۶۷

رفع اليد عن أدلّة اليقين مقابل توهمات ...: ص: ۴۶۷

فمن التوصيات المنطقية ما جاء فى وصية أمير المؤمنين (ع) فى نهج البلاغة: «إذا استيقنت فامض على يقينك» («
»)، وهكذا الكثير من الروايات التى دعت إلى الاعتماد والاعتداد باليقين والسير عليه حتّى لو كان فى قباله شكّ أو ريب إذ ما دام الإنسان استثبت من اليقين ومن مناشئه فعليه السير دون الاعتداد بالتشكيك، فمن تلك الروايات «لا تنقض اليقين بالشكّ» («٢») نعم قبل الاستثبات من اليقين فإنّ البحث والفحص منطقى ومعقول جدّاً لئلّا يبقى متردداً فى البيان والبرهان فيكون كمن يعشو فى سيره، لذا لا بدَّ من الالتفات إلى جميع الاحتمالات لإثبات الصحيح والمنطقى فيها ليصل للبرهان اليقينى ويتثبت فيه ليسير عليه، أما إذا استيقن الإنسان فلا بدَّ من المضى على ذلك اليقين وعدم نقضه بشكّ، فقوله: «لا تنقض اليقين بالشكّ» («٣») يعنى الشكّ الذى ليس له منشأ علمى يناهض ويقاوم اليقين ولا يساعد على رفع اليد عن الأدلّة السابقة اليقينية، وإلّا فإنّ رفع اليد عن اليقين بذريعة البحث فى أدلّةٍ ضعيفة وهمية ليس حالة فحص علمى سليم سديد بل مرض فى العقل والادراك فهو لا يبصر البراهين اليقينية بما أعطاه الله من

، دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ۴۶۸

قدرة الادراك وفطرة الركون لليقين، فهو كمن لا يستنير ولا يستصبح بالنور، بل دوماً يسير فى جانب الظلمة تاركاً النور فهى حالة مرضية لعدم استثماره البصر وعدم استعانته بالنور.

فمع وجود الأدلّة اليقينية على انقطاع النيابة الخاصة والسفارة فى عقيدة الغيبة لا معنى للريب والشكّ ولا معنى لاحتمال صحة التوهمات والهلوسات كأدلّة للمدعين بها.

كما أنّا لو تنزلنا ونظرنا فى مناشىء تلك المُدعيات كالرؤية أو الأفعال الغريبة و ... نجد أنها فى نفسها ليست بحجة فضلًا عن مناهضتها للأدلّة اليقينية.

وبعبارة أخرى لنا معالجتان لهذه الدعاوى:

الأولى: أنها لو كانت حجة فهى أضعف من أن تناهض البراهين اليقينية المثبتة لانقطاع السفارة.

عدم حجية إلهام أو رؤية غير المعصوم ...: ص: ۴۶۸

والمعالجة الثانية: أن تلك الأدلّة فى نفسها ليست بحجة لأن مناشىء تلك المدعيات من قبيل الرؤية والإلهام اللدنى والاطلاع على الغيب من قناةٍ ما لا يكون ذلك صحيحاً وتاماً ومُعتبراً إلّا للأنبياء والأوصياء، فإنّ الوحى عبارة عن قناة روحية تربط وتوصل وتنفتح على الغيب وأما العلم اللُدنى فلا يكون إلّا عند الأنبياء والأوصياء أما بقية البشر من غير المعصومين فليس لهم طريق مضمون للغيب يرتبطون وينفتحون ويتصلون به على الغيب، فقد ذكر القرآن أن سبب انكار الأمم هو أن كل رجل منهم يريد أن تتنزل عليه صحف مُنشّرة وبالتالى

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ۴۶۹

فكلٌ منهم يريد أن يكون نبياً ليكون منفتحاً على الغيب فيطمئن به، قال تعالى: بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتى صُحُفاً مُنَشَّرَةً («١»).

الارتباط بالغيب نبوة أم إمامة أم للكل ...: ص: ۴۶۹

ولكن واقع الحال عدم وجود القابلية لأىّ شخص أن يكون نبياً أو إماماً أو لديه ارتباط بالغيب، فإنّ ذلك تابع لمدى القوة الروحية والاستعداد الروحى للانكشاف على الغيب فإنّ أرواحنا لا شكّ ولا ريب متصلة بعوالم أخرى ولنا قنوات توصلنا إلى الغيب ولا شكّ فى ذلك ولكن الكلام كل الكلام فى عدم وجود قدرة ضامنة لصواب وواقعية هذا الاتصال والارتباط بتلك العوالم وما تصلنا من معلومات من ذلك الغيب كيف نطمئن على صحتها وأنها عن إرادة الله وقضاءه وقدره ومشيئته؟

فإنّ كل ما نستلمه من خواطر وإلهامات وتخيلات وصور منامية أو صور فى اليقظة ومكاشفات وسلوكيات وغيرها ليس لها أىّ ضمانة فى الصواب والسداد، وليس لها أىّ مدار فى الحجية بل لا- اطمئنان على صحتها، لأنها تلقّى غير المعصوم، ولو فرض أنه من قبل المعصوم فإنّ التلقى والارتباط بالغيب ليس فيه زللٌ ولا- خللٌ ولا خطل ولا أىّ احتمال الانحراف إذا كان تلقى معصوم من معصوم فحينئذٍ يكون التلقى معصوماً، كما هو الحال فى تلقى المعصومين (عليهم السلام) لذا كان تلقيهم حجة واعتبر هو منبع الشريعة الوحيد.

أما تلقى غير المعصوم فهو وإن فرض كونه من المعصوم لكن ما الدليل على أن ذلك المتلقى بتناول غير المعصوم صحيحاً وليس من

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ۴۷۰

أفاعيل الشياطين؟! ومثال ذلك ما يشاهد من الرواة الذى يروون الروايات عن المعصومين (عليهم السلام) السابقين فإنهم رغم تلقيهم ألفاظ الحديث سماعاً من فم ولسان المعصوم إلّا أن تلقيهم مختلف وفهمهم مراد المعصوم مختلف كما ورد: «ربّ حامل علم ليس بفقيه وربّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه» («١») أى لا يفهم ولا يعى المراد مما سمعه من ألفاظ، بل إن ضبط ألفاظ الكلام الذى يسمعونه من لسان المعصوم مختلف من راوى لآخر، ومن ثَمَّ كانت درجة حجيّة الرواية التى يرويها الراوى درجة ظن وليس بيقين، فإذا كان هذا حال تلقى الراوى غير المعصوم عن المعصوم (ع) فى حال اليقظة فكيف بحال النوم ورؤيا المنام مع الشكّ فى أن تلقيه هل هو عن المعصوم أم عن الشياطين والجن أو أحاديث النفس؟

فإنّ الشياطين تنفث فى النفوس ويتخيل أن ذلك من الله تعالى ولا قدرة لتمييز ذلك إلّا للأنفس الطاهرة المطهرة، فإنّ غير المعصوم من سائر الناس ليس له حظ من الرؤيا الإلهية ونحوها للأحكام الشرعية وإن توهم ذلك متوهم فليستيقن بأن ذلك من الشياطين، فقد أشار القرآن الكريم إلى عدة من أفعال الشياطين التى تقع على العباد منها:

قال تعالى: وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزاتِ الشَّياطِينِ («٢»).

وقال تعالى: هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلى مَنْ تَنَزَّلُ الشَّياطِينُ* تَنَزَّلُ عَلى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ («٣»).

وقال تعالى: كَالَّذِى اسْتَهْوَتْهُ الشَّياطِينُ فِى الْأَرْضِ حَيْرانَ («۴»).

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ۴۷۱

وقال تعالى: وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ («١»).

وقال تعالى: إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذا مَسَّهُمْ طائِفٌ مِنَ الشَّيْطانِ تَذَكَّرُوا فَإِذا هُمْ مُبْصِرُونَ («٢»).

وقالى تعالى: أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّياطِينَ عَلَى الْكافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا («٣»).

وقال تعالى: لِيَجْعَلَ ما يُلْقِى الشَّيْطانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِى شِقاقٍ بَعِيدٍ («۴»).

وقال تعالى: وَإِنَّ الشَّياطِينَ لَيُوحُونَ إِلى أَوْلِيائِهِمْ لِيُجادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ («۵»).

وغيرها من الآيات التى تبيّن أن الشياطين يوحون وبطرق مختلفة كالخواطر والميول والرؤى و ... للنفوس المريضة والضعيفة والتى على طريق الزيغ، وعن الباقر (ع) قال: «لما ترون من بعثه الله (عزوجل) للشقاء على أهل الضلالة من أجناد الشياطين وأرواحهم أكثر مما ترون مع خليفة الله الذى بعثه للعدل والصواب من الملائكة» قيل: يا أبا جعفر وكيف يكون شىء أكثر من الملائكة؟ قال: «كما

يشاء الله (عزوجل)»، قال السائل: يا أبا جعفر، إنى لو حدّثت بعض أصحابنا الشيعة بهذا الحديث لأنكروه، قال: «كيف ينكرونه؟»، قال: يقولون إن الملائكة أكثر من الشياطين، قال: «صدقت افهم عنّى ما أقول لك، إنه ليس من يوم ولا ليلة إلّا وجميع

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٤٧٢

الجن والشياطين تزور أئمّة الضلالة، وتزور أئمّة الهدى عددهم من الملائكة، حتّى إذا أتت ليلة القدر فيهبط فيها من الملائكة إلى ولى الأمر قيض الله (عزوجل) من الشياطين بعددهم ثمّ زاروا ولى الضلالة فأتوه بالإفك والكذب حتّى لعلَّه يصبح فيقول: رأيت كذا وكذا، فلو سأل ولى الأمر عن ذلك لقال رأيت شيطاناً أخبرك بكذا وكذا حتّى يفسر له تفسيراً ويعلمه الضلالة التى هو عليها» («١»).

فبعد كل ذلك أىّ مجال يبقى للاطمئنان لرؤى ومكاشفات غير المعصوم الذى لا يميز نفث الشياطين من عالم الغيب الحق.

لذلك فإنّ مكاشفة المكاشفين والعرفاء والصوفية من إلهامات وخواطر ليست ذا مدار وضابطة فى الحجية فإنّ كثيراً من أصحاب السير والسلوك والتصوف والرياضات يقعون فى انحرافات وأخطاء نتيجة تعويلهم على ما يتلقونه من خواطر والهامات ومكاشفات، فإنّ نفس الصوفية والعرفاء ذكروا ذلك مثلًا القيصرى فى شرح كتاب ابن عربى وكذلك الغزالى وابن عربى نفسه وغيرهم ذكروا بأن مكاشفات غير المعصوم ليست بمعصومة فلا بدَّ أن توزن وتعرض على محك كشف المعصوم وهو القرآن والسُنّة لأن القرآن والسُنّة هو تلقى المعصوم عن الله تعالى وعن الغيب، ولا ريب ولا شكّ فى عصمة هذا التلقى والمتلقى، لأن قدرة المعصوم معصومة وغير محدودة فى تلقيها عن الغيب كما يصف القرآن الكريم ذلك، قال تعالى: وَلا رَطْبٍ وَلا يابِسٍ إِلَّا فِى كِتابٍ مُبِينٍ («٢») بيان لاحاطة المعصوم.

وبعبارة أخرى بمثال حسّى: إن درجة استقبال وتلقى المعصوم

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٤٧٣

كالرادار فى الكشف وغير المعصوم كالمايكروفونات البسيطة التى تشوش بأدنى ضغط وتكدس من الأمواج، فللمعصوم روح واسعة محيطة فيها استعداد الكشف والابصار القلبى لكل زوايا العرش والكرسى والسماوات وجهنم والصراط والميزان والبرزخ والموت وتطاير الكتب والحور والملائكة، فإنّ أرواح المعصومين ليس كأرواحنا إذ لها قدرة الاطلاع على عوالم أخرى دون أن تضعف أو تتردد كما روى عن أمير المؤمنين (ع) حيث يقول: «لو كشف لى الغطاء ما ازددت يقيناً» («١») أى إنه مطّلع على تلك العوالم غير عالم الدنيا فلا يؤثر على اعتقاده وروحه إذا كشف له الغطاء وليس كبقية البشر الذين لم يطلعوا على شىء من تلك العوالم، وأن الله لم يطلعهم على شىء منها لضعف نفوسهم وأرواحهم.

وفى رواية أخرى أن شخصاً كان يسير مع الإمام الصادق (ع) فمروا بمقبرة بين مكّة والمدينة فسأل الشخص الإمام (ع) عن حالهم فقد روى عن عبد الله بن بكير الأرجانى، قال: صحبت أبا عبد الله (ع) فى طريق مكّة من المدينة، فنزلنا منزلًا يقال له: عسفان، ثمّ مررنا بجبل أسود عن يسار الطريق موحش، فقلت له: يا بن رسول الله ما أوحش هذا الجبل ما رأيت فى الطريق مثل هذا، فقال لى: «يا بن بكير أتدرى أىّ جبل هذا»، قلت: لا، قال: «هذا جبل يقال له الكمد، وهو على واد من أودية جهنم، وفيه قتلة أبى الحسين (ع)، استودعهم فيه، تجرى من تحتهم مياه جهنم من الغسلين والصديد والحميم، وما يخرج من جب

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٤٧٤

الجوى، وما يخرج من الفلق، وما يخرج من آثام، وما يخرج من طينة الخبال، وما يخرج من جهنم، وما يخرج من لظى ومن الحطمة، وما يخرج من سقر، وما يخرج من الحميم، وما يخرج من الهاوية، وما يخرج من السعير، وما مررت بهذا الجبل فى سفرى فوقفت به إلّا رأيتهما يستغيثان إلىَّ، وإنى لأنظر إلى قتلة أبى وأقول لهما: هؤلاء فعلوا ما أسستما، لم ترحمونا إذ وليتم، وقتلتمونا وحرمتمونا، ووثبتم على حقنا، واستبددتم بالأمر دوننا، فلا رحم الله من يرحمكما، ذوقا وبال ما قدمتما، وما الله بظلام للعبيد، وأشدهما تضرعا واستكانة الثانى، فربما وقفت عليهما ليتسلى عنّى بعض ما فى قلبى، وربما طويت الجبل الذى هما فيه، وهو جبل الكمد».

قال: قلت له: جعلت فداك فإذا طويت الجبل فما تسمع، قال: «أسمع أصواتهما يناديان: عرج علينا نكلمك فإنّا نتوب، واسمع من الجبل صارخاً يصرخ بى: أجبهما، وقل لهما: اخْسَؤُا فِيها وَلا تُكَلِّمُونِ («١»)».

قال: قلت له: جعلت فداك ومن معهم؟ قال: «كل فرعون عتى على الله وحكى الله عنه فعاله وكل من علم العباد الكفر».

فقلت: من هم، قال: «نحو بولس الذى علم اليهود إن يد الله مغلولة، ونحو نسطور الذى علم النصارى إن المسيح ابن الله، وقال لهم: هم ثلاثة، ونحو فرعون موسى الذى قال: أنا ربكم الأعلى، ونحو نمرود الذى قال: قهرت أهل الأرض وقتلت من فى السماء، وقاتل أمير المؤمنين (ع)، وقاتل فاطمة ومحسن، وقاتل الحسن والحسين (ع)،

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ۴٧۵

فأما معاوية وعمرو فما يطمعان فى الخلاص، ومعهم كل من نصب لنا العداوة، وأعان علينا بلسانه ويده وماله».

قلت له: جُعلت فداك فأنت تسمع ذا كله ولا تفزع، قال: «يا بن بكير إن قلوبنا غير قلوب الناس، إنّا مطيعون مصفون مصطفون، نرى ما لا يرى الناس ونسمع ما لا يسمعون، وإن الملائكة تنزل علينا فى رحالنا وتتقلب فى فرشنا، وتشهد طعامنا، وتحضر موتانا، وتأتينا بأخبار ما يحدث قبل أن يكون، وتصلى معنا وتدعو لنا، وتلقى علينا أجنحتها، وتتقلب على أجنحتها صبياننا، وتمنع الدواب أن تصل إلينا، وتأتينا مما فى الأرضين من كل نبات فى زمانه، وتسقينا من ماء كل أرض نجد ذلك فى آنيتنا.

وما من يوم ولا ساعة ولا وقت صلاة إلّا وهى تنبهنا لها، وما من ليلة تأتى علينا إلّا وأخبار كل أرض عندنا وما يحدث فيها، وأخبار الجن وأخبار أهل الهوى من الملائكة، وما من ملك يموت فى الأرض ويقوم غيره إلّا أتانا خبره، وكيف سيرته فى الذين قبله، وما من أرض من ستة أرضين إلى السابعة إلّا ونحن نؤتى بخبرهم» («١») يعنى نحن غير المعصومين لو سمعنا ذلك لصعقنا ولما بقيت أرواحنا فى أجسامنا، أى لوقع الموت لنا لعدم إمكان تحمل ذلك، أما المعصومون (عليهم السلام) فلهم القدرة على أن يروا تلك العوالم.

وإنَّ قابليات غير المعصومين الروحية أيضاً تختلف فى قوتها واستعدادها للاطلاع على العوالم الأخرى والأسرار كما فى الفرق بين

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ۴٧۶

سلمان وأبى ذر حيث ورد: «لو علم أبو ذر بما فى قلب سلمان لكفره أو لقتله» («١») أى إن أبا ذر لا يتحمل ما يتحمله سلمان من علوم وأسرار، وهكذا فإنّ أعلى حالات النفوس القوية موجودة عند المعصوين (عليهم السلام) فلهم عدسة قوية دقيقة لا يخفى عليها شىء، فى حين أن القرآن يصف الشياطين أو الجن بقوله تعالى: لا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلإِ الأَعْلى وَيُقْذَفُونَ مِنْ كُلِّ جانِبٍ* دُحُوراً وَلَهُمْ عَذابٌ واصِبٌ* إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهابٌ ثاقِبٌ («٢») فللشياطين والعفاريت قوة كشف أيضاً ولكنها لا تُقاس بقوة كشف المعصوم إنما هى حاصلة من خطفة بسيطة أى قبسة فإنّ غير المعصوم حتّى لو كانت عنده خواطر وتمثلات وانكشافات ويرى ما لا يراه الناس مع أنها كالقطرة فى المحيطات اللامتناهية، فما الكاشف له أن تلك الرؤى والخواطر والغيبيات التى هى كالقطرة أنها من الله تعالى أم من الشياطين والعفاريت؟، فإنّ بعض الرؤى والانكشافات قد تصدق لأنه هناك خطفة من الغيب ولكن الخطفة الشيطانية أو من الجن شىء والوحى النبوى شىء آخر فكثير من عموم الناس وآحادهم إما يغتر أو يُغرر به أنه انكشف له شىء وعلم أموراً غريبة فيرى أن تلك الانكشافات انكشافاتٌ بوحى أو علم لدنى أو ... الخ، لكنه لا يُميّز أن الموصل إليه هل هو الشيطان أم من ؟ ... لأن روحه ليس فيها استعداد التلقى، فإنّ نفوس غير المعصوم لم تطلع على تلك العلوم والمباحث، فبمجرد اتصاله

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ۴٧٧

بقناةٍ غيبية يرتبك وتضطرب عنده الموازين، فلعله نتيجة ذلك يبتدع شريعة جديدة وعقيدة جديدة وبعثة جديدة.

فإنّ التعامل مع الانكشاف الغيبى مختلف حتّى بالنسبة للمعصومين فكيف بغير المعصومين، فإن المعصومين يختلفون بحسب مراتبهم وقوة وشدة استعدادهم للتعامل مع تلك الغيبيات ودقة موازينهم فى التثبت والتعامل مع ما يلقى إليهم، قال تعالى: وَداوُدَ وَسُلَيْمانَ إِذْ يَحْكُمانِ فِى الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شاهِدينَ* فَفَهَّمْناها سُلَيْمانَ وَكُلًّا آتَيْنا حُكْماً وَعِلْماً («١»)، فبيّن تعالى

تفاوت علم داود عن علم سليمان مع أن كلًا منهما آتاه الله العلم والحكم إلّا أن ما أوتى سليمان ناسخ لما أوتى داود وأرفع منه، وكذلك قال (ص): «ولو كان موسى حياً ما وسعه إلّا اتّباعى» («٢»).

فإنّ نفوس المعصومين على عظمتها وقوتها لهم مواقف مختلفة فى التعامل مع الغيبيات، فرغم علمهم بالغيب فإنّ تعاملهم معه يختلف بحسب اختلاف أرواحهم ونفوسهم فإنّ أرواحهم لما لها من الاستعداد فإنّها ترقى وتعرج إلى عوالم أخرى غيبية مهولة دون أىّ ارتباك ولا أىّ اضطراب لأنها نفوسٌ عظيمة معدّة للوحى والنبوة والانكشاف على الغيب، أما غير المعصوم من نفوس البشر الأخرى فبمجرد اختلاف المشاهد تضطرب عنده الموازين فقد لا يحتاج غير المعصوم لانزلاقه وانخداعه إلى أكثر من إثارة بسيطة وجمالٍ خداع ولو كان زائفاً، إذ لا

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٤٧٨

يستطيع التثبت أمام هذه الإثارات البسيطة، فما بالك لو تمثلت له بعض صفحات الدنيا بجمالها وقالت له: أنا الدنيا، فهل يبقى على تثبته وتمييزه ويقول إليها إليك عنّى أم ماذا؟!

فإنّ غير المعصوم لعدم استعداده وعدم قوة نفسه بل لضعف نفوس غير المعصومين فبمجرد اختلاف المشاهد يحصل الهلع والجزع والفزع والرعب والاضطراب، ففى تلك الحالة إذا ألقى له شىء من الغيب هل له أن يميّزه أنه من الله أم من الشيطان؟، فإنّه قد تظافرت الروايات فى أن الرؤى سواء أكانت رؤى فى المنام أم فى اليقظة أم غيرها منها ما هو حديث الشيطان وإفكه وتنزيله، ومنها ما هو حديث النفس ومنها ما يكون رؤى صادقة سواء أكانت فى اليقظة أم فى المنام.

أما ما هو حديث الشيطان؟ فإنّ الشيطان يلقى لأوليائه الإفك والإثم قال تعالى: وَإِنَّ الشَّياطِينَ لَيُوحُونَ إِلى أَوْلِيائِهِمْ («١») وقال تعالى: هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلى مَنْ تَنَزَّلُ الشَّياطِينُ* تَنَزَّلُ عَلى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ («٢») فإنّ الشياطين يلقون لأوليائهم الإفك والإثم.

وأما حديث النفس، فإنّ النفس بما أودعت من قوى وغرائز فهى كأنما ذوات متعددة وليست ذاتاً واحدة، فالنفس البشرية بسبب ما جهزت به من غرائز وقوى فكأنما كل قوة هى ذات من الذوات وجوهر من الجواهر وهذه النفس إذا طاشت أو جمحت تسول للإنسان من تساويل ورؤى حتّى فى اليقظة، والإنسان لخلوه من قدرة التمييز يحسب ذلك من الغيب وكشف الستور فى حين أنها من ألاعيب النفس الإنسانية.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٤٧٩

تفاوت درجات الصدق ...: ص: ٤٧٩

وأما الرؤى الصادقة فهى وإن كانت ممكنة وقد تحصل سواء فى المنام أم فى اليقظة لكنها إضاءة ضيقة جزئية محدودة من بحر فضاء لا متناهى لا يمكن التعويل عليها، لأن الصدق له مراتب، فصدق المعصوم كالمحيطات أما غير المعصوم فضعيف يتبدد بأدنى شىء، لذا ورد فى القرآن الكريم: وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا («١») فأصدقية الله تعالى لا تضاهيها أىّ مصداقية لأنه يحيط بكل الواقعيات وكل المخلوقات، أما نحن فاحاطتنا صغيرة إذ نحن لا نحيط حتّى بكيفية ولادتنا ونشأتنا وإنّا من أين جئنا وإلى أين نتجه حتّى لو كنّا صادقين وعدولًا، فاحاطتنا ضعيفة قليلة فكيف ندعى علمنا بالاطلاع على ذلك.

أما إحاطة المعصوم فواسعة فإنّهم هم الصدّيقون بعد الله تعالى، بل إن الأئمّة (عليهم السلام) هم كبراء الصديقين، كما فى بعض الزيارات («٢») يعنى يحيطون بالكتاب المبين واللوح المحفوظ، والقرآن نفسه شهد لهم بالطهارة ثمّ شهد لهم بأنهم هم الذين يدركون ويفهمون القرآن قال تعالى: إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ* فِى كِتابٍ مَكْنُونٍ* لا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ («٣») ثمّ قال تعالى: إِنَّما يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً («٤»).

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٤٨٠

لـذا فلا اعتـداد ولا اعتبار بتلقى غير المعصوم وليس له أىّ مـدار فى الحجيـة لعـدم الاطمئنان بكونه تلقياً صادقاً إذ هم أنفسـهم يخطئ بعضـهم بعضاً، فكم من الصوفيـة والعرفاء وحتّى أصـحاب السير والسـلوك وحتّى أصـحاب الرياضات نجد بينهم تضارباً لا ينتهى ولا يرتفع، فكل منهم يخطىء الآخر لأنهم غير معصومين.

ضعف ومحدودية الإدراك القلبى لغير المعصوم ...: ص: ۴۸۰

وبمثـال حسـى لتضـارب الأـقوال عن الغيب كمـا يقال: إن أشـخاصاً وجـدوا فيلًا فى ظلام فاعتمـدوا على اللمس فى تشـخيصه، فلمس أحـدهم ذنبه فقـال: إنه مخلوق صـغير، ولمس بعضـهم خرطومه فقـال: إنه متوسـط، وآخر لمس رجله فقـال: إنه مخلوق كبير، ولمس الآخر بطنه فقال: إنه عظيم بل إنه سينفجر...

وما ذلك إلّا لعـدم الاطلاع والكشف التام وإنما اعتمـد كل منهم على ما انكشف له واطلع عليه من طريق ضـيق وحكم بموجبه حكماً عاماً.

فهكـذا غير المعصوم وأصـحاب النفوس الضـيقة و ... فـإنّهم إن حصـل لهم كشف للغيب فهو كشف نـاقص لاـ يصـلح ليكون حكماً صادقاً حقاً يعتمد عليه ويطمئن له.

أمـا المعصوم فله الاحاطـة التامـة والانكشاف التام، فمثلًا كأنه يرى ذلك المخلوق بتمامه، يرى ذلك المخلوق فيحكم بأنه فيل على ما هو فى الحقيقة لأنه مطلع على تمام حجمه لأنه يراه ببصـيرته بل يكون له نور يكشف له فيرى ببصـره، لأن كشف ورؤية المعصوم فيها إحاطة قال

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ۴۸۱

تعالى: إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ* فِى كِتابٍ مَكْنُونٍ* لا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ («١»)، وَما مِنْ غائِبَةٍ فِى السَّماءِ وَالأَرْضِ إِلَّا فِى كِتابٍ مُبِينٍ («)، وَما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِى الْعِلْمِ («٣»).

لا مثل غيره يعيش فى ظلمة وكدورات النفس ويريد الاطلاع وإيجاد قناة غيبية.

كشف المعصوم القرآن والسُنّة ...: ص: ۴۸۱

ومن العجيب أن غير المعصوم يـدعى التلقى والكشف ويحـاول اتّبـاع مـا تلقاه مع علمه بضـعف نفسه وعـدم اسـتعدادها ويترك تلقى المعصوم الـذى هو الكتاب والسُـنّة المطهّرة من أحاديث النبى (ص) وأهل بيته (عليهم السـلام) فأىّ قناعـة له أو لمن يتبعه بترك تلقى المعصوم واتّباع ما عنـده من هلوسات أو خواطر أو رؤى منامية لا اطمئنان بصـحتها فعندنا القرآن والسُـنّة التى هى كشف حقانى لأنها وصـلت إلينـا بتلقى المعصوم عن المعصوم فلا حاجـة حينئـذٍ للاعتماد على تلقى غير المعصوم وإن توهم وارتسم له أنه عن المعصوم، فـإنّ المشـكلة فى المتلقى (الرادار أو اللاقطـة أو السـاحب) فهـل لـديه نفس قويـة ترى الملقى إليه على ما هو عليه أم نفسه ضـعيفة لا استعداد لها فتقلبه وتزيفه، لذلك تكرر فى القرآن قوله تعالى: وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْناهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَما أَرْسَلْناكَ إِلَّا مُبَشِّراً وَنَذِيراً («۴») أى ما

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ۴۸۲

أنزل من الغيب والكشف هو فى نفسه حقٌ وجاء ونزل فى طريقٍ حقانى غير مشوب بعبث الشـياطين وكدورات النفوس الضعيفة وضيق وتلـوث أوعيـة الاسـتقبال، فهـو نظير المرآة فهنـاك نـوع منهـا سـليمة صـحيحة غير مشوبـة تعكس الصـور على مـا هى عليهـا كنفوس المعصومين مثلًا، فى حين هنـاك نوع آخر من المرايـا مشوب وليس منتظمـاً فتعكس الصور بشـكل مقلوب أو تضـخمها وتكبرهـا أو تضـعفها وتصـغرها أو تعطيهـا ألوانـاً أخرى بل أحياناً بعض الصور تمسـخ عن حقيقتها أصـلًا فترى صورة الإنسان كأنه جنّى وقـد تظهر القبيح جميلًا، كما قد تظهر الجميل قبيحاً.

فهكـذا نفوس البشـر قـد ترى الغيب كهذه المرآة، فإنّ الغيب واحدٌ بالنسـبة للمعصوم ولغير المعصوم ولكن الكلام فى المسـتقبل إذ لا ضمـان لأن تكون تلك النفوس ترى الغيب على ما هى عليه، هـذا لو كان الملقى صادقاً فتكون المشـكلة فى المتلقى الـذى يتلقّى، أما إذا كـان التلقى من إيحـاء الشـياطين فكمـا أن أوليـاء الله تتنزل عليهم أنوار إلهيـة فإنّ أولياء الشـياطين تتنزل عليهم الآثام والإفك، فإنّ الإثم فى نفسه كذبٌ، فأولياء الشـياطين يحسـبون ما القى لهم ملائكة ورسل غيب من الله فى حين أنها شـياطين إذ ليس له قدرة التمييز والتفريق بين إيحاءات الشياطين وبين الأنوار الإلهية.

سبب اختلاف المعصوم فى التلقى مع غيره ...: ص: ۴۸۲

لـذلك فإنّ علماء الرؤية يقولون: كلما ازداد الإنسان صدقاً فى قوله وتعبيره وأمانته ووفائه وسـلوكه وتعاملاته وتوجهاته لله وقربه للحق والحقيقة فإنّه يرى الرؤى الصادقة، وكلما زل لسانه وارتكب المعاصى

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ۴۸۳

وابتعد من طريق الحق والحقيقة وابتعد عن الله رأى أموراً خاطئة وباطلة، أما المعصوم فحيث إنه لا يرتكب أىّ معصية وأىّ ذنب فإنّه لا يرى إلّا الحق والصدق والرؤى الصادقة، لذا تكون مرآته صافية جلية ويرى بإحاطة شمولية الأمور على ما هى عليه، من هنا كانت رؤى الأنبياء رؤى صادقـة وحيانيـة كقوله تعالى: وَنادَيْناهُ أَنْ يا إِبْراهِيمُ* قَـدْ صَـدَّقْتَ الرُّؤْيا إِنَّا كَذلِكَ نَجْزِى الْمُحْسِـنِينَ («١») بالنسبة لرؤية النبى إبراهيم (ع) وكقوله تعالى: وَما جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِى أَرَيْناكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ («٢») بالنسبة للنبى محمّد (ص).

وعليه فإنّ رؤيا الأنبياء والأوصـياء حجـة لأنهم بلغوا من الصـدق مقاماً عالياً جدّاً ولما لم يكن عندهم أىّ إثم ولا إفك فلا تتنزل عليهم الشياطين ولا تكون قنوات كشفهم عن الغيب إلّا قنوات سليمة صحيحة يرون من خلالها الحق فقط.

العدالة تغاير العصمة ...: ص: ۴۸۳

أمـا غير المعصوم فمهمـا يكن من الاسـتقامة لا يُؤمَّن كشـفه حتّى العادل لا يمكن الاطمئنان لقناته الغيبيـة إذ العدالـة غير العصـمة فإنّ العدالة وإن كانت هى الاستقامة على جادة الشريعة وعدم ارتكاب المعاصى إلّا أن ذلك لا يعنى عدم ارتكاب المعاصى والأخطاء من دون شعور وبالتالى فإنّ ذلك يكدر نفسه وروحه من حيث لا يشعر حتّى لو لم تسجل عليه عقوبة فإنّه يعذر عن العقوبة لعدم علمه أى لجهله بذلك الفعل أنه يسبب غضب الله والكدورات النفسية ولكن ذلك لا يمنع من

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ۴۸۴

تكدر وتلوث النفس بتلك الأعمال وبالتالى لا تكون قناته للغيب سليمة صافية.

فلا بـدَّ للإنسان غير المعصوم أن لا يغتر ولا ينخـدع ببعض الانكشافات والرؤى فيعتبرها غيباً ما بعده غيب، ووحياً ليس فوقه وحى وأنه صار نبياً أو نحو ذلك ويتأول الضروريات والحقائق الدينية بالباطل ويتمرد عليها.

فقد يكون للإنسان شىء من التقوى فيحسب أن تقواه وورعه سبب انكشاف الغيب له فيؤمن به ولكنه ليس صحيحاً فإنّ تلك لو كانت تقوى وورعاً لاتّبع القرآن الكريم والسُنّة لأنها تلقّى معصوم عن معصوم، فهى كشف صادق وحق لا ريب فيه فى حين أن ما تلقّاه غير المعصوم هو تلقى لا يتحصن أن يكون من الشيطان أو الجن أو العفاريت ... فلا ضمانة فيه.

فليس من العقـل ولاـ من المنطق ترك ما هو برهانى ويقينى وهو كتاب الله الـذى لا يغادر كبيرة ولا صـغيرة واتّباع خطفـة مكاشـفة أو رؤيا أو نحو ذلك ظانين أنها قطرة صادقة.

فلاـ نمنى أنفسـنا بمقامـات المعصـومين مـن الأنبيـاء والأوصـياء فتسـول لنـا أنفسـنا أن تنفتـح لنـا قنـوات الغيب ولاـ نتـوهم ذلـك لغير المعصومين (عليهم السـلام) فأين نحن من سيد الأنبياء وأين نحن من سيد الأوصياء وأين نحن من الأئمّة المعصومين فإنّ الغيب شاسع

مهول ودخوله والتوسط فيه ليس موفوراً ميسوراً، فلا يمكن لغير المصطفين الأخيار الذين اصطفاهم الله تعالى بعلمه ليكونوا هم القنوات السليمة والحقانية لارتباط جميع المخلوقات بالواحد الأحد الله سبحانه وتعالى وذلك لما لهم من قوة

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٤٨٥

النفس والاستعداد الحاصل من طهارة النفس فهم (عليهم السلام) ليس كبقية البشر روحاً بل حتّى جسداً فإنّ الرسول الأعظم (ص) عرج بجسده فضلًا عن روحه إلى سبع سماوات فهو ليس بالإنسان العادى حتّى تسوّل نفوس البعض الانكشاف على الغيب لمجرد أنه اتقى أو عمل صالحاً أو قام برياضة عبادية أو روحية أخرى ... فإنّ لكل ذلك أجراً عند الله وآثاراً حسنة على الروح، لكن ليس للحد الذى نغتر به وندعى الاتصال بالغيب بمجرد أن تحصل لنا رؤيا أو ومضة مكاشفة أو ... فإيّانا إيّانا أن نقع فى حبائل الشيطان، ونغوى أنفسنا ونغوى الآخرين ونترك الثوابت والبراهين والضروريات مما حصل عن طريق معصوم وهو القرآن والسُنّة.

العلوم الغريبة المكتسبة ووهم إعجازها ...: ص: ٤٨٥

فالقرآن هو البرهان الواضح والمحجة البيضاء وقد أعجز البشر أربعة عشر قرناً بما ضمن من علوم معجزة ودلائل إعجازية متنوعة ومتكثرة فلا يعقل ولا من المنطقى ترك هذا الوحى وسُنّة المعصومين من الأنبياء والأوصياء واتّباع الهلوسة والمهلوسين والجن والمجننين والشيطان والمتشيطنين سواء أكانت من رؤى أم مكاشفات، وتنويم مغناطيسى أو تحضير أرواح أو تحضير جن أو علوم غريبة كعلم الجفر أو علم الرمل أو علم التوسم أو علم الحروف أو علم الطلسمات أو علم العزائم أو علم البيوت أو علم التنجيم أو علم الكيمياء وغيرها من العلوم التى لا تكون كاملة وتامة إلّا عند المعصومين أما عند غيرهم فهى ناقصة منقوصة، فنحن لا ننفى هذه العلوم وقدرتها الجزئية المحدودة وإمكانها المتواضع فى كشف بعض يسير من شؤون بعض الأشياء لكنها لا تعطى البرهان المحيط القاطع ولا تكشف كشفاً مفيداً للحجية.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٤٨٦

نعم قد تكشف لصاحبها بعض الأشياء لكن يجب أن لا يغتر بذلك فليس هو الغيب ولا الواقع ولا هو كل العوالم فمثلًا فلان كتب بعض القضايا فى الجفر أو علم الحروف أو ... فعلم أن فلاناً سيموت أو سيولد له كذا أو غير ذلك، لكن ثمّ ماذا بعد ذلك؟ هل صار بذلك نبياً، هل به علم طريق الجنّة وطريق النار، هل صار عنده علم الأوّلين والآخرين وهل ؟...

توصية روايات الظهور بخطورة الدجل ...: ص: ٤٨٦

قد أكّدت الروايات الواردة فى علامات الظهور على أنه يتميز زمان الظهور بأنه زمان يبلغ فيه التحايل والحيلة والدجل والمكر والخديعة والتزوير والشيطنة حدّاً لم تبلغه عصور البشرية كلها ومن ثَمَّ فإن ما يعرف بالدجّال هو من سمات عصر الظهور، وكون رأس الشر فى عصر الظهور موسوم بالدجل يبيّن أن السمة البارزة للناس فى ذلك العصر هو الخداع والمكيدة، وقد بيّنت الروايات الواردة عند الفريقين أن الدجّال عمدة أدواته السحر والشعبذة وهو مؤشر على كثرة تعاطى السحر فى عصر الظهور لاسيّما من أدعياء المقامات الدينية نظير الدجّال الذى يدعو إلى طاعته والولاء له بنحو مطلق ولا يخفى أن للسحر تأثيراً يشتبه فيه الكثير مع المعجزة والكرامة، فها هو القرآن يحدّثنا عن النبى موسى (ع) وهو نبى من أولى العزم والذى لا يتسلط الشيطان على عقله ولا قلبه لعصمة الوحى ولكن رغم ذلك ورغم حصانة العصمة قال تعالى: فَإِذا حِبالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّها تَسْعى* فَأَوْجَسَ فى نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسى* قُلْنا لا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلى* وَأَلْقِ ما فى يَمِينِكَ تَلْقَفْ

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٤٨٧

ما صَنَعُوا إِنَّما صَنَعُوا كَيْدُ ساحِرٍ وَلا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتى («١»)، وقال تعالى فى شأن النبى أيّوب: وَاذْكُرْ عَبْدَنا أَيُّوبَ إِذْ نادى رَبَّهُ

أَنِّی مَسَّنِیَ الشَّیْطانُ بِنُصْبٍ وَعَذابٍ («٢»)، فالنبی وإن لم یسیطر علیه الشیطان والسحر إلّا أن التخییل والإخافة ومسّ بدنه بالضرّ والمرض، وکید السحر یکابده النبی ویصارعه کما یکابد قتال الکفار فی میادین الحرب بالسیوف والرماح، فکیف الحال فی غیر الأنبیاء وغیر المعصومین، ولاسیّما مواجهة السحر واستخدام الشیاطین کما قال تعالی: وَأَنَّهُ کانَ رِجالٌ مِنَ الْإِنْسِ یَعُوذُونَ بِرِجالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزادُوهُمْ رَهَقاً («٣»)، أن هناک من الرجال والبشر یلوذون ویستعینون بالجن والشیاطین لمآربهم وخداعهم ومکیدتهم.

ماذا یعنی هذا فی قبال علم المعصومین بکل ما کان وبکل ما یکون وما لهم من الاحاطة بکل العوالم الغیبیة کما فی قوله تعالی: وَکُلَّ شَیْءٍ أَحْصَیْناهُ فی إِمامٍ مُبِینٍ («٤»)، وقال: وَما مِنْ غائِبَةٍ فِی السَّماءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فی کِتابٍ مُبِینٍ («٥»)، وقال: حم* وَالْکِتابِ الْمُبِینِ* إِنَّا أَنْزَلْناهُ فی لَیْلَةٍ مُبارَکَةٍ إِنَّا کُنَّا مُنْذِرِینَ («٦»)، وقال: لا یَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ («٧») وغیرها لکن للأسف بعض النفوس المریضة والضعیفة تنخدع وتغتر بذلک فیهتمون بمثل هذه

السفاسف ویترکون ما هو خیر لهم من ذلک فإنّ القرآن الکریم

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٤٨٨

والروایات تؤکد أن الصلاة والصوم والحج وزیارة المعصومین (علیهم السلام) وغیرها من العبادات لها آثار أعظم مما یتخیل هذا البعض المنخدع بتلک التفاهات والسفاسف فضلًا عن نور معارف القرآن والروایات، فلیس من العقل ترک تلک العبادات والمعارف التی فیها کشف کل العوالم بتوسط الوحی وعدم الاهتمام بها وإعطاء شیء من الاهتمام لمثل هذه العلوم الغریبة أو غیرهما بتوهم وظن أنها تکشف لنا الواقع أو تعطینا طریقاً للواقع.

التشرف برؤیة الإمام المهدی (ع) لا یعنی الحجیة ...: ص: ٤٨٨

قلنا: إن مصادر التشریع منحصرة بتلقی المعصوم عن الحق تعالی، أما تلقی غیر المعصوم فلیس له حجیة لأن الله تعالی أمرنا بالأخذ من ذلک الطریق وهو التلقی الحسی من المعصوم وکل ما عداه غیر معتبر عنده تعالی.

ولکن هذا لا- یعنی عدم إمکان الإطلاع مثل الجن والشیاطین والکهنة علی بعض قطرات من الغیب کما قال تعالی: إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهابٌ ثاقِبٌ («١») ولکن کل ذلک لا حجیة له ولا یوجب علماً صحیحاً تاماً.

ونفس هذا الکلام نقوله فی انقطاع السفارة فإنّه بعد أن ثبت بالدلیل وصار من ضروریات مذهب أهل البیت (علیهم السلام) فإنّ ذلک لا یعنی عدم إمکان التشرف برؤیة الإمام المهدی (ع)، بل هو ممکن ولکن

ذلک لا یعنی أیّ منصب أو عنوان من عناوین الحجیة بل غایة ما فیه أنه

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٤٨٩

یتشرف بالرؤیة فحسب، وهذا التشرف من الأمور الواقعة لکثیر من العلماء وغیرهم من المؤمنین وقد ذکرت المئات بل الآلاف من القصص والحکایات والمواقف والمشاهدات من هذا القبیل وما ذلک إلّا لأن المناصب الدینیة والحجیة لها أنظمة خاصة ومراتب خاصة لا تحصل بمجرد الرؤیا.

ریاضات النفس وفعل الأعاجیب ...: ص: ٤٨٩

یذکر أحد وکلاء المراجع والفقهاء وکان فی باکستان والهند یذکر ذکریات السنین التی کان یعیشها هناک فی الهند وباکستان عن جملة من المرتاضین غیر المسلمین بل من الکفار والهندوس فإنّهم کانوا یستطیعون ببعض الریاضات أن یوقفوا قطاراً ومنعه من السیر وتعطیل طائرة عن الطیران، وقدرة علی قراءة الخاطر والضمیر وقراءة أعمال الأشخاص الماضیة منذ طفولته أو قراءة بعض الحوادث المستقبلیة وغیر ذلک الکثیر من الأعاجیب، أو یسخر جملة من الشیاطین والجن کفعل الکهانة والکاهن، لکن هذا لا یعنی أن هذا

الشخص المرتاض له وحى أو له ولاية تكوينية أو، ... بل هذه نتيجة رياضات النفس، فإنّ للنفس قدرات عجيبة إذا روضها الشخص برياضات خاصة يستطيع فعل الأعاجيب، فإنّ أحد المرتاضين مثلًا كما يذكر ذلك من ذهب للهند يستطيع أن يبقى فى القبر ستة أشهر من دون أىّ طعام ولا- شراب بل حتّى من دون تنفس فإنّه بالتنويم المغناطيسى استطاع ترويض نفسه على ذلك وغيرها من الأفعال التى يفعلها البعض كبلع المسامير وإدخال

السيف فى الجسد أو يخبر عن مواقف وأفعال الآخرين الماضية من

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۴۹۰

خلال الكلام مع الجن أو القرين ممن قد يخطف الخطفة كما ذكر ذلك القرآن الكريم، فإنّ مثل هذه الأفعال الخارقة والعجيبة ليست ببعيدة عن السحرة والجن والعفاريت كما يقول القرآن الكريم فى عرش بلقيس: أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ («۱») فهذا عفريت من الجن من الشياطين وليس من الملائكة وليس من المهتدين وليس من الطائعين بل عفريت من الشياطين وعد بأن يأتى بعرش بلقيس من اليمن قبل قيام النبى سليمان (ع) من مجلسه أى فى ظرف ربع أو نصف ساعة، ولكن هذا هل يعنى أن ذلك العفريت صار جبرائيل أو صار وحياً أو نحو ذلك؟ كلا فإنّه عفريت من الشياطين ليس إلّا، فكل ذلك ليس وحياً ولا نوراً يكتشف به الواقع والغيب كما يتصور بعض السذج والمغرر بهم، بل هى من امتحانات الله التى يبتلى بها الناس ليمتحن بصائرهم فإنّ مثل هذه الأعمال قد تكون للعفاريت والجن والكفار المرتاضين و ... ولا تكون لبعض المؤمنين وليس له القدرة على إنجاز شىء أبسط من ذلك، ولكن مع كل هذا فإنّ المؤمن الضعيف الذى ليس له أىّ قدرة يكون ناجياً فى الآخرة ومن أصحاب الجنّة ورضوان الله تعالى فى حين يكون ذلك الفاعل للأعاجيب من أهل النار وممن غضب الله تعالى عليهم، وليس هذا بالغريب فإنّ إبليس زوّده الله تعالى بقدرات عظيمة فإنّه يستطيع أن يوسوس ويخترق كل النفوس البشرية وهذه قدرة جبارة ليست عند أعظم القوى البشرية كالدول الكبرى بما لها من علوم وطاقات وقدرات

و ... كما أن لإبليس قدرة التشكل بأشكال وألوان مختلفة وله قدرة تزيين

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۴۹۱

الأعمال ويحدث الخواطر فى النفس ويجذب الناس إلى حيث يشاء وربما له قدرة الذهاب إلى قرب السماء الأولى، فإنّ قدرات إبليس قدرات هائلة وليست بالسهلة ولكنها لا- تدل على ألوهيته ولا مكانته عند الله تعالى، بل هو إبليس على ما هو عليه من اللعن والطرد.

والقرآن الكريم يسطر لنا هذه الأمثلة كى لا- ننخدع بل لا بدَّ من الرجوع للعقل وضروريات الدين والسُنّة، فالقرآن الكريم يعتبر المعارف والعقائد الحقة أعظم من تلك الأعاجيب والمظاهر من طى الأرض والزمان والرؤى والمكاشفات و ... فبحسب المفهوم القرآنى هذه ليست ميزان هداية بل حتّى مثل الحصول على بعض الاسم الأعظم كبلعم بن باعورا ليس لها قيمة فى الحجية، فقال تعالى: وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِى آتَيْناهُ آياتِنا فَانْسَلَخَ مِنْها فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطانُ فَكانَ مِنَ الْغاوِينَ («۱») وقد ورد أنه لو قرئ على ميت سبعين مرة سورة الفاتحة وردت له الحياة فليس ذلك بغريب («۲»)، بل حتّى من خلال العلوم الحديثة فإنّهم توصلوا لنتائج عجيبة غريبة من خلال إعمال العلوم الأكاديمية من كيمياء وفيزياء ومراتب الطاقة وعلم النانو والكوانتم («۳») وغيرها بحيث أصبح لهم قدرة أن يكون الشخص موجوداً فى مكان ثمّ فجأة يختفى ولا يرى.

فإنّ بعض الكرامات التى يحصل عليها بعض الزهّاد والأولياء والصالحين

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۴۹۲

والمتقين أو نتائج العلوم الأكاديمية ... ما هى إلّا كرامات يعطيها الله تعالى لهم ولا تدل على العصمة ولا على السداد بقول مطلق، فعلينا أن لا نفقد قدرة التميز بين العصمة والسداد والتى تفيد الحجية وبين هذه الكرامات من الله تعالى أو نتائج وأفعال النفس نتيجة

الرياضات.

فإنّ بعض أولئك أصحاب الكرامات أو الرياضات على ما هم عليه من الزهد والتقوى أو الرياضات إذا نظروا فى مسألة فى العقائد أو الفقه تجدهم يخطأون ويتخبطون بجهلهم، بل ربما بعضهم يعتقد بمسألة عقائدية أو فقهية بشكل معكوس فيرى الحلال حراماً أو الحرام حلالًا.

فالقرآن الكريم يريد أن يبيّن لنا أن التقوى والزهد والصلاح والعفاف والأخلاق الحسنة النبيلة فإنّ كل ذلك شىء والعصمة شىء آخر، فالعصمة فوق ذلك ولها ضوابطها الخاصة وموازينها وقنواتها.

فلا ننخدع بذلك إذا حصل لنا أو لغيرنا، فإنّها امتحانات يمتحننا الله تعالى بها فى المعرفة والبصيرة، فسبحان الله كيف يمتحن الخلق بالحق وبالباطل، بل يمتحن حتّى بالحبوة الإلهية، فينعم الله تعالى على عبد بصلاح أو تقوى ونحوها ليرى هل ينغر أو ينخدع؟ فلا بدَّ من التواضع والخضوع والتذلل لله تعالى وعدم الانحراف والانجراف وراء مكاشف أو رؤية أو علم غريب أو نحو ذلك.

فهذا بلعم بن باعورا خصه وحباه الله تعالى بحرف من الاسم الأعظم وجعله بذلك تحت الامتحان والاختبار كما ورد ذلك فى الروايات ولكنه لم يكبح جماح نفسه، بل راح يطلب ما ليس له فوقع فى الانحراف قال تعالى: وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِى آتَيْناهُ آياتِنا فَانْسَلَخَ مِنْها فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطانُ فَكانَ مِنَ الْغاوِينَ* وَ لَوْ

شِئْنا لَرَفَعْناهُ بِها وَلكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَواهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ۴۹۳

يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ («١») وقد مرَّ ذكره فى الجزء الأوّل.

حدود النيابة الخاصة والسفارة ...: ص: ۴۹۳

اتضح أن النيابة الخاصة والسفارة لا تعنى العصمة والسداد وإنما لها دائرة حجية من الحجج، كالفقيه فإنّ الفقيه مرجع ويُتّبع وفق منهج ومدرسة أهل البيت (عليهم السلام) من دون أن يعطى درجة العصمة وعدم الخطأ، وإنما له حجية فى ضمن غير الضروريات ما دام محافظاً على الضروريات وما دام واجداً للشرائط من العلمية والفقاهة وكون الاستنباط من مصادر أهل البيت (عليهم السلام) لا من القياس والاستحسان ونحوها وإلّا لم يكن له ذلك المنصب ولا ذلك الدور ولا تلك الحجية، إذاً فحجية الفقيه متولدة من حجج أرفع منه وما دام محافظاً على الارتباط مع تلك الحجج الأرفع والأعلى تبقى له الحجية.

كذلك الحال فى النائب الخاص والسفير، فإنّما دوره فى غير الضروريات وفى غير دائرة الفقهاء، فإنّ مجال ودائرة حجية الفقهاء والسفراء لا تتقاطع ولا تلغى أحدهما الأخرى كما تقدم بيان ذلك، فإنّ مساحة ودائرة كل منها غير مساحة ودائرة الأخرى.

ثبات فقه مدرسة أهل البيت ومصادره ...: ص: ۴۹۳

وفى هذا البحث نلفت النظر إلى نكتة وظاهرة مهمّة جدّاً فى الغيبة

الصغرى ونيابة النواب الأربعة (رض) وهى أن فقه أهل البيت (عليهم السلام) فى فترة

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ۴۹۴

الغيبة الصغرى لم يتغيّر عمّا كان عليه من مسار الإمامية فى حضور الأئمّة (عليهم السلام) من العقائد والفقه والسنن والثوابت الأخرى، ومما لا إشكال فيه أن ذلك ببركة وجود الإمام المهدى (ع)، فإنّ ما نقله السفراء (رض) عنه (ع) من روايات وأحاديث يكشف عن تبعيته لمنهج آبائه وأجداده الأئمّة (عليهم السلام) ولضروريات وفرائض الله تعالى وسُنّة الرسول (ص) حيث تقدم وذكرنا بأنّ نسبة كبيرة مما كان يصدر من توقيعاته الشريفة كانت تتضمن إرجاعاً إلى تراث آبائه من الروايات والسنن، لأن ذلك التراث فيه ضروريات

سنن النبى (ص) وضروريات سنن آبائه ولا يتوهم متوهم أن يصدر توقيعاً منه (ع) فيه مخالفة لتلك الضروريات.

وهذه ملامح مهمة ونكتة جوهرية فى مسيرة عقائد الإمامية ومسيرة فقه أهل البيت (عليهم السلام) فإنّ تلك العقائد وذلك الفقه ظل بنفس الطابع واللون الذى كان عليه قبل الغيبة الصغرى، وهذا إنما يدلل على أن دائرة النواب والسفراء الخاصة هى دائرة محدودة، فهم بمثابة مدير شعبة إدارية لتنفيذ جملة من البرامج والإداريات والسياسات التى يعهدها الإمام المعصوم إليهم لا أن دورهم يقصى الفقهاء ولا يتطاول على التراث الضرورى لأهل البيت (عليهم السلام)، ومن ذلك تتضح لنا دائرة نيابتهم وحجيتهم وأنه ليس فيها أىّ غموض فدورهم جمع الحقوق وتنفيذ بعض السياسات الإدارية فى نظام الشيعة.

هذه ملامح الغيبة الصغرى نتيجة عدم تقاطع وعدم تطاول دائرة حجية النواب مع دائرة الفقهاء ودائرة الأئمّة (عليهم السلام) وهى نظير تعيين رسول الله (ص) أسامة بن زيد قائداً للجيش، فإنّ ذلك لا يتوهم منه أنه أصبحت لأسامة حجية مطلقاً أى له مطلق الصلاحيات، بل إن صلاحيات

أسامة فقط فى حدود قيادة الجيش.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٤٩٥

ونظير قول أمير المؤمنين (ع) فى مالك الأشتر (رض): «كان لى مالك كما كنت لرسول الله (ص)» («١») ولا يتوهم من ذلك أن مالكاً صار وصياً بعد أمير المؤمنين بدلًا من الحسنين فليس الأمر كذلك فإنّ الأمير (ع) أراد بيان مدى خلوص ومحبة وتفانى مالك (رض) فى نصرة أمير المؤمنين ولم يرد بذلك تسجيل العصمة والحجية لمالك فليس الأمر كذلك، فإنّ الاستدلال والاستنباط له موازين والاستظهار له موازين، فإنّ التشبيه باب فى علم البلاغة من اللغة العربية، والتشبيه أيضاً له قواعد وموازين، فإنّ التشبيه دائماً يكون فيه جهة شبه وليس فى كل وجوه الشبه فهذه قواعد فى اللغة العربية، والقرآن الكريم والرسول (ص) وأئمّة أهل البيت (عليهم السلام) إنما يتكلمون بلغة العرب وليس بلغة أخرى جديدة أو جفر أو غيرها مما يكون فيها غموض على السامع، لذا فلا بدَّ من إعمال موازين اللغة من الصرف والنحو والبلاغة و ... لأجل منع المهلوسين والطامعين وأصحاب الرايات الضالة...

ضرورة الموازين فى قراءة الدين ...: ص: ٤٩٥

فإنّ تحكيم تلك الضوابط والموازين فيه خلاص من الزيغ والانحراف وعن الوقوع فى مثل تلك التوهمات، فإنّ الله تعالى ورسوله الكريم وآله الأطهار حدّثونا بحسب قوانين اللغة العربية، وإلّا لو أرادوا

، دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٤٩٦

الحديث بلغة جديدة مشفرة فإنّه بحسب الموازين تكون سفسطة، بل هذه الموازين يعملها الإنسان بدقة وعمق أكثر فأكثر ليصل للنتائج الصحيحة، ومع إعمال الموازين بالشكل الصحيح لا مجال للوقوع فى الغموض وأما لو رفع اليد عن الموازين فى استنطاق الأدلّة فإنّ ذلك باب لتدمير الدين والقفز والتمرد على ضرورياته، فإنّ أحد النوافذ التى يستخدمها أصحاب الفرق الضالة هو التذرع بالتأويل بدون موازيين أو التفسير أو الاستظهار والاستنباط والاستنطاق الذوقى بالقريحة والتشهى، فإنّ ذلك يؤدى إلى تكلفات وتمحلات وسفسطات ونحوها ما أنزل الله بها من سلطان، وكل ذلك بدعوى وذريعة معرفة الأسرار والمعارف، فتستخدم تلك الفرق الضالة الهلوسة ونوعاً من غسل الدماغ ونحو ذلك للوصول إلى مآربهم وأطماعهم، مع أن الأنبياء والمرسلين والأئمّة يحاجون بحجج ومنطق وموازين وأدلّة كى تثبت نبوتهم وإمامتهم ومن دون ذلك يكتشف عدم حجيتهم، فكيف يتوهم متوهم ويستجيب لتلك الدعاوى الضالة والهلوسات والاستظهارات واستنطاق الأدلّة بخلاف الموازين، فإنّ فتح مثل هذا الباب على مصراعيه بحيث يصح لكل مهلوس وكيفما يكون لرائق ومتأول أن يُحدث ما يريد و ... فإنّ ذلك يؤدى إلى خراب الدين واضطراب منظومة حجية وموازين وطرق استنطاقه واستدلالاته، وإلّا لِمَ استعمل الله (عزوجل) اللغة لغة اللسان العربى بالذات فما ذلك إلّا لأجل تحكيم ضوابط وموازين وقواعد

اللغة لمعرفة مُرادات الله منّا ولا يُتصور أنه تعالى يبيّن مراداته بألغاز غير منضبطة وإلّا
كانت سفسطة وإنكار الضروريات والديهيات والعياذ بالله.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٤٩٧

أما إذا توسطت الموازين الصحيحة والأدلّة الرصينة فمهما ترامت وتعمقت النتائج وازدادت غموضاً فلا بدَّ من الوصول إلى صحتها ولو بحسب الظاهر كما فى علم الرياضيات أى معادلة بعد معادلة ومرحلة بعد مرحلة حتّى لو أدّى ذلك إلى اكتشاف شىء عجيب لم تعرفه البشرية فإنّه يكون مقبولًا، لأنه ناتج خطوات ومراحل وفق موازين صحيحة وإلّا من دون الموازين الصحيحة نضل الطريق المستقيم ونقع فريسة للطامعين والمضلين.

كفر مُدّعى السفارة ...: ص: ٤٩٧

يذكر الشيخ الطوسى فى كتاب الغيبة وفى كتب الشيعة الروائية الأخرى التى تحفل بذكر أحداث الغيبة الصغرى وبداية الغيبة الكبرى يذكرون فتوى لابن قولويه وهى: (من ادّعى النيابة الخاصة والسفارة بعد السمرى فهو كافر مُنمس (محتال) ضال) («١») وهذه الفتوى لم يتبناها ابن
قولويه فقط وإنما الكثير من المتقدمين من فقهاء الغيبة الصغرى والكبرى

،،،،،،،،،،،،

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٤٩٨

تبنوها كالشيخ الطوسى إذ يتضح ذلك من كلامه فى الفرق البابية أو التى ادّعت النيابة فى الغيبة الصغرى.

والسؤال فى المقام أن أولئك الفقهاء لِمَ حكموا بكفر المُدّعى للسفارة أو النيابة الخاصة، وهل هناك تخريج صناعى لهذه الفتوى ولِمَ لم يقل الفقهاء عن المدّعين إنهم أهل ضلال وما داموا على الشهادتين فهم مسلمون، إذ لا مانع أن تكون بعض الفرق داخلة فى الإسلام ولكنها ضالة أى ضلت عن إصابة الإيمان أى زاغوا ولم يهتدوا للإيمان؟

يتبيّن ويتجلى التخريج الصناعى لحكم الفقهاء بالكفر بناءً على ما ذكرناه ووضحناه من منظومة الحجج، إذ أن أولئك الذين اعتقدوا بنيابة هؤلاء النواب المدّعين زيفاً حكّموا حجية هؤلاء المدّعين على ضرورات الدين، وهذا بغض النظر عن زيف دعواهم لأنه قد يحكم عليهم بالضلال والافتراء والكذب كما ورد فى التوقيع المبارك، ولكن الأمر الذى دائماً ما يُبتلى به هؤلاء المدّعون زيفاً وحيلة ودجلًا ونصباً للنيابة الخاصة وأتباعهم كذلك، أنهم يتبنون تحكيم قولهم على ضروريات الدين لأنهم يأخذون قولهم بنحو محتم ويتأولون ويلتوون ويلتفون ويقفزون حتّى على ضروريات سنن أهل البيت فضلًا عن سنن النبى (ص) وضرورات فرائض الله، ومن الواضح أن الذى يلتف أو يعتقد فى شخص أن له حجية تهيمن على حجية أئمّة أهل البيت وحجية النبى وحجية الله، فإنّ هذه هى التنبأ أو الألوهية فأولئك المدّعون إما أن يبتلوا
بالألوهية وإن لم يقولوا نحن آلهة وإما أن يدّعوا بأنّ لهم صلاحيات فى تغيير ضروريات دين الله وسُنّة نبيه وبالتالى فإنّ التمرد ولو بالتأويل على ضروريات دين الله فهو تأليه وكفر وخروج عن الإسلام، والتمرد

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٤٩٩

على ضروريات سنن النبى (ص) أيضاً خروج عن الإسلام وأما التمرد على ضروريات سنن الأئمّة (عليهم السلام) فهو ليس بمؤمن وبالتالى هو كافر بمعنى الكفر المقابل للإيمان وإن لم يكن كافراً بمعنى الكفر المقابل للإسلام.

وعليه فإنّ أولئك المُدّعين للنيابة أو السفارة أو أتباعهم يتبنون كون حجية المدّعين تعلو ضرورات الدين، فهو تأليه أو تنبأ وإن لم يُسموه إلوهية ونبوة ولذلك كفرهم فقهاء الغيبة الصغرى، فإنّه لا بدَّ من التمسك والانقياد والتخضع لضروريات الدين من قبل الجميع

حتّى الرسول ولابدَّ من التمسك والانقياد والتخضع لضرورات سنن النبى من قبل الجميع حتّى الأئمّة.

ومن يحاول الالتفاف والقفز والتمرد إعتقاداً وتنظيراً وتشريعاً على صلاحيات الله الضرورية أو صلاحيات النبى الضرورية فهو خروج عن الإسلام.

وبالتالى فإنّ كل من يدعى النيابة الخاصة والسفارة بعد السفراء الأربعة (رض) فهو كافر إما كفر فى قبال الإسلام فيما لو تصدى المدّعى والعياذ بالله من خلال نيابته للقفز أو التمرد على ضروريات الدين وفرائض الله وضروريات سنن النبى (ص) فيكون خارجاً من ربقة الإسلام، لأن هؤلاء المدّعين للنيابة عموماً يدّعون النيابة زيفاً لعدم علمهم بمدى وحقيقة وخطورة

٠ هذا المنصب فتكون دعواهم بالنتيجة مخالفة لضروريات فرائض الله وضروريات سنن النبى (ص).

وإما أن تكون دعواه للنيابة تمرداً وقفزاً على ضروريات سنن

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٥٠٠

الأئمّة ومنهاجهم (عليهم السلام) فهم مارقون من الإيمان فهو كفر فى قبال الإيمان.

وكيف كان فإنّ مدّعى النيابة زيفاً وبطلاناً محكوم عليه بالكفر لأنه خالف الضرورة والبديهية على أحد قسميها.

عناوين دعوى السفارة ...: ص: ٥٠٠

لا يقتصر عنوان دعوى السفارة على خصوص السفير أو النائب الخاص بل هناك عدة أوجه وعناوين وأقنعة قد يتلبس بها المدّعى فمنذ أكثر من اثنى عشر قرناً ظهرت عدة وجوه ومدّعيات وهلوسات أخذت ألواناً ونماذج عديدة جدّاً كلها بالتالى تصب فى حقيقتها إلى ادعاء النيابة أو السفارة ومن تلك العناوين على سبيل المثال:

١ سفير خاص أو نائب خاص.

٢ دعوى الاتصال أو القدرة على الاتصال بالإمام (ع) والقدرة على إيصال الأسئلة وإرجاع الأجوبة للناس من دون عنوان السفير أو النائب.

٣ دعوى القدرة والمكنة من التشرف برؤية الإمام فى أىّ وقت يشاء.

۴ دعوى تلقى الأوامر والنواهى من الإمام مباشرةً.

۵ دعوى أن الإمام (ع) له عناية خاصة به ويرعاه و...

۶ دعوى أن الإمام (ع) يأتيه فى المنام ويتحدّث معه.

٧ دعوى أنه جسر من وإلى المعصوم للاتيان بتوصيات وتعاليم منه (ع).

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٥٠١

وغيرها من العناوين («١») كلها تصب فى دعوى السفارة أو النيابة

الخاصة وإن لم يتسمَ بها، وهذه كلها سواء أكانت على نحو التصريح أم الكناية بالتعريض أم غيرها فإنَّ المهم أن المدعى لها يريد أن يُفهم ويوصل معنى لعموم الناس أنى على ارتباط خاص بالإمام (ع) يريد بذلك إبراز الشأنية لنفسه وجمع ما أمكن من السذج والعمياويين حوله

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٥٠٢

كأتباع ويكوّنوا لأنفسهم الرئاسات الباطلة ليسود فى متاع هذه الدنيا الدنية.

وفقهاء الإمامية أتباع مذهب أهل البيت قد حكموا بالبراءة واللعن والطرد لكل تلك العناوين وغيرها وبطلان وكفر مدّعيها ومروقهم من الدين على اختلاف الدرجات فى ذلك ضلالًا إذا كانوا يريدون بها ذلك المعنى من الرئاسة والمنصب ونحوها، وليراجع فى

ذلك كلام الشيخ الطوسى فى الغيبة والصدوق فى كمال الدين والنعمانى والنوبختى وسعد بن عبد الله وغيرهم من فقهاء ومراجع الشيعة ورؤساء الطائفة.

وهذا لا ينافى أصل التشرف بلقاء ورؤية الإمام (ع) فلعلَّ بعض العلماء الأتقياء الصلحاء يتشرف فى العمر مرة أو مرتين أو أكثر برؤية ولقاء الإمام (ع) ولكن من دون إبراز ذلك بصيغة المقام والمنصب والوساطة لأن منصب الوساطة والارتباط لا يعطى لأحد مهما كان فإنّ الإمام (ع) نفاه ومنعه.

فإنّ التشرف بالرؤية غير ممتنع وقد ذكرت حول ذلك مئات بل آلاف الموارد التى تشرف فيها أعلام متقون صلحاء، ولكن لو افترضنا أن أحد أولئك المتشرفين بالرؤيا أبرز تلك الرؤيا وأظهرها ليدّعى لنفسه تقلد منصب رسمى وتمثيل عن الإمام (ع) فإنّ ذلك دجّال وكذّاب وإن كان حقيقة قد تشرف بالرؤيا فإنّ التشرف بالرؤيا شىء وصلاحيات

التمثيل شىء آخر.

وبمثال أكثر وضوحاً أنه لو فرضنا راوٍ من الرواة فى زمن أحد الأئمّة (عليهم السلام) ويروى عنهم ثمّ يدّعى أنه له الوكالة عنهم (عليهم السلام) فإنّ ذلك ليس بحجة ولا كاشف عن صحة دعواه، فإنّ الرواية شىء والوكالة

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٥٠٣

شىء آخر، وهذا طبعاً من باب التنظير وإلّا فالفارق كبير بين دعوى الوكالة ودعوى السفارة والتمثيل الرسمى والنيابة، كما أن الأمر حتّى مع الرواية فى زمن الغيبة مختلف فإنّ أصل الرواية عن الإمام المهدى فى زمن الغيبة لا حجية لها فضلًا عن ادعاء شىء آخر؟!

حركات ونهضات رايات سنة الظهور ...: ص: ٥٠٣

وهذا لا ينافى القيام بحركات تحررية كما فى سنة الصيحة من السماء لو كانت بعنوان نصرة المذهب أو نصرة الإمام المهدى (ع) لكن بشرط عدم ادعاء أىّ نحو من الحجية فإنّ مفاد الروايات نفى حجية الاتصال أو النيابة الخاصة عن الإمام بل حتّى مثل شخصيات الظهور كاليمانى والخراسانى وغيرهم فإنّ مفاد الروايات ليس فيه إعطاءهم أى نحو من الحجية، نعم غاية ما تثبته الروايات لمثل هذه الشخصيات أنهم على الحق وأنهم يدعون لنصرة الإمام المهدى (ع) أو لرفع الظلم أو نحو ذلك من دون أىّ منصب ومقام خاص إلّا أنهم على الحق.

نعم الدّعوة لنصرتهم ومؤازرتهم باعتبار حقانية دعوتهم وحجية الثوابت والموازين التى يرفعونها ويطالبون بها إذ الحق بما هو حق يجب أن يتبع بغض النظر عمّن طلبه وكيف طلب ممن هو غير معصوم ما دام متقيداً بالموازيين وملتزماً بالأحكام الشرعية، وهذه الشخصيات هناك دعوى لنصرتهم بشرط سماع

الصيحة من السماء وظهور قيام دولة السفيانى لا لشخصهم بل لأنهم يدعون للرضا من آل محمّد (ص)، وإلّا فالموجود فى الروايات من المدح والثناء وكَيل الصفات على اليمانى مثلًا لم يبلغ ما هو مذكور فى حق زيد بن على بن الحسين رضوان الله عليه، ومع كل ذلك لم تكن له أىّ نحو من الحجية وإنما ذلك المدح

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٥٠٤

له باعتبار أنه كان يدعو للرضا من آل محمّد وهى دعوة حق، فالمدح والثناء كان باعتبار دعوته.

لذا فإنّ بعض الروايات تفيد أن الدعوة إن وافقت الموازين وكانت متقيّدة بأحكام الشرع المبين وكان المطلوب فيها هو الحق فلا بدَّ من دعمها وتأييدها قدر الإمكان كما عن المجلسى حيث جزم أن دعوة الصفويين كانت دعوة تدعو إلى التمسّك بأحكام ومنهاج أهل البيت (عليهم السلام) ليست لأنها سياسية أو عسكرية أو ... بل لأنهم طلبوا الحق وأرادوا رفع الظلم وإقامة الدين من دون أن يدّعوا أىّ منصب دينى كالسفارة أو النيابة الخاصة أو العصمة أو غيرها وإنما قالوا: نحن عبيد الله ومطيعون للأئمّة (عليهم السلام)

وتابعون لفقهاء الإمامية، لذلك فإنّ مجموعة من أساطين وأعلام الفقه الشيعى وظفوا كل إمكاناتهم لنصرتهم كالشيخ جعفر كاشف الغطاء والشيخ الكركى وغيرهم.

وما ذلك إلّا لأنها دعوة سعت إلى التقيّد بأحكام الشرع ووفق الموازين، فالنصرة كانت وتكون للدعوة لا للأشخاص سواء أكان الشخص اليمانى أم الخراسانى أم غيره، نعم لو كان الشخص هو الإمام المعصوم فالنصرة تكون له بما هو بعد أن يثبت أنه الإمام حقاً لأنّا مأمورون باتّباعه هو، وهكذا الحال فى أىّ واحد من أنصار الإمام المهدى (ع) ال- (٣١٣) فإنّه بحسب الروايات ليس لهم أىّ نحو من

النيابة ولا السفارة ولا أىّ حجية قبل ظهوره.

والحاصل أن أىّ عنوان من هذه العناوين ليس له أىّ حجية حتّى عنوان السفارة أو النيابة الخاصة أو غيره فى فترة الغيبة، نعم بعد الظهور قد تكون لهذه العناوين الحجية التى تعطى حينئذٍ من قبل الإمام (ع).

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٥٠٥

الخلط بين أحوال الرجعة وما قبل الظهور ...: ص: ٥٠٥

ثمّ لا بدَّ من الالتفات إلى أن بعض الروايات وخصوصاً روايات الملاحم إنما تبيّن أحوال الرجعة وليس أحوال ما قبل الظهور فمثلًا المهديون الاثنا عشر فإنّ الروايات تعطيهم بعض الأدوار ولكن ليس قبل الظهور بل ولا بعده وإنما فى فترة الرجعة، فلا بدَّ من التمييز بين هذه المراحل وإلّا وقعنا فى خلط بين بعض العناوين التى لا حجية لها وبين البعض الآخر الذى له نحو من الحجية وبعض الأدوار لكن فى مراحل أخرى.

وبهذا الفهم والادراك والالتفات للمراحل نسد الباب أمام الدجالين والمضلين ولا ينخدع بألاعيبهم حينئذٍ إلّا السذج وقليلوا الفهم والادراك وضعاف البصيرة.

حقيقة السفارة والنيابة الخاصة ...: ص: ٥٠٥

قد يتوهم البعض أن السفارة والنيابة الخاصة هى مجرد تمثيل وتنويب عن الإمام (ع) فينقل السفير عنه ما يسمعه من حديث سماعاً حسياً وينقل الأسئلة والأجوبة الخطية من وإلى الإمام (ع) وهكذا المعنى والمتصور.

وليس كذلك فإنّ حقيقة السفارة ليس ارتباطاً حسياً وإنما السفارة فى الروايات ذكرت باصطلاح ومفهوم خاص وهى النقل بتوسط عالم

الملكوت فهى ارتباط ملكوتى روحى غيبى.

وقد ورد فى الروايات أن الرسول (ص) سفير الله تعالى، ونقرأ فى بعض الزيارات أن الإمام (ع) سفير الله تعالى مثلًا ما ورد فى زيارة ليلة ويوم المبعث لأمير المؤمنين (ع): «السلام عليك يا خاصة الله وخالصته و ... وعيبة علم الله

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٥٠٦

وخازنه وسفير الله فى خلقه » («... ١») فالرسول عندما ينقل عن الله تعالى لم يكن ينقل نقلًا حسياً عنه تعالى وإنما بتوسط الملكوت، فعندما يقول الرسول (ص): قال جبرائيل (ع) عن الله تعالى فليس هو عن سماع بدنى وإنما عن طريق الوحى بارتباط روحى ملكوتى غيبى، وهكذا نقل الأئمّة (عليهم السلام) عندما يقال: إنهم (عليهم السلام) محدّثون وتقول: قال الصادق (ع) عن أبيه الباقر عن السجاد عن سيد الشهداء عن أمير المؤمنين عن النبى عن جبرائيل عن الله، أو قال الرسول عن الله فى حديث قدسى، فليس المراد بهذه العنعنة أن أحدهم ينقل عن الآخر حساً وإنما بالارتباط الملكوتى، فإنّ الأئمّة (عليهم السلام) يحدّثون عن الرسول عن الله ولو بعد وفاة

الرسول (ص) لأن ارتباطهم الملكوتى الروحى الغيبى برسول الله لم ينقطع بوفاته (ص)، فمثلًا سيد الشهداء الإمام الحسين (ع) عند اعتراض عبد الله بن عبّاس أو محمّد بن الحنفية أو عبد الله بن جعفر فى خروجه ومسيره للعراق فأجابهم (ع) بأنّ رسول الله (ص) قال لى: «اخرج يا حسين فإنّ الله شاء أن يراك قتيلًا» («٢») وهكذا عندما اعترض عليه فى اخراج النساء والعيال معه فى مسيره وخروجه فإنّه (ع) قال: «إن رسول الله (ص) أخبرنى أن الله شاء أن يراهُنَّ سبايا» («٣») فإنّ ذلك

من سيد الشهداء ليس إلّا لأن ارتباطه برسول الله غير منقطع بل مُفعل عن طريق الملكوت والارتباط الروحى الغيبى، كما أنه (ع) عندما أجاب بذلك لم

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٥٠٧

يعترض عليه ابن عبّاس ولا ابن جعفر ولا محمّد بن الحنفية لأنهم يعلمون أن الحسين من أهل آية التطهير ومن أهل آية المباهلة إذ احتج به الله (عزوجل) وجعله مطهراً ويعلم الكتاب كله والقرآن شهد بأن المطهرين من هذه الأمّة يعلمون علم الكتاب الذى لا يمسّه إلّا المطهرون والكتاب المبين كتاب مكنون فيه كل شىء من رطبٍ ويابس، قال الله تعالى: وَلا رَطْبٍ وَلا يابِسٍ إِلَّا فِى كِتابٍ مُبِينٍ («١»).

وهكذا الإمام الرضا (ع) عندما يذكر قصيدة الحميرى («٢») هذه

؛ دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٥٠٨

القصيدة العظيمة التى أمر رسول الله (ص) الرضا (ع) أن يأمر شيعة أهل البيت بحفظها وأن الرسول يضمن لمن حفظها وتداولها الجنّة على الله فهذه الرواية نقلها الإمام الرضا (ع) عن الرسول (ص) مع أن الحميرى ألّف هذه القصيدة فى زمن الإمام الكاظم أو الصادق (ع) ومن الواضح أن الأمر للإمام الرضا (ع) فى زمن الإمام الرضا (ع) فكيف حصل هذا الأمر، فليس ذلك إلّا لأن الارتباط بين الأئمّة (عليهم السلام) والرسول (ص) ارتباطٌ مُفعّل لم ينقطع بانتقال الرسول أو الأئمّة السابقين إلى البرزخ أو إلى الآخرة، لذلك فهم سفراء الله لأن قناة علمهم وحديثهم هى بتوسط الملكوت.

وعندما يقال: نائب خاص أو سفير عن الإمام المهدى فإنّ ذلك يعنى أنه ينقل بتوسط قناة ملكوتية نازلة روحية غيبية لكن عن الإمام المهدى (ع)، فهذا هو المراد بالسفارة والنيابة الخاصة وإن كان لا يمنع ذلك من الرؤية الشخصية كما جاء فى زيارة النواب الأربعة هذه العبارة التى رواها الشيخ الطوسى فى التهذيب: (أشهد أن الله اختصك بنوره حتّى عاينت الشخص فأديت عنه وأديت إليه) («١») الذى يعنى أنه بلطف

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٥٠٩

الله هناك ارتباط ملكوتى بينه وبين المعصوم وإن لم يكن السفير معصوماً ولم تكن حجيته مطلقة كما مرَّ بيان ذلك لكن السفارة مقام خطير لم يفهمها ولم يعها ولم يفقه حقيقتها أولئك الأدعياء المُدّعون لها زيفاً ودجلًا، فبيان حقيقتها فى المقام أمرٌ لا بدَّ منه فى المعرفة والبصيرة للتحصن ممن تستهويه نفسه للخوض فى الباطل والأفاعيل بسوء الاستفادة منها وهذا البيان ينفع فى تعرية الصوفية وبعض العرفاء الذى تقمصوا مثل هذا المقام فإنّ جملة منهم ادّعوا هذه المقامات لأن التصوف والصوفية اقتبسوا جملة معارفهم ونظامهم من الفرق الباطنية الشيعية، فالصوفية نشأةً وتاريخاً وتولداً فى كثير من مبانيهم ومسالكهم متخذة من الفرق الباطنية الشيعية التى انحلت أو انحرفت بعد اطلاعها على بعض الأسرار.

***

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٥١٣

الفصل الثامن: مفهوم الغيبة بين الافراط والتفريط ... ص: ٥١٣

الافراط والتفريط فى الغيبة ...: ص: ٥١٣

لدينا ثلاثة مذاهب فى تفسير وفهم الغيبة الكبرى للإمام (ع) كما هو الحال فى أغلب المسائل الاعتقادية فهناك الافراط وهناك التفريط وهناك الوسطية.

فالبعض أفرط فى معنى الغيبة لحد الغلو فيها فصّور الغيبة بمعنى مزايلة الإمام عن موقع المسؤولية وابتعاده وإقصائه وعدم التصدى الفعلى ولو بسبب الظالمين، فتصور أنها غيبة حضور أى انقطاع الإمامة فى فترة الغيبة الكبرى وبذلك يكون الإمام (ع) والعياذ بالله قد تخلى عن ساحة المسؤولية والتصدى للولاية الإلهية، فلما كان الإمام غائباً فهو منقطع ومبتعد وقاصى عن الناس والرعية ولما كانت النيابة الخاصة والسفارة منقطعة بالأدلّة القطعية فلا تمثيل للإمام، فبالتالى ليس الإمام موجوداً ولا يوجد من يمثله وليس هناك أىّ طريق يدل عليه ولا- أىّ باب يُنفذ منه إليه من هنا سمى النائب باباً إذ منه يُنفذ للإمام (ع) فالغيبة تعنى انعدام وجود الإمامة وابتعاد الإمام عن مسؤولياته وتصديه وبالتالى فإنّ مهام ووظائف وواجبات الإمام (ع) معطّلة لحين ظهوره وتصديه للقيام بها، ومن تبنى هذا التفسير صار فى حيرة فى توجيه نيابة الفقهاء فى فترة الغيبة الكبرى وكيفية رسم صلاحياتهم بعد أن عطل بحسب مبناه دور الإمام تماماً، فذهب بعض منهم إلى الشورى وبعض إلى إجماع الأمّة وبعض إلى الضرورة والمصلحة وغيرها.

ومن الواضح أن هذا التفسير خاطىء فإنّ الإمامة والإمام لا يمكن

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٥١٤

انعدامها، وهو إفراط فى تفسير معنى الغيبة، وهذا المعنى الافراطى يُناقض أصل معتقد الإمامية بالإمامة لأنه بالتالى يؤدى بنا هذا التفسير إلى وجود فترة زمنية ليس فيها إمام فإنّ آخر الأئمّة هو الحسن العسكرى (ع) وباستشهاده انعدمت الإمامة إلى ظهور المهدى (ع) وبالتالى ففى فترة الغيبة الكبرى ليس هناك إمام يقوم بأعباء الإمامة ومسؤولياتها، فتتساوى حينئذٍ فى تلك الفترة مع المدارس الإسلاميّة الأخرى فى القول بعدم وجود الإمامة وكأنما أصبحنا كالواقفية يعنى من وقف على إمامة أحد الأئمّة (عليهم السلام)، وبحسب هذا القول والتفسير نكون قد وقفنا على إمامة الحسن العسكرى (ع) ولم نقل بإمامة المهدى (ع)، إذ لا تكون إمامة المهدى إلّا فى الظهور، وهذه الفترة وهى الغيبة الكبرى خلت من أىّ حجةٍ فلا رسل فيها ولا أنبياء ولا أئمّة.

وهذا المعنى الخاطئ صوّرته بعض المذاهب الإسلاميّة الأخرى بل بعض الكتابات فى وسطنا أيضاً حيث رسمت معنى الغيبة بما يؤدى إلى وجود هذه الفترة الخالية من الإمام (ع)، نعم لا مانع من وجود فترة ليس فيها ظهور للإمام كما هو الصحيح فى الغيبة لكن من غير الصحيح القول بفترة لا يوجد فيها إمام.

وبالتالى أشكل عليهم بأن هذا المعنى يلزمه عدم التوافق مع الحديث المروى عند الفريقين «من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية» («١») بل فى روايات الفريقين ما هو أعظم من ذلك وهى رواية «من

“

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٥١٥

مات وليس فى عنقه بيعة لإمام مات ميتة جاهلية» («١») فليس عدم معرفة الإمام بل عدم بيعته إذ قد يعرفه لكن لا يتضامن مع مساره أى لا- يتضامن مع أتباع أهل البيت الذين هم على منهاج أهل البيت بل يتبع منهاج غيرهم وهو فى الواقع فسخ البيعة مع الإمام المعصوم، فعلى أىّ تقدير فقد ورد أن من مات وليس فى عنقه بيعة للإمام فإنّه مات ميتة جاهلية، وبالتالى على هذا القول والتفسير للغيبة كل من مات فى الغيبة الكبرى حيث ليس فى عنقه بيعة للإمام مات ميتة جاهلية، هذا هو لازم قولهم وهل يمكن الالتزام بذلك؟

وقد حاول البعض الآخر التخلص من هذا الإشكال فصوّر الغيبة بمعنى آخر حيث اعتقد بأنه من غير الصحيح تصوير انقطاع الإمامة بهذا المعنى وهو تفسير باطل وفيه زيغ فى الاعتقاد بالإمام فلا بدَّ أن يكون الإمام ناشطاً قائماً بالأمر وبأعباء المسؤولية وذلك من خلال التمثيل الرسمى له، فصور هذا القائل أن للإمام عناصر تمثله فى العلن، وبالتالى فهو معنى تفريطى حيث إن هذا التفسير يُنافى حقيقة

الغيبة كما سيأتى، فهذا القائل بالمعنى الثانى اعتقد أنه إذا لم نقل بالتمثيل الرسمى للإمام فإنّ ذلك يعنى عدم النشاط للإمام وعدم تصديه للإمامة والمسؤولية والاصلاح.

فلكى يحافظ هذا القائل على الدور الفعلى للإمام لا بدَّ من تصدى الإمام مباشرة أو من يمثله، ولما كانت فترة غيبة فليس المتصدى هو الإمام بل من يمثله سواء أكان سفيراً أم نائباً خاصاً ونحوه.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۵۱۶

وهذا المعنى التفريطى أيضاً باطل ومنحرف لأن النشاط والدور الفاعل والتصدى للإمام لا يستلزم أىّ بروز وإعلان فلو عدنا لقصة موسى والخضر (ع) وما يقوم به من مسؤوليات، فعندما تفارقا ولم يكن فعل الخضر ظاهراً لأحد فهل هذا يعنى أن ليس له أدوار بعد ذلك وأن دوره فقط الذى كشف عنه القرآن وإلّا فقبل التقائه بموسى وبعد فراقهما ليس له أىّ دور وهذا واضح البطلان فإنّ له ولغيره من رجال الغيب أدواراً ومسؤوليات لا يعلم بها إلّا الله والأئمّة.

ففى رواية عن النبى (ص): «لو صبر النبى موسى مع الخضر أكثر لرأى عجائب عظيمة من الخضر» («۱») فعدم ظهور وبروز نشاط الإمام (ع) وعدم وجود نائب خاص أو سفير لا يعنى الجمود وعدم النشاط، وهذا المعنى للأسف ارتكز خطأ عند كثير من الكتابات الإسلاميّة سواء من المذاهب الأخرى أم فى وسطنا إذ ارتكز أن النشاط والحيوية والفاعلية والقيام بالمسؤولية تلازم الاعلان والبروز والظهور، وليس كذلك فإنّه كما سيأتى من أن أجندة التنظير فى العلوم الاستراتيجية والسياسية والاجتماعية تؤكد على أنه كلما كانت السرية والخفاء أكثر كان النشاط والعمل والدور أكثر حيويةً وقوةً ونفوذاً واختراقاً وتأثيراً وانسيابيةً واندفاعاً وسيولةً وبلا أىّ معوق وممانع والعكس بالعكس، فالنشاط يرتبط بالانجاز فى الميدان الخارجى ولا ربط له بالظهور والاعلان، فليس لازم النشاط الكشف والاعلان والاعلام والهرج والمرج والصخب، فالبعض وللأسف عندما يقرأ تاريخ بعض المصلحين من

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۵۱۷

أولاد الأئمّة (عليهم السلام) كزيد الشهيد أو يحيى بن زيد (رض) وغيرهم من الثوار يحسبون أن معنى النشاط والعمل والتغيير لا بدَّ أن يكون معلناً ومكشوفاً وإلّا كان جموداً، وهذا من أخطاء الزيدية حيث اعتبروا الإمام هو من يقوم بنهضة إصلاحية معلنة ساخنة فى حين أن سيرة أهل البيت (عليهم السلام) على عدم ضرورة الكشف والاعلان للنهضة والتغيير والقيام بأعباء المسؤولية والاصلاح وهداية المجتمع لئلّا يمنعهم ويعرقلهم العدو عن ذلك.

وأنه بات واضحاً إذا أراد الرواد المصلحون الاصلاح والعمل الاصلاحى فكثيراً ما يكون فى الظل والستار والخفاء ليكونوا أكثر نشاطاً وتأثيراً فإنّ الغيبة والتستر من مصاديق التقية ومع ذلك لم تفسر التقية بالجمود والابتعاد وعدم ممارسة المسؤولية.

إذن الغيبة لا تعنى عدم الإمامة بمعنى ترك ساحة المسؤولية والأحداث وعدم وجود الإمام، فإنّ الإمامة فى الواقع ولاية فعلية وتصدى فعلى لهذه الراية الكبرى من نور الله تعالى ومسؤوليات الإمامة وإلّا صار المعتقد بذلك واقعياً أو مذهباً مناقضاً لأصل الإمامة.

كما أن الغيبة لا تقتضى لابدّية التمثيل والتصدى العلنى والبروز لأجل قيام الإمام بمسؤولياته ومهامه وإلّا صار المعتقد بذلك زيدياً أو بابياً أو مدعياً للسفارة والنيابة الخاصة كذباً وزوراً وإنما الغيبة أمرٌ وسطى بين المعنيين فهى معنى بين عدم ظهور الإمام مع حضوره فهو موجود بين الناس لكنه غير معروف عندهم بإنه الإمام فيعبر عنه بإنه غائب، فالغيبة إذن غيبة ظهور الإمام وليست بمعنى عدم حضوره وهى انقطاع ظهور وتمثيل لا انقطاع إمامة أى عدم ظهور الإمام (ع) علناً وعدم

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۵۱۸

ظهور أىّ نشاط له فى العلن وعدم بروز أىّ تمثيل رسمى له، فالانقطاع للسفارة وليس انقطاع الإمامة، فإنّ انقطاع النيابة لا يعنى انقطاع الإمامة، وعدم انقطاع الإمامة وفعليتها واستمرارها لا يقتضى ولا يوجب ولا يحتم استمرار النيابة والتصدى المعلن وإلّا فمن الخطأ ما فعله البعض من الربط بين انقطاع النيابة وانقطاع الإمامة والبعض من أن فهم بالعكس استمرار الإمامة بمعنى استمرار النيابة، إذ هناك

عدة أنواع للتصدى لا تنحصر بالسفارة، كما أن عدم أحد أنواع التصدى لا يعنى انقطاع جميع أنواع التصدى.

وإلّا فإنّ الإمام (ع) موجود حاضر متصدى وقائم بمسؤوليات وأعباء خلافته تماماً إذ له (ع) تمام الفاعلية وتمام النشاط وتمام القيام بأعباء المسؤولية والولاية والإمامة من دون أن يكون له ظهور أو تمثيل أو نيابة.

ففى كثير من روايات أهل البيت (عليهم السلام) أن الإمام المهدى (ع) فيه سُنّة من النبى يوسف (ع) حيث كان يتكلم مع الناس ويباشرهم ويديرهم ويدبرهم وهم لا يعلمون أنه النبى يوسف (ع) بل وفى كثير من الروايات أن المهدى (ع) عند ظهوره يقول الكثير من الناس: هذا الذى كنّا نعهده، فعن سدير قال: سمعت أبا عبد الله (ع) يقول: «إن فى القائم شبه من يوسف (ع)»، قلت: كأنك تذكر خبره أو غيبته؟ فقال لى: «ما تنكر من ذلك هذه الأمّة أشباه الخنازير، إن إخوة يوسف كانوا أسباطاً أولاد أنبياء، تاجروا يوسف وبايعوه وهم إخوته وهو أخوهم فلم يعرفوه حتّى قال لهم: أَنَا يُوسُفُ فما تنكر هذه الأمّة أنه يكون الله (عزوجل) فى وقت من الأوقات يريد أن يستر حجته، لقد كان يوسف (ع) إليه ملك مصر، وكان بينه وبين والده مسيرة ثمانية عشر يوماً، فلو أراد الله (عزوجل) أن يعرفه

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٥١٩

مكانه لقدر على ذلك، والله لقد سار يعقوب وولده عند البشارة مسيرة تسعة أيام من بدوهم إلى مصر، فما تنكر هذه الأمّة أن يكون الله (عزوجل) يفعل بحجته ما فعل بيوسف أن يكون يسير فى أسواقهم ويطأ بسطهم وهم لا يعرفونه، حتّى يأذن الله (عزوجل) أن يعرفهم بنفسه كما أذن ليوسف حتّى قال لهم: هَلْ عَلِمْتُمْ ما فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جاهِلُونَ* قالُوا أَ إِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قالَ أَنَا يُوسُفُ وَهذا أَخِي («١»)» («٢»).

وهذا يعنى أن له حضوراً تاماً فى ساحة الحدث والمسؤولية غاية الأمر أنه (ع) غير معروف، فالغيبة تعنى عدم علمنا ومعرفتنا به (ع) وانعدام النيابة والتمثيل لا انعدام وجوده.

وهذه مسألة عقدية مهمّة فى أحوال وشؤون الإمامة لا بدَّ من الالتفات إليها وفهمها بشكل صحيح ودقيق، فإنّ الجادة الوسطى هى جادة النجاة فلا إفراط ولا تفريط، وإلّا وقعنا فى الزيغ والانحراف وتركنا المذهب الحق مذهب أهل البيت (عليهم السلام) والعياذ بالله.

حقيقة الغيبة والظهور ...: ص: ٥١٩

قد مرَّ أن من ميزات الغيبة الكبرى للإمام (ع) هو انقطاع النيابة الخاصة والسفارة وإن للغيبة معنى وسطياً بين الحضور وبين عدم الظهور ولكن عدم ظهور الإمام هل هذا يعنى أن الإمام (ع) بعيد وغائب عن البشرية، أى هل أن معنى الغيبة يقابل الحضور أم لا، إنما الإمام حاضر دائماً فيكون معنى الغيبة مقابلًا للظهور؟

لو لاحظنا الروايات المروية فى هذا المجال من الفريقين الخاصة

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٥٢٠

والعامة نجد أن انتهاء أمد الغيبة الكبرى يكون بالظهور وليس بالحضور فيكون معنى الغيبة فى مقابل الظهور فالغيبة تعنى الخفاء والسرية وعدم الاعلان وعدم البروز وأما الظهور فهو عدم الخفاء أى البروز والاعلان، وتقدم أن من أدلّة انقطاع النيابة الخاصة والسفارة أن نفس لفظ الغيبة يتضمن عدم التمثيل وعدم التوكيل وعدم التنويب وهذا يعنى أنه (ع) حاضر وموجود لكن ليس على نحو العلن والبروز.

ونجد هذا المعنى أيضاً فى كثير من الأدعية كدعاء الندبة «بنفسى أنت من مغيب لم يخلُ منّا» («١») وعدة فقرات فى هذا الدعاء يتضح منها أنه (ع) حاضر وإنما التأسف فى البحث عنه باعتبار غيبته، أى خفاؤه وسريته!

ومن الغريب أن هذا المعنى فهمه وحققه واكتشفه ووصل إليه بعض الباحثين الاستراتيجيين الغربيين فى حين غاب بل استهزء به وسخر

منه بعض الكتاب الإسلاميين، وما ذلك منهم إلّا لأنهم لم يفهموا معنى الغيبة وفسرّوها بتفسير خاطئ.

فهذا المعنى الخفى الدقيق الخطير للغيبة فهمه أمثال الباحث الاستراتيجى الخطير والمُنظّر الدولى فرانسوا توال الفرنسى («۲») فى كتاب ، دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۵۲۱

كتبه حول الجغرافيا السياسية للشيعة، وهذا الكتاب خطير جدّاً وقد نسخ وتُرجم للوقوف بدقة على أبحاثه لأن البحوث الاستراتيجية أشبه بالسرية، وقد ذكر هذا الباحث فى كتابه أن معنى غيبة الإمام المهدى (ع) عند الشيعة بمعنى الخفاء والسرية ليكون الإمام المهدى (ع) أنشط فى حركته وحيويته فى تدبير الأمور فى العلوم الاستراتيجية والأمنية، فإنّ السرية رمز القدرة، والدول ترى فى السرية قدرة وقوة.

فهؤلاء الكتاب وصلوا لهذه المعانى الدقيقة وراء غيبة الإمام عليه (ع) فى حين كتابات من المذاهب الإسلاميّة الأخرى تستخف بعقيدة الغيبة عند الإمامية، بل إن الكثير من الروايات والجماعات الضالة تستخف بالغيبة الكبرى بمعنى السرية الكاملة حيث لا سفارة ولا نيابة خاصة، حيث ظنوا أن معنى هذه العقيدة الضرورية عند الطائفة الإمامية من انقطاع الاتصال الرسمى المعتبر بالحجة (ع) يعنى جمود الحجة بن الحسن (ع) عن مهامه ودوره فى قيادة البشرية ومواصلة مهامها الرسالية، وأنه (ع) نائى فى أقاصى البلاد لا يتصدى للأمور وتاركاً الحبل على الغارب، بينما يعبث بالأمر قوى الطغيان البشرى، بل الحق أنه لو ترك التصدى للأمور يوماً واحداً لساخت الأرض فساداً بأهلها، ولوقعت الحروب والبلايا فى الأصعدة المختلفة على البشرية، كما قال (ع) فى التوقيع الشريف: «نحن وإن كنّا ناوين بمكاننا النائى عن مساكن الظالمين، حسب الذى أراناه الله تعالى لنا من الصلاح ولشيعتنا المؤمنين فى ذلك ما دامت دولة الدنيا للفاسقين، فإنا نحيط علماً بأنبائكم، ولا يعزب عنّا شىء من أخباركم، ومعرفتنا بالذل الذى

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۵۲۲

أصابكم مذ جنح كثير منكم إلى ما كان السلف الصالح عنه شاسعاً، ونبذوا العهد المأخوذ وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون.

إنّا غير مهملين لمراعاتكم، ولا ناسين لذكركم، ولولا ذلك لنزل بكم اللأواء أو اصطلمكم الأعداء فاتقوا الله (جل جلاله) وظاهرونا على انتياشكم من فتنة قد أنافت عليكم يهلك فيها من حم أجله ويحمى عنها من أدرك أمله، وهى أمارة لأزوف حركتنا ومباثتكم بأمرنا ونهينا، والله متم نوره ولو كره المشركون.

اعتصموا بالتقية! من شب نار الجاهلية، يحششها عصب أموية، يهول بها فرقة مهدية، أنا زعيم بنجاة من لم يرم فيها المواطن، وسلك فى الطعن منها السبل المرضية، إذا حل جمادى الأولى من سنتكم هذه فاعتبروا بما يحدث فيه، واستيقظوا من رقدتكم لما يكون فى الذى يليه» («۱») بل هو (ع) يدبّر ويدير الأمور البشرية جميعاً عبر أساليب خفية وأدوات غيبية منتظمة تحت الستار، لكن المقرر لتلك الإدارة أن لا تظهر إلى السطح والعلن فى عصر الغيبة قبل الظهور، فالغيبة والانقطاع لا تعنى انعدام حضوره (ع)، فى الساحة الاجتماعية والسياسية البشرية بل تعنى انقطاع الاتصال من طرفنا ومن قبلنا باتجاهه (ع) لا انقطاعه هو (ع) عن التصرف فى أمورنا وأمور البشرية وفى المجتمعات المختلفة، كما قال تعالى: إِنِّى جاعِلٌ فِى الْأَرْضِ خَلِيفَةً («۲») أى يحول أمام الفساد فى الأرض وسفك الدماء.

ففى الوقت الذى يستخف بعض المسلمين بالغيبة والسرية، فإنّ أولئك الباحثين يفهمونها ويعتبرونها مصدراً للقوة والقدرة والتدبير.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۵۲۳

وما بيّناه من التفسير الصحيح للغيبة لا- يمنع أن له أعواناً خاصين ونشطاء بل وجهاز عمل كامل إلّا أن المهم أنه ليس له أىّ بروز وإعلان وتمثيل رسمى فى الظاهر وإنما تمام العمل والنشاط والتدبير فى السر والخفاء وليس لجهازه وأعوانه صلاحيات الاعلان والبروز والظهور، لذا فمن يدعى ذلك فى العلن فهو كذّاب ودجّال.

يقول أولئك الباحثون الستراتيجيون: إن السرية فى العلوم الستراتيجية والعلوم السياسية والعلوم العسكرية والعلوم الأمنية هى تمام القدرة، فكلما قلت السرية والخفاء كلما قلت القدرة والمقدرة والقوة، لأن الذى هو فى السر والخفاء يتواجد ويعيش فى سياج وحماية

أمنية فلا يمكن لأىّ أحد أن يصل إليه فليست القضية حينئذٍ فيزيائية لوجستية حسية بدنية وإنما هى خفاء وسرية بمعنى عدم إمكان معرفة وكشف المختفى فلا يمكن عرقلته أو قطع الطريق عليه أو مواجهته أو مصادمته أو الحول بينه وبين تدبيراته.

شواهد التصدى للإمامة الفعلية ...: ص: ٥٢٣

وعليه فمن الخطأ أن تفسر الغيبة فى مقابل الحضور لأن معناها حينئذٍ أن الإمام (ع) فى فترة الغيبة الكبرى غير حاضر فما يذكر من تعابير نحو عصر الحضور أو زمن الحضور وغيرها تعابير خاطئة، فإنّ الإمام (ع) حاضر بيننا ولم تخل منه الديار وإن كان غائباً إذ كونه غائباً يعنى مستتراً ومختفياً وإلّا فالكثير من روايات أهل البيت (عليهم السلام) تذكر هذا الأمر على أنه واضح وضرورى وأنه (ع) يعيش فى وسط وكبد الحدث، ففى روايات الفريقين فى بيان وتفسير ليلة القدر أن هناك برامج وملفات لإدارة الأرض من صغير الأمور وكبيرها تتنزل عليه من إحصائيات الأرزاق والآجال وإحصائيات البركات التى تزدهر بها الأرض والآفات.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٥٢٤

وهذه الاحصائيات لا- تدرى حتّى الدول العظمى أىّ تأثير وأثر لمحاسبات مثل هذه الاحصائيات، فإنّ علم الاحصائيات بات من الواضح أنه هو الذى يرسم استراتيجية المستقبل، فكلما كانت الدول أكبر وأعظم كانت أقدر وأكثر استطاعة لأن ترسم لنفسها تدابير أكثر.

وهذه الملفات والبرامج التى تنزل على ولى الأمر الإمام المهدى (ع) كل عام فى ليلة القدر هى ملفات ومعلومات مُذهلة هائلة مهولة إلى الآن ليست هى فى الوعى العلمى للبشر والتى يعبر عنها فى العلوم الاستراتيجية أو علم القيادة والإدارة بالتدبير وإمساك الأرض باليد واختراق الأنظمة، وهذا المعنى رواه الفريقان من الشيعة والسُنّة فى بيان ليلة القدر («١») وفى ذيل سورة الدخان وسورة النحل وقد ذكرنا بيان ذلك فى كتاب الإمامة الإلهية («٢») كما ذكرنا فيه مقتطفات من أقوال الفريقين.

وهناك آيات أخرى دالة على ذلك كقوله تعالى: وَإِذْ قالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّى

‘‘‘

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٥٢٥

جاعِلٌ فِى الْأَرْضِ خَلِيفَةً («١») فلم يعبر بالرسول أو النبى بل قال: إِنِّى جاعِلٌ فِى الْأَرْضِ خَلِيفَةً فهى معادلة كلية دائمية دائبة إلى نهاية حياة البشرية فى الأرض، فخلافة الله على الارض ابتدأت من أول الحياة للبشرية إلى انتهائها فحجة الله على الأرض كما ورد فى الروايات قبل الخلق ومع الخلق وبعد الخلق («٢»)، وأوّل مهمّة بيّنها الله للخليفة والحجة على الأرض هى دفع الإفساد والقيام بالاصلاح فأحد تسميات الإمامة فى القرآن هو الخليفة لأنه يستخلف فى التدبير والتصرف فى الأمور فهو عنده قدرة التدبير، ومن ثَمَّ أورد تعالى أوّل تفسير لمعنى الخليفة قول الملائكة بعد ذلك: قالُوا أَتَجْعَلُ فِيها مَنْ يُفْسِدُ فِيها وَيَسْفِكُ الدِّماءَ («٣») ذكر اعتراض الملائكة لأنه يريد أن يتحدّث عن إحدى وظائف الخليفة المهمة فبيّن شأن ومقام وصلاحيات الخليفة من خلال الجواب على اعتراض الملائكة بالافساد فى الأرض وسفك الدماء إذ قال تعالى: قالَ إِنِّى أَعْلَمُ ما لا تَعْلَمُونَ يعنى هذان المحذوران اللذان يخشى الملائكة منهما يتم تفاديهما ودرؤهما وعلاجهما بتوسط الخليفة فى الأرض كأبرز مهمّة له فيها وهى دفع الافساد والحيلولة دون سفك الدماء والقيام بالاصلاح.

والمقصود من الافساد أى الفساد الأكثر بأن تكون نسبة الفساد إلى الخير والصلاح أكثر من (٥٠٪) وإلّا لو كانت (٥٠٪) أو أقل لم تصلح كمادة نقض للملائكة إذ سيكون الخير والاصلاح هو الأكثر.

فالقرآن الكريم يذكر لنا أن الخليفة هو الذى يحول دون الفساد

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٥٢٦

الأكثر فى الأرض سواء أكان ذلك الفساد أخلاقياً أم صحياً أم سياسياً أم إدارياً أم زراعياً ... بل إنه سيعمل على عمارة الأرض وإصلاحها فى جوانب شتى فيحول بين الأنظمة المتحكمة المتغلبة على البشر وبين وقوع الفساد فإنّ له قدرة إدارة الأرض لأن الله استخلفه فيها وعلمه الأسماء وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْماءَ كُلَّها ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلائِكَةِ فَقالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْماءِ هؤُلاءِ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ («١») فهذا العلم الذى يعطيه الله (عزوجل) للخليفة يمكنه من إدارة وتدبير الأرض، وإن هذه الإدارة والتدبير خفية سرية وهى مصدر القوة والقدرة لأجل الاصلاح النسبى وإلّا فإنّ الاصلاح التام الكامل سيكون فى الظهور ودولة المهدى (ع) أما الاصلاح النسبى فهو الواقع والممارس منذ آدم (ع) إلى نبينا الخاتم (ص) وإلى أئمة أهل البيت (عليهم السلام) فإنّ هذه النسبة من الاصلاح والتدبير كانت لدى كل الأئمة (عليهم السلام) وإن لم تكن معلنة.

فالبارى تعالى يقول للنبى إبراهيم (ع): قالَ إِنِّي جاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِماماً («٢») مع أن التاريخ لم يحدّثنا أن النبى إبراهيم (ع) قد ملك العراق أو الشام أو فلسطين أو مصر أو الجزيرة العربية، وهكذا أخبرنا البارى تعالى فى القرآن أن يعقوب وإسحاق جعلهما الله أئمة يهدون بأمره وَجَعَلْناهُ هُدىً لِبَنِي إِسْرائِيلَ* وَجَعَلْنا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنا لَمَّا صَبَرُوا وَكانُوا بِآياتِنا يُوقِنُونَ («٣») وأيضاً لم يحدّثنا التاريخ أبداً عن أنهما تصديا إلى ملك فى العلن.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٥٢٧

فإنّ ابراهيم ويعقوب وإسحاق (عليهم السلام) نُسِبت لهم الإمامة والقيادة والتدبير والاصلاح مع أنهم كانوا يعيشون كالرعية لأنظمة أخرى حسب صورة ظاهر السطح، ولكن التاريخ سجل لنا أن النبى إبراهيم (ع) استطاع أن يُبدّل عقائد وعبادة شعوب وأقوام الشرق الأوسط من عباد وثنية إلى ملّة توحيدية حنيفية.

ومعلوم ومذكور فى العلوم الاجتماعية والعلوم السياسية والعلوم الحضارية والعلوم الاستراتيجية أن تبديل العقيدة والدين ليس من قدرة الحكومات أبداً لأنّ العقيدة حكومة فوق الحكومات، فكيف استطاع إبراهيم (ع) كفرد تبديل عقائد تلك الأمم ولم تكن وسائط إعلام كما للغربيين الآن ولا غير ذلك، وقد نجد فى التاريخ الحديث دولًا عظمى كالاتحاد السوفيتى لم يستطع تغيير دين وعقائد بعض الدول الإسلاميّة مثل أوزبكستان وتركمانستان وأذربيجان فبكل ما أوتى من جبروت وغطرسة وسفك دماء وإرهاب وإعلام... خلال مائة سنة حكم الروس هذه الدول بالتعسف والدم والإرهاب لم يتمكّنوا من تغيير الدين والاعتقاد.

وما قام به إبراهيم (ع) ليس صدفة أو اتفاقاً أو فجأة أو طفرة وإنما هناك شبكة وإدارة خطيرة كان يتحكم فيها النبى إبراهيم فى تلك الشعوب من خلال ذلك استطاع أن يقيم وينجز التغيير العظيم، وهكذا النبى يعقوب أو النبى إسحاق (ع).

فالقرآن الكريم يطلعنا على أن الإمامة لها جهاز خفى نعرفه لو تأملنا سورة الكهف وقصة الخضر وموسى (ع) فالقرآن يريد أن يبيّن لنا أن الخضر كان فى ضمن مجموعة خفية لديها مأموريات ومهمّات

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٥٢٨

وأدوار لا تنافى ضروريات عقائد وأحكام الشريعة، قال تعالى: فَوَجَدا عَبْداً مِنْ عِبادِنا آتَيْناهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنا وَعَلَّمْناهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْماً («١») فإنّ تلك الأدوار والمأموريات كما حدّث الخضر النبى موسى أنها على قسطاس وصراط الشريعة وذلك عندما اعترض عليه النبى موسى (ع) وحاججه بظواهر الشريعة كما مرَّ ذلك.

الغيبة والتقية وقمّة النشاط ...: ص: ٥٢٨

فإنّ الخضر كان يقوم بتلك الأدوار وفق الموازين الشرعية ولكن فى السر والخفاء من دون أن يعوقه الظالمون أو المفسدون أو أهل البغى والفجور، فالخفاء والسرية عامل أمنى مصيرى مهم خطير وهو أحد المعانى الصحيحة للتقية فالغيبة من مصاديق التقية، وهو من معانى التقية المغفول عنه للأسف، فإنّ الإنسان لما يتقى يعنى عنده برنامج أمنى وبرنامج ستارى خفى، وليس معنى التقية أنه يترك

المسؤولية ويلتزم الجمود وعدم النشاط والانكفاء والتقوقع، فهذا معنى خاطئ للتقية، بل التقية تعنى مفهوماً أمنياً وإخفاء المسيرة والمسار والقدرة والنشاط والحركة التى يقوم بها ليكون بفضل ذلك الخفاء والسرية فى قمة النشاط والحركة والحيوية، إذ الخفاء والسرية نوع من التقية تكون كدرع حصين لحيوية النشاط والحركة والقيام بالمهام والمسؤوليات والواجبات على أتم وجه فى مأمن ومنأى عن العدو.

وإلّا لو كانت البرامج مكشوفة علنية فمن السهل للعدو عرقلة تلك البرامج.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٥٢٩

فهذه مقولات متشابكة مختلطة فى معانى التقية والغيبة قد تعمى الحقيقة إن لم نعمل الدقة فيها، فقد تفهم التقية بعدم العمل وقد تفهم الغيبة بعدم الحضور والوجود أصلًا، وإلّا فلا بدَّ من العلن، أى قد يخفى كيف يمكن تصوير تقية وغيبة مع عمل ونشاط وقيام بتمام المهام والمسؤوليات.

وهذا البيان من الله فى سورة الكهف عن الخضر وأن هناك مجموعة إلاهية عاملة لكى يبيّن البارى تعالى أن للإمام فى الأرض مثل هذه الأعوان والأنصار، فليس معنى سرية وخفاء وغيبة الإمام عدم الحضور وأنه نائى بعيد قاصى وليس موجوداً فى الساحة وفى الحدث، بل بمعنى عدم الظهور، فالغيبة لا بدَّ من فهمها فى مقابل الظهور لا فى مقابل الحضور وأن تعبير زمن الحضور تعبير خاطئ، فإنّه لا يوجد زمن حضور وزمن غير حضور، بل حضور الإمام دائم، فالصحيح عقائدياً أن نطلق عليه زمن الظهور فى قبال زمن الغيبة، بمعنى أنه (ع) موجود بين أظهرنا وفى كبد وساحة الحدث إلّا أنه ليس بظاهر بل مستتر مُختف غائب.

ومن خلال ذلك تبطل الكثير من الإشكالات المثارة من المدارس والمذاهب الإسلاميّة الأخرى ضد مدرسة أهل البيت حيث فسروا وفهموا الغيبة فى مقابل الحضور فقالوا بما أنه غائب أى ليس بحاضر فكيف يكون إماماً ويتحمل مسؤولياته ويدبر أمور الأمّة؟

اتّضح أن الإشكال مبتنى على تصوير خاطئ لمعنى الغيبة، فليس الإمام غير حاضر بل هو حاضر وموجود وإلّا لساخت الأرض بأهلها «(١)».

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٥٣٠

لولا إدارة الإمام لشؤون الحياة على الأرض لساخت ...: ص: ٥٣٠

ومعنى لولا الحجة لساخت الأرض ليس إعجازاً محضاً وجبراً تكوينياً إذ أبى الله إلّا أن يجرى الأمور بأسبابها، بل المعنى الصحيح أنه لولا تدبير الحجة من خلال المعلومات التى تتنزل عليه من الله (عزوجل) لكانت الأرض تنزلق فى الفساد فى مختلف المجالات الصحية والبيئية وغيرها كانتشار الأوبئة والأمراض الفتاكة التى تفتك بالبشرية، فكثير من الأنظمة والقوى العظمى لا تستطيع أن تحول دون انتشار وباء يعصف بكل البشرية بل هم غارقون فى غفلتهم مهما تطورت علومهم وآلياتهم الصحية والمختبرية وغيرها فتلك الأنواع من الفساد كأنما جيوش لا يستطيعون التصدى لها، وإنما المتصدى والمانع دون وقوع ذلك الفساد الكبير فى مختلف المجالات البيئية والصحية والزراعية والحيوانية والأخلاقية والحقوقية والسياسية والأمنية و ... إنما هو الإمام، فهو الحائل دون قطع النسل البشرى ووقوع الكوارث الزراعية والحيوانية بل وحتّى يحول دون انقطاع النسل الهوائى أى فى مقابل التلوث الهوائى، فهناك مخاطر عجيبة تحدق بالبشرية وأولئك مهما أوتوا من علوم فهم يجربونها دون العلم بعواقبها ولا يلتفتون للوازمها كالطفل الذى يفجر شيئاً لا يعلم تداعياته ونتائجه، فنلاحظهم رغم كل ذلك يعانون ويهولون لأنفسهم أعمالهم وما يقومون به من معالجات غير مجدية لبعض المشاكل من ثقوب الأوزون والتلوث البيئى والانقراض وغيرها من التداعيات

الخطيرة ولا يعلمون كيف علاجها الواقعى.

إذن لا بدَّ لله تعالى من حاكم يحفظ أمن البشر الصحى

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٥٣١

والاقتصادى والأخلاقى والخلقى، ضد الأعمال والأساليب الشيطانية من خلال التدبير والإدارة، بحيث لا يمكن للعدو إعاقة إدارته وتدبيره، لذا لا بدَّ أن تكون تلك التدابير ونحوها خفية سرية فى الأرض، فيكون ذلك الحاكم المدبر خفياً مستتراً.

فهناك آثار وظواهر عجيبة فى الغرب يشاهدونها ولا يعلمون أسبابها ولا كيفية علاجها مثلًا انتشار الإسلام فى الغرب وأميركا وأماكن كثيرة وذلك من خلال إحصائيات سجلت فى العام الماضى والذى قبله، فإنّها إحصائيات مذهلة، ظنوا أن السبب بعض الفضائيات الإسلاميّة فأغلقوها ولم يكن ذلك منطقياً فإنّ بعض الفضائيات على قلتها ما هو تأثيرها فى قبال سيل هائل جارف وأسطول عظيم مهول من الاعلام من فضائيات وغيرها الموظفة للتأثير على الشعب الغربى، ثمّ ظنوا أن السبب هو الجاليات الإسلاميّة القليلة المغلوب على أمرها فضايقوها وقللوها قدر ما استطاعوا ولم تحل معضلتهم وهى انتشار الإسلام، فمهما سعوا وعملوا لن يكتشفوا سبب ذلك لأنه ليس بالأمر المكشوف كما يتصورون وإنما هو من تدبير الإمام وجهازه وأعوانه فى السر والخفاء لاصلاح الأرض ودفع فسادها.

جهاز تدبير الإمام ...: ص: ٥٣١

كما تقدم فإنّ جهاز تدبير الإمام لا ينحصر بالنواب والسفراء كى يتوهم متوهم أنه بانقطاع السفارة والنيابة الخاصة يتعطل تدبير الإمام ونشاطه وإنما الأمر أوسع من ذلك.

فإنّ من الأمر الظاهر الذى لا يتوقف على ظهور الإمام هناك جهاز

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٥٣٢

عام وهم النواب بالنيابة العامة والفقهاء والإمام يرعاهم ويتابعهم ويشرف على عملهم وإن لم يكن الفقهاء يرون الإمام كما أن هناك جهازاً خفياً من الملائكة وغيرها قال تعالى: وَإِذْ قُلْنا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ («١») فإنّ ذلك أمرٌ منه تعالى للجميع دون استثناء، فالمطلوب من كل الخلق السجود والخضوع والإطاعة والتبعية لخليفة الله فى الأرض، والقرآن الكريم تعرض فى سبع سور («٢») إلى أن الملائكة خاضعون متبعون للخليفة ولم يُستثن أحد من الملائكة، والذى يعنى شمول الجميع بأمر الطاعة والخضوع فحتّى جبرائيل وإسرافيل وميكائيل وعزرائيل ودردائيل

ومالك خازن النار ورضوان خازن الجنّة وجميع الملائكة المقربين أو غير المقربين.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٥٣٣

قال تعالى: وَالنَّاشِطاتِ نَشْطاً («١»)، فَالْمُدَبِّراتِ أَمْراً («٢») فالقرآن الكريم يستعرض الكثير من القدرات التكوينية فى عدة آيات ثمّ يعزوها ويسندها إلى الملائكة على اختلافهم وتنوعهم ثمّ أمرهم جميعاً بالسجود لآدم (ع) أى لخليفة الله فى الأرض، فالمراد من المأمور بالسجود كل جموع وقبائل الملائكة عظيمهم وبسيطهم مقربهم وغيره، والمراد بالخليفة ليس فقط آدم، بل جميع الأنبياء والأوصياء، أى كل من تؤول إليه الولاية فيكون السجود والخضوع والانقياد بأمر الله للملائكة جميعاً لآدم ونوح وإبراهيم ومحمّد (ص) وعلى بن أبى طالب (ع) والحسن والحسين (ع) وللخلف الإمام المهدى (ع)، فالمراد من الخليفة الذى يستخلفه الله وهو الوالى الذى قلنا أن الله بيّن أبرز مهامه فى الأرض وهى دفع الافساد وإقامة الصلاح وأن الله قد رسم وعيّن لوليه جهاز عمله العظيم بهندسةٍ متقنةٍ فكما بيّنا هندسة اختيار الفقهاء لارتباط الإمام بالناس كذلك له تعالى هندسة عظيمة فى ترتيب وتنظيم جهاز الإمام الخفى فإنّه تعالى أتبع الملائكة لخليفته فى الأرض وجعله والياً عليهم لأن علمه يفوق علمهم إذ قال تعالى: وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْماءَ كُلَّها ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلائِكَةِ فَقالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْماءِ هؤُلاءِ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ* قالُوا سُبْحانَكَ لا عِلْمَ لَنا إِلَّا ما عَلَّمْتَنا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ* قالَ يا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمائِهِمْ قالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ

وَأَعْلَمُ ما تُبْدُونَ وَما كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ («٣») فمنيكون ذا علم أكثر يكون صاحب قدرة أكبر، فتدبير خليفة الله فى الأرض بالعلم الذى

يصله ويستلمه من

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۵۳۴

الله تعالى وأن ذلك التدبير من الإمام ينفذه ويمرّره عبر جهاز خاص ليس من البشر فقط، كما يستعرض ذلك لنا القرآن الكريم فى سورة الكهف، إذ هو مطاع من كل مخلوق قال تعالى: وَإِذْ قالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّى خالِقٌ بَشَراً مِنْ صَلْصالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ* فَإِذا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِى فَقَعُوا لَهُ ساجِدِينَ («۱») فلم يقل: فاسجدوا بل قال: فَقَعُوا فهو أمرٌ انضباطى معجل سريع، أما فاسجدوا ففيه شىء من التراخى.

فهذه القدرة لخليفة الله فى الأرض وآدم (ع) أوّل نموذج فى سلسلة أولياء وخلفاء الله الذين يعملون لاصلاح الأرض على رأس جهاز خاص من جميع الخلق.

وبهذا تندفع الكثير من الإشكالات والاعتراضات على جملة من عقائد الإمامية من الغيبة وغيرها والتى منها أن على بن أبى طالب (ع) كيف يكون خليفة الله فى الأرض وهو جالس فى بيته خمساً وعشرين سنة، فقد اتضح أن عمل خليفة الله فى إصلاح الأرض ليس موقوفاً على توليه السلطة والحكم فى الظاهر والسطح المعلن وإنما للإمام أنماط وأشكال من الحكومات يديرها لاصلاح الأرض ودفع الافساد، ومن أعظم أساليب النفوذ والحكومات التى يديرها هى الحكومات الخفية، فللإمام تدبيرات سرية خفية لم يطلع عليها ولم يفهمها أصحاب العقول الصغيرة والنظرة الضيقة فرأوا أنه (ع) جليس البيت خمساً وعشرين سنة.

ونفس الإشكال أوردوه على الإمام موسى بن جعفر (ع) وهو فى السجن والجواب بات واضحاً فللإمام تدبيرات وفق ما بيّناه وهكذا فى الرسول (ص) إذ نقرأ فى دعاء الندبة: «أوطأته مشارق الأرض

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۵۳۵

ومغاربها» («۱») فمع أن الرسول (ص) والأئمّة (عليهم السلام) لم تتجاوز أسفارهم الشام والعراق والجزيرة بشكل عام فكيف وطأوا مشارق الأرض ومغاربها؟

وما ذلك إلّا بتدبيرات خفية لهم (عليهم السلام)، فالرسول حتّى قبل بعثته كان نبياً وإماماً فإنّ نبوة وإمامة الرسول لم تتأخر إلى سن الأربعين، نعم بعثته الرسمية كرسول تأخرت إلى الأربعين، فلا تخلو الأرض من الإمامة فإنّ النبى والإمام وطأ مشارق ومغارب الأرض ليس فى أسفاره وتنقلاته المتعارفة عندنا، وإنما ذلك بتدبيراتهم ونحوها فى موارد طى الأرض ونحو ذلك.

معنى أعمق للغيبة ...: ص: ۵۳۵

فعندما نقول الغيبة مقابل الظهور يعنى أن فى فترة الغيبة لا بدَّ أن تكون جميع عناصر جهاز الإمام غير ظاهرة أى سرية مخفية فلا نغلو فى معنى الغيبة وانقطاع النيابة الخاصة، فلا يأتى متقمص مُنتحل كذاب دجال مزور ذو ألاعيب يدعى التمثيل الرسمى للإمام وأنه من شبكته

الأمنية أو جهازه التدبيرى أو غير ذلك، فإنّ ذلك ينافى الغيبة ويخالف السرية والخفاء، إذ لا نتصور أنه عنصر أمنى إلهى وليس أمناً بشرياً ويكشف السر الإلهى إذ كونه من جهاز الإمام السرى سراً إلهياً وأن كشفه أوّل الدجل والكذب، فإنّ هؤلاء الأوتاد أو الأبدال ونحوهم لو

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۵۳۶

شم منهم رائحة النشاط الإلهى العلنى أتاهم عزرائيل وأطلق عليهم رصاصة الموت، أى نزع أرواحهم، فالتاريخ يحدّثنا عن كثير من الأوتاد والأبدال فما أن حصلت نوع من الريبة حوله يأتيه الأجل بسرعة، لم ذلك؟ لأن ذلك تصفية وهى مطلوبة وحالة طبيعية فى طبيعة النظام الأمنى، فأىّ عنصر يبرز ويظهر لا بدَّ من تصفيته، لذا فالذى يدعى أنه من جهاز الإمام أو له تمثيل رسمى من الإمام ونحو

ذلك فهو أوّل الدجل لمخالفته السرية إذ لا يتصور الخفاء مع العلن.

فمع أن للإمام دوائر وشعباً إداريـة مختلفـة وجهاز عمل وتـدبير كامل عجزت الـدول العظمى كالعبّاسـية والأموية عن اكتشاف فردٍ أو عنصر منه لأن مقتضى عمله السرية.

وهكذا النبى موسى (ع) عندما أراد أن يلتقى مع الخضر فلما كان الخضر من عناصر هذه الشبكة السرية لم يلتق به فى البيت الفلانى أو المكـان الفلانـى أى لم يكن موعـده معه موعـداً وفـق المـوازين المتعارفـة وإنمـا أعطـاه الله شـفرتين لمعرفته ذكرت شـفرة فى القرآن وذكرت الأخرى فى الروايات، فالأولى: فَلَمَّا جاوَزا قالَ لِفَتاهُ آتِنا غَداءَنا لَقَدْ لَقِينا مِنْ سَفَرِنا هذا نَصَباً* قالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ الْحُوتَ وَما أَنْسانِيهُ إِلَّا الشَّيْطانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِى الْبَحْرِ عَجَباً* قالَ ذلِكَ ما كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلى آثارِهِما قَصَصاً («١») فالعلامة أن يضيع منه السمك فالله تعالى قال لموسى (ع) إذا ضاع منك السمك ستلقى العنصر الإلهى فى الشبكة الخفية.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٥٣٧

والعلامة الثانية أن ذلك العنصر يكون مستلقياً ومغطى بلحاف والنبى (ع) لما وجد هاتين العلامتين المنحصرتين رأى الخضر فقال: هَلْ أَتَّبِعُكَ وبدأت القصة.

فموسـى (ع) نبى من أولى العزم لم يستأمنه الله إلّا مع إعمال تلك الدقة الأمنية الاستتارية لأن الخضر كان فى ضمن شبكة أمنية خطيرة مخفية وهذه القضايا الأمنية الخطيرة هى سر الله التى عجزت عنه الدول العظمى فلم يتمكنوا من اختراقها لشدة نظمها وخفائها وصعوبة تدبيرها.

وقـد تقـدم وبيّنا أن كل ذلك من الخضـر لم يكن ليتجاوز الضوابط والضـروريات واعتراض النبى موسـى (ع) إنما هو لإعمال القواعد الرقابية.

فإذا كان الله لا يكشف أحد أفراد تلك الشـبكة السرية لنبى من أولى العزم، بل وبعد ما عرفه ورافقه لم يستطع الاستمرار قالَ هذا فِراقُ بَيْنِى وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ ما لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْراً («١») أى انقطع الاتصال بين النبى وبين الخضـر وعادت السـرية التامـة، فإذا كان ذلك مع موسـى (ع) فكيف بآحاد الناس والعاديين منهم، فالقرآن الكريم يقول نبى من أولى عزم لم يعرف فرداً من الشبكة السرية إلّا بشفرتين ولم تدم مرافقتهما

وانقطع الاتصال وعادت السـرية، فكيف نقبل ونتصور أن يأتى إنسان عادى وفرد بشـرى يدّعى أنه من الشـبكة السـرية، فلنتعظ ولنأخذ العبر والـدروس من القرآن بـأنه لاـ كشف للشـبكة السـرية فهى سـر الله الأـعظم ولا ننخـدع بألاعيب وتفاهات المغرضـين فإنّ أولئك دجالون مزورون

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٥٣٨

مسيئون قال تعالى: ثُمَّ كانَ عاقِبَةَ الَّذِينَ أَساؤُا السُّواى أَنْ كَذَّبُوا بِآياتِ اللَّهِ وَكانُوا بِها يَسْتَهْزِؤُنَ («١») فمن يحاول الدخول من الدجالين على خط خطير وشبكة أمنية سرية أخفاها الله ويكون دخولكم بدعاوى باطلة مغرضة أولئك مصيرهم الهاوية ومنزلقات خطيرة عجيبة.

***

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٥٤١

الفصل التاسع: التوقيت والظهور ... ص: ٥٤١

كيف ننصر الإمام المهدى (ع ...): ص: ٥٤١

المؤمنون بمقتضى إيمانهم واتّباعهم لأهل البيت (عليهم السلام) ينجذبون ويساهمون فى نصرة الإمام المهدى (ع) وينبغى أن يعلم أن الطريق الوحيد لنصرة الإمام (ع) هو نشر مذهب أهل البيت (عليهم السلام)، لأن الظهور هو إعلان مشروع الإمام المهدى (ع) من قبله (ع) بشكل علنى أمام البشرية، فإذا كانت البشرية كلها عاصية ومتمردة على مشروع الإمام (ع)، فهل يمكن للإمام (ع) أن ينتصر؟

مما لا شكّ فيه أن البشرية إذا كانت متمرّدة على مشروع الإمام لا يمكن للإمام (ع) حينئذٍ أن ينتصر، لأن الظهور من سنن الله تعالى وأنه تعالى أبى إلّا أن يجرى الأمور بأسبابها وليس بالإعجاز فقط ومحض الغيب، كما بيّن ذلك فى القرآن الكريم فى قوله تعالى: إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ ما بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا ما بِأَنْفُسِهِمْ («١»).

فإنّ الله تعالى كتب لدولة العدل أن تقام على الأرض لكن متى توفرت الشرائط والمعدات لذلك، وهذه توفرها البشرية بأن تستعد وتتقبل ذلك وتقوم به ومن أهم ذلك نشر مذهب أهل البيت (عليهم السلام) والقيام به بشكله الصحيح وإلّا استمر تأخير إقامة تلك الدولة.

وهناك عدّة روايات يظهر منها أن ظهور وإقامة دولة العدل ودولة أئمّة أهل البيت (عليهم السلام) كان مقدّراً فى زمن الإمام الحسين (ع) وكذا فى

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٥٤٢

زمن الصادق (ع) أو الكاظم (ع) («١»)، ولكن بدا لله تعالى تأخير ذلك، لأن أتباع أهل البيت (عليهم السلام) توانوا فى القيام بالدور المناسب، وما ذلك إلّا لأن الظهور ليس أمراً جبرياً ولا تفويضياً بل هو أمر بين أمرين، فإنّ قاعدة الأمر بين أمرين جارية حتّى فى الفعل الاجتماعى والحضارى والسياسى.

وعليه فلما كان الأمر كذلك فلا نتوقع الظهور وقيام دولة الحق مع عدم النصرة وأن النصرة له (ع) لا بدَّ أن تكون من الأفراد ومن المجتمعات والدول ولا نتصور حصول النصرة له من الأفراد والمجتمعات والدول إلّا إذا انتشر الاعتقاد بمشروع ومنهاج أهل البيت (عليهم السلام) وهو مشروع الظهور ومشروع الإمام المهدى (ع).

وقد ورد فى الدعاء: «مؤمن بإيابكم، مصدق برجعتكم، منتظر لأمركم، مرتقب لدولتكم» («٢»)، فإنّ هذا ترتب تصاعدى، مؤمن، ثمّ مصدّق، ثمّ منتظر، ثمّ مترقّب، ولكل درجة ومرتبة من هذه العناوين شرائط ووظائف خاصة كما له مفهومه الخاص، فالمنتظر هو الذى يباشر العمل أى من يقوم بإيجاد مقدمات تتوقف عليها تحقيق نتيجة معينة، والمترقب هو من أنجز العمل ووفر وحقق ما مطلوب منه كمقدمات لذلك العمل ولم يبقَ له إلّا الحصول على هدفه وأخذ النتيجة.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٥٤٣

فإذا كنّا منتظرين لظهور الأمر وتحققه لا بدَّ من تحمل المسؤولية والعمل على تحقق مقدمات الظهور وهى نشر مذهب أهل البيت (عليهم السلام) لنكون بعد ذلك مترقبين للظهور وإقامة دولة العدل والحق، فالانتظار نوع من التفاعل مع عقيدة الظهور وعقيدة إمامة الإمام المهدى وليس إبقاؤها عقيدة تجريدية بل لا بدَّ من تفعيل تلك العقيدة من خلال تفاعل الإنسان بأن عنده مشروع مهدوى.

فإنّ عقائد أهل البيت (عليهم السلام) دوماً واستمراراً تترجم بمشاريع عملية ميدانية اجتماعية سياسية وليست عقائد أهل البيت عقائد تجريدية تظل فى السطور والكتب وتحمل فى القلوب دون تفعيلها وليست هى عقيدة فردية يعيشها الفرد فى نفسه أو فى ظرفه وميدانه الخاص وإنما هى عقائد تقتضى الارتباط بالمجتمع وتحمل المسؤولية بالموقف السياسى والاجتماعى فهى عقائد لها تداعيات وتوجهات وتأثيرات خارجية فعلية، فمثلًا العقيدة بالإمام الحسين (ع) تعنى تحمل مسؤولية النهى عن المنكر الاجتماعى والنهى عن المنكر السياسى والنهى عن المنكر المالى وهكذا...

وكذا تحمل مسؤولية الأمر بالمعروف الاجتماعى والسياسى والمالى و...

لذلك تقول بعض الدراسات الغربية: إن عقيدة الإمام الحسين عقيدة خطرة لأنها تمنع وتمانع وتقاوم الذوبان فى الثقافات الأخرى فإنّ

هذه العقيدة فيها خصائص وصفات تمنع التأثر بالغير حيث إن كل المسلمين ذابوا فى الغرب إلّا أتباع أهل البيت (عليهم السلام) وقد تقدّم بيان هذا المطلب والسبب الرئيسى هو الاعتقاد بالإمام الحسين (ع)

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ۵۴۴

ووجود المرجعيات الدينية المتعاقبة الحاملة لهذا الفكر والناشرة والعاملة به، فهو منهج مفعل وعقائد وثقافة تطبيقية لا يمكن القفز عليها، لذا فهى مبادئ غير قابلة للتأثر بالغير لأنها مبادئ عملية تطبيقية.

إذاً مشروع الإمام الحسين (ع) خطر عليهم ويقلقهم لأنه مشروع حيوى ميدانى.

وهكذا الكلام فى العقيدة بالإمام المهدى (ع) فهى إحدى عقائد مدرسة أهل البيت المهمّة وعموم المسلمين، فليست هى عقيدة قلبية بين الفرد ونفسه أو تبقى حبيسة السطور وإنما هى عقيدة فعلية عملية اجتماعية لها تداعياتها وتموجاتها التى تبنى صرح الدولة الإسلاميّة الصحيحة المستقيمة وفى نفس الوقت تهدم كل مخططات الكفر والكافرين.

وقد ذكرنا سابقاً أن هناك كتاباً خطيراً للخبير والباحث الستراتيجى فرانسوا توال باسم الجغرافية السياسية للشيعة إذ يتعرّض فيه لعقيدة الإمام المهدى (ع) ويقول فيه: (إن عقيدة الإمام المهدى عند الشيعة ليست عقيدة تجريدية جمودية بل هى عقيدة مشروع دولى عولمى اممى) ويضيف هذا الكاتب القول: (والمشكلة أن هذا الطموح الخطير لا نجده فى أىّ ملّة ولا نحلة ولا جماعة أخرى) ثمّ يحذّر بالقول: (فلذلك يجب على المراقبين الدوليين أن يلتفتوا إلى خطورة هذه العقيدة فإنّها ليست عقيدة وحسب، بل هى مشروع عالمى متكامل. لاسيّما أن هذا المشروع أكبر شعار لكل مؤمن بالعدالة وهو العدالة المطلقة)، ومعلوم أن العدالة هى أنشودة كل البشرية على طول التاريخ، إذ مذهب أهل البيت يحمل شعار العدالة المطلقة وينفى العرقية والعشائرية والتميز الطبقى

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ۵۴۵

والاجتماعى ... والمقياس هو: «كلكم لآدم وآدم من تراب» («١»)، و إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقاكُمْ («٢») وهذه ليست موجودة فى المدارس الإسلاميّة، الأخرى بل ولا الملل والنحل الأخرى.

إذاً نحن لا بدَّ أن نتحمّل المسؤولية إذا كنّا ننتظر الظهور، وذلك بأن نسعى للاعداد للظهور وهذا الإعداد لا يكون إلّا بوسيلة وحيدة وهى الأولى والأخيرة فى تحقيق الظهور وهى نشر مذهب وعقائد أهل البيت، لأن نشر مذهب أهل البيت يعنى نشر شروط وقواعد العدل ونظم العدل الحقيقى وكيفية برمجة العدل والعدالة والحرية والقسط والقسطاس فإنّ أبرز مهام الإمام (ع) عند ظهوره ونهضته وإقامة دولته هى أن يملأ الأرض قسطاً وعدلًا.

فإنّ هذه الميزات هى من خصائص ومنهاج آبائه وأجداده الأئمّة الطاهرين (عليهم السلام) وهنا أكبر برهان قانونى واجتماعى على كون نشر مذهب أهل البيت هو طريق الإعداد للظهور حيث يقول علماء القانون وعلماء الاجتماع وعلماء العلوم السياسية الأكاديمية أنه إذا اريد تطبيق نظام معيّن وإقامته على الواقع الخارجى فلا بدَّ أوّلًا وفى الدرجة الأساس من تثقيف المجتمع على تعاليم ذلك النظام، بل لا بدَّ من التشدد فى تعليمهم ذلك النظام نظرياً أى لا بدَّ من التهيئة النظرية والتى هى عبارة عن الاعتراف والاعتقاد بذلك النظام أوّلًا ومعرفة بنوده وإرشاداته...

وهكذا فى دولة الإمام (ع) فإنّ المنشود منها هو إقامة دولة الحق والتى هى على طبق منهج أهل البيت فلا بدَّ أوّلًا من التهيئة والإعداد

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ۵۴۶

لذلك بأن يعتنق الناس مذهب الحق ومعرفة عقائده وإرشاداته وبنوده وأمثليته وأمثولته الموجودة فى الكمال كى تأتى المرحلة الثانية وهى التطبيق العملى وإنجاز العمل وهو الظهور.

إذاً مرتبة الإعداد والتهيئة وطلب وانتظار الظهور هى المعرفة النظرية لكافة البشر بأن مشروع الإمام المهدى ودولة الظهور هو الأحق والأكفأ والأجدر والأمثل فى معالجة مشاكل البشر من الظلم والفساد، فحينئذٍ بهذه الطريقة نمهد لظهور الإمام (ع) وإقامة الدولة

المباركة وبسطها على العالم ولا نتصور من دون ذلك تحقق انتصار الإمام وإقامة الدولة إلّا بالمعجزة أو الطفرة، ولكن الله تعالى أبى إلّا أن تكون الأمور بأسبابها ومسبباتها وليس بالمعجزة، كما أن الطفرة باطلة ومخالفة للقوانين والقواعد العقلية، وقد تقدم أن أولى القواعد الرقابية على الحجج هى بديهيات العقل وبديهة العقل تقضى أن لكل مسبب سبباً فلا بدَّ أن تكون دولة الإمام (ع) وفق أسبابها ومقدماتها لا بالطفرة.

وعليه فمسؤولية الانتظار هى الإسهام والعمل والنصرة المؤكّدة للإمام (ع) من خلال نشر مذهب ومنهج أجداده المعصومين لأنه (ع) سيكون مقيماً لكتاب الله ومحيياً لسُنّة رسوله (ص) ومطبقاً لمنهاج وسنن الأئمّة المعصومين (عليهم السلام)، وهذه المهمّة لا تكون إلّا بتقديم المعرفة النظرية لمذهب أهل البيت (عليهم السلام) وهذه الخطوة من التثقيف والإعداد بنشر عقائد أهل البيت هى التى يحذّر منها فرانسوا توال فى كتابه (الجغرافية السياسية للشيعة) الذى كتبه قبل ست سنوات حيث يقول: (إن أخطر ما فى هذه العقيدة أنها بالإمكان أن تنتشر بين الشعوب والدول بين ليلة وضحاها وأخوف ما أنبه عليه المسؤولين الدوليين أن هذه

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٥٤٧

العقيدة لا تحتاج فى انتشارها إلى مؤونة لأنها تحمل شعاراً تنشده كل الأمم والشعوب وهو الحرية والعدالة المطلقة).

ويضيف هذا الكاتب: (إنّى اقدّر سرعة انتشار هذه الدعوة بأن تكون أسرع من انتشار الشيوعية والاشتراكية) فهو يخاف من سرعة انتشارها لأنها دعوة حق وعدل، والناس متعطّشة لذلك فما أسرع اعتناق الشعوب لهذه المبادئ السامية والنبيلة فى مذهب أهل البيت، وهذا يحتاج للعمل وتحمل المسؤولية فى النشر والتثقيف وإيصال العقائد للشعوب كى ينخرطوا فى اعتناق مذهب الحق.

ولذلك فإنّ الغربيين والملحدين وأصحاب الفكر المنحرف من بعض الديانات لما اكتشفوا مكامن الخطر المحدق بهم وبرئاساتهم وعروشهم بدأوا الحرب ضد دولة الإمام (ع) قبل قيامها وذلك من خلال عرقلة مقدمات إقامتها فحاولوا ويحاولون تبديد طاقات المؤمنين فى دعاوى ضالة تحيد بهم عن الطريق ونشر الخزعبلات والأساطير والخرافات والهلوسات التى لا تمتّ بأىّ صلة لمذهب أهل البيت (عليهم السلام) فيروجون كل تلك المعرقلات للحدّ من انتشار مذهب أهل البيت (عليهم السلام) بل ويدخل عملهم أحياناً فى مسار التثقيف السلبى لفكر أهل البيت (عليهم السلام) وهذا أخطر عدو.

فإذاً الأمر مهم جدّاً وحساس وخطير، وهناك ألاعيب وتدابير خلف الكواليس تحاك، وهناك نشر لتعاليم زائفة باطلة عن الإمام ودولته وثقافته وحكمه. ولكن لا بدَّ لنور الله أن يشع ويملأ الأرض، قال تعالى: يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِؤُا نُورَ اللَّهِ بِأَفْواهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكافِرُونَ («١»).

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٥٤٨

وهذه الآية تعتبر دليلًا آخر على أن طريق تمهيد الظهور هو نشر مذهب أهل البيت (عليهم السلام) فإنّ معنى انتشار نور الله هو انتشار لمعتقدات أهل البيت، وهكذا فى قوله تعالى: هُوَ الَّذِى أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ («١») فإنّ الاظهار يحصل باعتناق الناس للإسلام بحقيقته وهى الإيمان وهو مذهب أهل البيت وليس الإسلام بظاهره القشرى، وهذا لا يكون إلّا بانتشار تعاليم مدرسة أهل البيت (عليهم السلام).

فإنّ قمّة إنجازات دولة الإمام (ع) هو نشر الهداية فى كافة أرجاء الأرض، فالنتيجة تعتمد على استراتيجية دولة الإمام المهدى (ع) ونحن إذا أنجزنا هذه الخطوة وهى نشر التعاليم النظرية فى العالم، فكأنما نحن أنجزنا غاية الإنجازات للدولة بعد الظهور فكيف لا يسهم نشر مذهب أهل البيت فى الظهور وهو يعتمد على نفس استراتيجية دولة ما بعد الظهور بل نشر تعاليمهم ومناهجهم هو عمدة العماد للظهور.

وقد يتوهّم البعض استناداً إلى فهم خاطئ من بعض الروايات التى تقول كما يشيع ويساعد على ذلك أعداء أهل البيت تقول: إن الإمام يظهر ليملأ الأرض عدلًا وقسطاً كما ملأت ظلماً وجوراً («٢»).

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۵۴۹

فإنّهم يتوهّمون أن الإمام (ع) يظهر إذا امتلأت الأرض بالفساد والجور والظلم و ... فلا بدَّ من انتشار الفساد لا الصلاح والهداية وهذه من المغالطات التى يروّج لها الأعداء.

وإنما المراد بذلك أمر بين أمرين فمعنى امتلاء الأرض بالفساد والجور يعنى مجتمع معسكر الفساد فى قطب مقابل تجمع معسكر الإعداد للظهور فى قطب آخر، أى فإنّ الأرض كما ملئت ظلماً وجوراً فهى مستعدّة بعد نشر العقائد الحقّة لكى تكون أرضاً خصبة للظهور وامتلائها عدلًا وقسطاً وإلّا فلو امتلأت الأرض كلها بالفساد فكيف ينتصر الإمام وكيف تكون له القيادة والريادة، فهو نظير إرادة انتخاب شخص للرئاسة ونحن نقول لجميع الناخبين لا تنتخبوه؟!

ومما يؤيّد ويساعد على أن الإعداد إنما يكون بنشر المذهب الحق ما ورد من روايات تبيّن أماكن ظهور أنصار الإمام (ع) ال- (۳۱۳) فإنّها تبيّن أماكن مختلفة من الهند والصين وأوربا واليابان فهم من كل نقاط العالم وليس من الشرق الأوسط فقط، فكيف يخرج أولئك ما لم ينتشر عندهم مذهب أهل البيت (عليهم السلام).

كما يؤيّد ذلك روايات الملاحم حيث تذكر أن هناك راية فساد معادية واحدة وهى راية السفيانى فى قبال عدّة رايات إصلاح وتمهيد ونصرة كاليمانى والخراسانى وراية من المغرب وأن هناك رايات متعدّدة موالية لأهل البيت (عليهم السلام) فإنّ درجات الموالاة تختلف، وهذا يدلل على أن أكثر العالم يكونون على وعى وإدراك واقتناع بتعاليم دولة الظهور، نعم هناك قلّة تبقى على الضلال وتدخل فى راية السفيانى وتكون معادية لمذهب أهل البيت.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۵۵۰

فمقتضى الضروريات ومقتضى الإصلاح والمنطق السليم هو أن الإعداد للظهور هو نشر العقائد الحقّة وليس الفساد، فإنّ ما ينشده العالم اليوم من الحداثة والعولمة وحقوق الإنسان والإصلاح والسلم والمساواة و ... كل ذلك تحت عنوان مشروع إصلاحى عالمى منقذ هذا لا ينسجم ولا يتوافق إلّا مع مذهب أهل البيت دون غيره من الأديان والمذاهب الأخرى قاطبة، فهذه المضامين فى العناوين المطروحة على الساحة العالمية عبارة عن دروس ومضامين لا تتّفق مع المسيحية ولا اليهودية ولا المذاهب الإسلاميّة الأخرى فضلًا عن البوذية والهندوسية وكل الأديان المنحرفة الأخرى، وهذا من الملاحم الأديانية الإعجازية أن تنتشر هذه الثقافات والعناوين التى تحتوى بنود منهاج الإسلام عند أهل البيت (عليهم السلام)، لكن لا بدَّ من الإعانة والإسهام فى انتشارها الصحيح وليس الانتشار السلبى والتوظيف المصلحى الهدّام، كما تفعل الدول العظمى حيث تستغل هذه العناوين فى تحقيق أهدافها وأغراضها التى هى فى حقيقتها مخالفة لواقع هذه العناوين.

فالأنظمة الدكتاتورية والمنحرفة والمادية و ... فى نفس الوقت الذى تنشر الفساد هم مضطرون للترويج لهذه الثقافات على نحو المطالب المستقبلية والتأمل فى المستقبل المنشود و ... وهذا ما يساعد على استغلال ذلك لنشر الثقافة الصحيحة وبيان أن المشروع الإصلاحى والمنقذ الوحيد المحقق لتلك العناوين المنشودة، والمطبّق لها على الواقع هو منهاج أهل البيت (عليهم السلام).

والحاصل أنه لا بدَّ لنصرة الإمام من إعداد القاعدة الجماهيرية وليس الكلام عن وزرائه الثلاثمائة وثلاثة عشر وإنما الكلام عن القاعدة

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۵۵۱

الواسعة على الأرض وهى الجماهير فلا بدَّ أن يكونوا على مستوى من الوعى والثقافة المهدوية والعلم ببنود وأهداف دولة الإمام ليكونوا عمود قيام تلك الدولة ضد الظلم والظالمين.

لذا فإنّ الانتظار الحقيقى والانتصار والعون الأكبر فى نصرة الإمام المهدى (ع) وطريق الإعداد الوحيد لمشروع الظهور هو نشر منهاج وطريقة وعقيدة أهل البيت (عليهم السلام).

ومن يحاول التحايل على ذلك فليعلم أنه إما يدجّل أو دُجل به وإما يكذب أو كُذب عليه وإما ضل أو ضلل به، لأن إعاقة نشر مذهب

أهل البيت (عليهم السلام) هى إعاقة لمشروع الظهور لا- محالة فى حين أن أكبر وأقوى سلاح لعون ونصرة الإمام (ع) ولمشروع الظهور هو نشر معارف وعقائد وتعاليم مذهب أهل البيت (عليهم السلام) بسداد وصواب وشفافية وبلا أىّ تحريف وتلويث، لأن مشاريع وعقائد أهل البيت (عليهم السلام) هى مشاريع مناهضة للظلم، وهكذا هو مشروع دولة الإمام (ع).

إذاً عقيدة أهل البيت (عليهم السلام) هى عقيدة مشاريع وهى فى المآل ومنتهى المطاف هى مشروع الإصلاح وإقامة العدل والحريّة أما إذا لم نستطع أن ننشر تعاليم أهل البيت (عليهم السلام) فى أرجاء الأرض فلا نتوقع الظهور ولا يمكن أن نوقّت له فإنّه كلما تلكّأ انتشار مذهب أهل البيت (عليهم السلام) كلما تلكّأ وتأخّر الظهور ولا ريب ولا شكّ بذلك حسب الروايات، فإنّ أصل معنى راية اليمانى ورايةِ الخراسانى وغيرها رايات مناصرة لأهل البيت (عليهم السلام) فى قبال رايةِ واحدة معاديةِ وهذا يعنى أن القاعدة الجماهيرية تهتف بأهل البيت (عليهم السلام) والعالم بأكمله قد استجاب لنداء أهل البيت (عليهم السلام) وصاروا محبّين لهم ومتبعين لتعاليمهم وأن هناك قلّة

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٥٥٢

قليلة ترفع راية ضد مشروع الظهور والذى يعنى أن عقيدة ومنهج أهل البيت (عليهم السلام) انتشر فى جميع العالم.

وعليه فهذه علامة واضحة وتوقيت لا- لبس فيه، بل وعلامة حتمية من الأئمّة (عليهم السلام) وهى أنه إذا انتشر منهاج أهل البيت وعقائدهم وتعاليمهم فقد حان وأزف الظهور فإذا والى المسلمون أهل البيت (عليهم السلام) لاسيّما فى بقاع المسلمين لأنها هى منطلق الظهور فقد حان الظهور.

وأما إذا لم ينتشر مذهب أهل البيت بل كان الناس على عداء لهم والعياذ بالله، أو كانوا على قطيعة وبعد من أهل البيت (عليهم السلام) وكانوا يبغضونهم وينفرون من مذهبهم (عليهم السلام) فهذا يعنى تأخّر الظهور قطعاً.

وعليه فهذه علامة حتمية بأيدى الناس يستطيعون تحقيقها وإنجازها ومن خلالها العلم واستعلام الظهور.

فعندما تذكر الروايات أن من أفضل العبادات انتظار الفرج كما عن أمير المؤمنين (ع) قال: قال رسول الله (ص): «أفضل العبادة انتظار الفرج» («١»)، وعن على بن الحسين (ع) قال: «تمتد الغيبة بولى الله الثانى عشر من أوصياء رسول الله (ص) والأئمّة بعده، يا أبا خالد إن أهل زمان غيبته، القائلون بإمامته المنتظرون لظهوره أفضل أهل كل زمان لأن الله تعالى أعطاهم من العقول والأفهام والمعرفة ما صارت به الغيبة عندهم بمنزلة المشاهدة وجعلهم فى ذلك الزمان بمنزلة المجاهدين بين يدى رسول الله (ص) بالسيف أولئك المخلصون حقاً وشيعتنا صدقاً والدعاة إلى دين الله سراً وجهراً» («٢»).

وإن الانتظار صفة المؤمنين الموالين فإنّ للانتظار أدبيات

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٥٥٣

وواجبات فقد اتّضح أنه من واجبات الانتظار والمنتظر هو السعى لنشر منهاج أهل البيت (عليهم السلام) وأن يكون مترقّباً من خلال نصرة الإمام والنصرة لا تكون إلّا بنشر عقائد وتعاليم سبيل الحق من مذهب أهل البيت (عليهم السلام).

لذا فالذى يكون ناصراً ومنتظراً ومترقباً لأهل البيت ولدولتهم وللمهدى (ع) هو من ينشر مذهب الحق وليس من يحرّف ويعرقل مذهب أهل البيت ويدخل الأساطير والخزعبلات والخرافات و ... فإنّ ذلك لا تستجيب له الفطرة البشرية وعليه فأعداء أهل البيت من الظلمة والطواغيت و ... تجدهم يمنعون نشر مذهب أهل البيت (عليهم السلام) وذلك من خلال خلق التيارات المنحرفة ونشر الأساطير الباطلة ونحوها.

وهذا لا ينطلى إلّا على السذج والبسطاء وإلّا فإنّ منهاج أهل البيت (عليهم السلام) هو مذهب المنطق والبرهان والدليل والبيان والعقل والعقلانية الذى تهتف به كل فطرة البشر وهو الذى يخافه أعداء أهل البيت (عليهم السلام).

إذاً طريق الظهور والتوقيت له بعلاماته الحتمية، ومسؤولياته هى الانتظار والوظيفة العملية للمؤمنين فى زمن الغيبة هو السعى لتثقيف

البشرية بثقافة السداد والصواب والحق والهداية والنور وذلك بنشر عقائد مدرسة أهل البيت (عليهم السلام).

فهذا هو السبيل الوحيد لتقريب الظهور وتوقيته وهو العلامة الحتمية على ذلك، فإنّ الروايات بيّنت أن ضابط الظهور هو مناصرة غالب المسلمين وموالاتهم لأهل البيت (عليهم السلام)، فإنّ ذلك هو أرضية الظهور وهى مسؤولية الانتظار.

وليس كما يبيّن بعض الدجّالين والمضلّين بأن يعيثوا فى الأرض

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٥٥٤

فساداً فى مقابل السداد والتقوى فى منهاج أهل البيت (عليهم السلام) فيذكر بعض المزيّفين والدجّالين أساليب وألاعيب فى الدين ويترك كل تعاليم الدين والعبث بالضروريات والسنن بدعوى أنه إذا انتشر الفساد فى الأرض فإنّ الإمام يظهر لدفع ذلك.

ولكن من الواضح والجلى جدّاً أن هذا من ألدّ أعداء أهل البيت وأشدّ المعوقين والمانعين للظهور وإقامة دولة الحق وإلّا فقد بيّنا أن تأويل مغزى الروايات هو أن أغلب الرايات التى تظهر هى مناصرة للإمام (ع) وما ذلك إلّا بمعنى انتشار عقيدة أهل البيت (عليهم السلام) وكون أغلب البشرية من الموالين والمحبين لهم (عليهم السلام).

فلا بدَّ أن تكون الأرضية مؤاتية للظهور ولا تكون كذلك إلّا بنشر مذهب أهل البيت (عليهم السلام) لا بنشر الفساد والضلال ومعاداة أهل البيت (عليهم السلام).

التوقيت والتفاؤل ...: ص: ٥٥٤

الإنسان تارة يعتقد بشىء فيه الخير له ولعموم الناس فلا بأس أن يتفائل به، بمعنى أن يرجوه ويطلبه من الله تعالى ويتوقّع وينتظر قرب تحققه، ولا ريب أنّا نعتقد الخير بل كل الخير فى ظهور الإمام صاحب العصر والزمان لينشر الحق والعدل وإقامة دولته الكريمة المباركة، فلا بأس أن نتفائل بذلك ونرجوه من الله تعالى.

ولكن إيّانا أن يكون ذلك الطلب منّا بالتوقيت بمعنى أن نحتّم ادّعاء شىء على الله تعالى، فإنّ ذلك ممنوع بنصّ كثير من الروايات منها:

عن إسحاق بن يعقوب، قال: سألت محمّد بن عثمان العمرى (رض) أن يوصل لى كتاباً قد سألت فيه عن مسائل أشكلت علىَّ فورد (ت

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٥٥٥

فى) التوقيع بخط مولانا صاحب الزمان (ع): «أما ما سألت عنه أرشدك الله وثبتك »، ... إلى أن يقول: «وأما ظهور الفرج فإنه إلى الله تعالى ذكره، وكذب الوقّاتون» («١»)، وعن أبى بصير عن أبى عبد الله (ع) قال: قلت له: جُعلت فداك متى خروج القائم (ع)؟ فقال: «يا أبا محمّد إنّا أهل بيت لا نوقّت وقد قال محمّد (ص): كذب الوقّاتون، يا أبا محمّد إن قدام هذا الأمر خمس علامات أولاهن النداء فى شهر رمضان، وخروج السفيانى، وخروج الخراسانى، وقتل النفس الزكية وخسف بالبيداء» («٢»)، لأن الظهور أمر استأثر به الله تعالى وادّعاء العلم به كذب وافتراء وتعدّى لحدود الله.

وببيان آخر: أنه عندنا قيامة صغرى وهى ظهور الإمام وقيامة وسطى وهى دولة الرجعة وقيامة كبرى وهى المعهودة للأذهان، لذلك فإنّ ظهور الإمام (ع) نوع من الغيب قال تعالى: هُوَ الَّذى أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدى وَدينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ («٣»)، وقال تعالى: يَسْئَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْساها قُلْ إِنَّما عِلْمُها عِنْدَ رَبِّى لا يُجَلِّيها لِوَقْتِها إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِى السَّماواتِ وَالْأَرْضِ لا تَأْتيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْئَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْها قُلْ إِنَّما عِلْمُها عِنْدَ اللَّهِ وَلكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ («٤»)، وهذه الساعة لها ثلاث مراحل: صغرى ووسطى وكبرى.

وهذا لا يمنع التوقيت من المعصومين (عليهم السلام) سواء أكان التوقيت بمعنى الحالة أم بمعنى التوقيت الزمانى المشروط أو المعلق

لأنهم (عليهم السلام)

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۵۵۶

خارجون تخصصاً عن هذا المنع إذ هذا المنع من التوقيت هو منع شرعى وعقلى، أما الشرعى فبمقتضى الروايات، وأما العقلى فلأن الظهور أمر غيبى استأثره الله لنفسه، نعم ذكر لذلك علامات حتمية وغير حتمية لكن البداء يمنع ذكر زمان معيّن محدّد له، فالظهور أمر تابع ومرتبط باللوح والقضاء والقدر وما ينزل من بداء ... لذا لم نجد فى الروايات المؤقّتة أىّ تحديد زمانى تقويمى ولا يمكن لأحد ادّعاءه والأئمّة (عليهم السلام) لم يوقّتوا بالتوقيت الزمانى المطلق بل بالتوقيت العلامى أى هناك علامات إذا تحقّقت بقيت إرادة الله فقط.

أما التوقيت من غير المعصوم فممنوع وغير مقبول بجميع أنواعه وأشكاله لأن الظهور المبارك يبقى فى علمه تعالى ومن أطلعه عليه وهم فقط الأئمّة المعصومون، وهذا نظير الكثير من الأسباب والمسببات التى بينها فى منظومة دينه ولكنه تعالى احتفظ بتقسيم ذلك كالأعمار والأرزاق و ... فإنّها تتأثّر وتتغيّر وفق معادلات دقيقة من الصدقة وصلة الرحم و ... و ... فإنّه تعالى يقول: يَمْحُوا اللَّهُ ما يَشاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ امُّ الْكِتابِ («۱») إذ لم يبعث الله نبياً من الأنبياء إلّا وأخذ عليه الإيمان بالبداء لكن لا بمعنى الجهل فى الساحة الربوبية وإنما بمعنى أنه لله أن يفعل ما يشاء قضاءً مبرماً وينسخ الله ما يشاء ضمن حكمته تعالى وعلمه الغالب فلا يمكن أن تحتّم شيئاً على الله تعالى ما دام البداء موجوداً.

وهذا لا يمنع من تحقيق مقتضيات الانتظار والترقب كما تقدّم بل لا مانع من متابعة العلامات المبيّنة فى الروايات فإن تحقّقت فنتوقّع

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۵۵۷

ونتأمل الظهور بإرادته تعالى لا بالتوقيت إذ لا بأس بأن نتفائل بشىء بعد تحقيق أسبابه ومقدماته وأن لا نحتّم شيئاً عليه تعالى أو ادّعاء العلم به، أما من يدّعى العلم به فإما أن يدّعى أنه عنده علم الله وإما أن يدّعى الألوهية من حيث يشعر أو لا يشعر والعياذ بالله من الضلال والمضلّين وقد تقدّم أن أكبر أسباب الظهور هو انتشار منهاج أهل البيت (عليهم السلام) بين الأمم.

وفقنا الله وإيّاكم لأن نكون من أنصاره ومنتظريه والمترقّبين لدولته (ع) وممن يقوم بالواجب والمسؤولية تجاهه ويحمل على عاتقه مثل هذه العقيدة ببصيرة نافذة وصلى الله على محمّد وآله الطاهرين («۱»).

***

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۵۵۹

مصادر التحقيق ... ص: ۵۵۹

القرآن الكريم.

الاختصاص: الشيخ المفيد/ ت علىّ أكبر غفارى/ جماعة المدرسين/ قم.

الأمالى: الشيخ المفيد/ ت أستاد ولى/ علىّ أكبر غفارى/ جماعة المدرسين/ قم.

الأمالى: الشيخ الصدوق/ ت قسم الدراسات/ قم/ ط ۱/ ۱۴۱۷ ه-/ مؤسسة البعثة.

الأمالى: السيد المرتضى/ نشر مكتبة المرعشى النجفى/ قم/ ۱۴۰۳ ه-.

أعيان الشيعة: السيد محسن الأمين/ دار التعارف للمطبوعات/ بيروت.

الاعتقادات فى دين الإمامية: الشيخ الصدوق/ ط ۲/ نشر دار المفيد/ ۱۴۱۴ ه-.

أجوبة المسائل المهنائية: العلّامة الحلى.

الإختصاص: الشيخ المفيد/ جماعة المدرسين/ قم.

إختيار معرفة الرجال: الشيخ الطوسى/ مؤسسة آل البيت (عليهم السلام)/ قم/ ١۴٠۴ ه-.

الإحتجاج: الطبرسى/ مطبعة النعمان/ النجف الأشرف/ ١٣۶٨ ه-.

إعلام الورى: الطبرسى/ مؤسسة آل البيت لإحياء التراث/ قم/ ط ١/ ١۴١٧ ه-.

الإرشاد: الشيخ المفيد/ مؤسسة آل البيت لإحياء التراث/ قم.

الأسرار الفاطمية: المسعودى/ رابطة الثقافة الإسلامية/ لندن/ ١۴٢٠ ه-.

أنوار الملكوت فى شرح الياقوت: العلّامة الحلى.

أنيس الموحدين: الملّا مهدى النراقى.

أوائل المقالات: الشيخ المفيد: دار المفيد/ الطبعة الثانية/ بيروت ١۴١۴ ه-.

البابيون والبهائيون: د. همتى.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ۵۶٠

بحار الأنوار: المجلسى/ مؤسسة الوفاء/ بيروت/ ١۴٠٣ ه-..

البرهان فى علامات مهدى آخر الزمان: المتقى الهندى/ مطبعة الخيام/ قم.

البداية والنهاية: ابن كثير الدمشقى/ ط ١/ ١۴٠٨ ه-/ مط دار إحياء التراث العربى.

البيان فى تفسير القرآن: السيد الخوئى/ دار الزهراء/ بيروت/ ط ۴/ ١٩٧۵ م.

تاج العروس: محمد مرتضى الحسينى الواسطى الزبيدى.

تاريخ أصفهان: الحافظ الأصفهانى.

تجريد الإعتقاد: نصير الدين الطوسى/ ط: مؤسسة النشر الإسلامى/ قم/ ١۴٠٧ ه-.

تحف العقول عن آل الرسول (ص): ابن شعبة الحرانى/ ت علىّ أكبر غفارى/ ط ٢/ ١۴٠۴ ه-/ جماعة المدرسين/ قم.

التفسير الكبير: الفخر الرازى.

تفسير البحر المحيط: محمّد بن يوسف الأندلسى الجيانى.

تفسير العياشى: العياشى/ المكتبة العلمية الإسلاميّة/ طهران/ ١٣٨٠ ه-.

تفسير القمى: على بن إبراهيم/ مؤسسة دار الكتاب/ قم/ الطبعة الثالثة/ ١۴٠۴ ه-.

تفسير البرهان: البحرانى.

تفسير ابن كثير: ابن كثير الدمشقى/ دار المعرفة/ بيروت/ ١۴١٢ ه-.

تهذيب الأحكام: الشيخ الطوسى/ دار الكتب الإسلاميّة/ طهران.

جامع أحاديث الشيعة: السيد البروجردى/ المطبعة العلمية/ قم/ ١٣٩٩ ه-.

الجغرافية السياسية للشيعة: فرانسو توال.

خاتمة المستدرك: النورى الطبرسى/ ت مؤسسة آل البيت/ قم/ ط ١/ ١۴١۵ ه-..

الخرائج والجرائح: قطب الدين الراوندى/ مؤسسة الإمام المهدى/ قم.

الدر المنثور: جلال الدين السيوطى/ ط ١/ ١٣۶۵ ه-/ مط الفتح جدة/ دار المعرفة.

دلائل الإمامة: الطبرى (الشيعى)/ مؤسسة البعثة/ قم/ ١۴١٣ ه-.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ۵۶١

رجال النجاشى: النجاشى/ ت الزنجانى/ ط ۵/ ١۴١۶ ه-/ جماعة المدرسين/ قم.

رجال الكشى: الكشى/ طبع مؤسسة أهل البيت (عليهم السلام).

رسائل فى الغيبة: الشيخ المفيد/ تحقيق: علاء آل جعفر.

رسائل المرتضى: الشريف المرتضى/ نشر دار القرآن الكريم/ قم/ ١۴٠۵ ه-..

رسالة فى أصول الدين: المحقق القمى.

روضة الكافى: الكلينى/ دار الكتب الإسلاميّة/ طهران (الطبعة الثالثة)/ ١٣٨٨ ه-.

روضة الواعظين: محمد بن الفتال النيسابورى/ منشورات الرضى/ قم.

رجال أبى داود: الحسن بن على بن داود الحلى/ المطبعة الحيدرية/ النجف ١٣٩٢ ه-.

رجال النجاشى: النجاشى/ جماعة المدرسين/ قم/ ١۴٠٧ ه-.

سر السلسلة العلوية: أبو نصر البخارى/ المطبعة الحيدرية/ النجف ١٣٨١ ه-.

شرح إحقاق الحق: السيد المرعشى النجفى/ مكتبة آية الله المرعشى/ قم.

شرح الأخبار: القاضى النعمانى المغربى/ مؤسسة النشر الإسلامى/ قم.

شرح الفصوص: القيصرى.

شرح أصول الكافى: المازندرانى/ دار إحياء التراث العربى/ بيروت/ ١۴٢١ ه-.

صحيح البخارى: محمّد بن إسماعيل البخارى/ مط دار الفكر بيروت.

صحيح مسلم: مسلم ابن الحجاج النيسابورى/ دار الفكر بيروت.

صحيفة المهدى: جواد القيومى الأصفهانى/ مؤسسة النشر الإسلامى/ ط ٢/ قم.

الصواعق المحرقة فى الرد على أهل البدع والزندقة: ابن حجر العسقلانى.

عيون أخبار الرضا (ع): الصدوق/ مؤسسة الأعلمى/ بيروت/ ١۴٠۴ ه-.

العرائس: الثعلبى.

عوالى اللئالى: ابن أبى جمهور الاحسائى/ الطبعة الأولى/ ١۴٠٣ ه-/ قم.

عمدة القارئ: العينى.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ۵۶٢

عيون أخبار الرضا (ع): الصدوق/ الأعلمى/ بيروت ١۴٠۴/ ت حسين الأعلمى.

الغيبة: الطوسى/ مؤسسة المعارف الإسلاميّة/ الطبعة المحققة الأولى/ ١۴١١ ه-..

الغيبة: النعمانى/ مكتبة الصدوق/ طهران.

غريب الحديث: الهروى/ دائرة المعارف العثمانية/ ط ١/ ١٣٨۴ ه-..

الغرر والدرر: السيد المرتضى.

فرق الشيعة: النوبختى.

فقه الرضا: المنسوب للإمام الرضا/ مؤسسة آل البيت/ قم/ ط الأولى ١۴٠۶ ه-..

القصص: الميرزا التنكابنى.

كامل الزيارات: ابن قولويه القمى/ ت القيومى/ ط ١/ ١۴١٧/ مؤسسة النشر الإسلامى.

كمال الدين وتمام النعمة: الصدوق/ مؤسسة النشر الإسلامى/ قم/ ١۴٠۵ ه-.

كشف الغمة فى معرفة الأئمة: الأربلى/ ط ٢/ ١۴٠۵ ه-/ دار الأضواء/ بيروت.

كشف المراد فى شرح تجريد الاعتقاد: العلامة الحلى/ مؤسسة النشر الإسلامى/ قم/ ۱۴۱۷ ه-.

كشف الغطاء: الشيخ جعفر كاشف الغطاء/ منشورات مهدوى/ إصفهان.

كنز الدقائق: الميرزا محمد المشهدى/ مؤسسة النشر الإسلامى/ قم/ ۱۴۰۷ ه-.

كنز الفوائد: أبو الفتح الكراجكى.

لؤلؤة البحرين: الشيخ يوسف البحرانى.

اللهوف فى قتلى الطفوف: السيد علىّ بن طاووس/ ط ۱/ ۱۴۱۷ ه-/ مط مهر.

المحاسن: أحمد بن محمّد البرقى/ ت جلال الدين الحسينى/ دار الكتب الإسلاميّة.

المزار: الشهيد الأوّل/ تحقيق ونشر مدرسة المهدى (ع)/ قم/ ط: الأولى ۱۴۱۰ ه-.

المزار: الشيخ المفيد/ ط ۱/ مط مهر/ قم/ تحقيق ونشر مدرسة الإمام المهدى (ع).

المزار: محمد بن المشهدى/ مؤسسة النشر الإسلامى/ قم/ الطبعة الأولى/ ۱۴۱۹ ه-.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۵۶۳

مشارق أنوار اليقين: رجب البرسى/ مؤسسة الأعلمى/ بيروت/ ۱۴۱۹ ه-.

معجم رجال الحديث: السيد الخوئى/ الطبعة الخامسة/ ۱۴۱۳ ه-.

معجم أحاديث الإمام المهدى: مؤسسة المعارف الإسلاميّة/ قم/ ط ۱/ ۱۴۱۱ ه-.

مفاتيح الجنان/ الشيخ عبّاس القمى/ الطبعة الأولى/ قم/ ۱۴۲۱ ه-.

مجمع البحرين: فخر الدين الطريحى.

مجمع البيان: الطبرسى/ مؤسسة الأعلمى/ بيروت/ الطبعة الأولى/ ۱۴۱۵ ه-.

معانى الأخبار: الشيخ الصدوق/ ت علىّ أكبر غفارى/ ط ۱۳۶۱ ه-/ انتشارات إسلامى.

معجم رجال الحديث: السيد الخوئى/ ط ۵/ ۱۴۱۳ ه-/ ت لجنة.

معالم العلماء: ابن شهر آشوب.

مجمع الزوائد: الهيثمى/ دار الكتب العلمية/ بيروت/ ۱۴۰۸ ه-.

مصباح الشريعة: الإمام جعفر الصادق (ع)/ مؤسسة الأعلمى/ بيروت/ ۱۴۰۰ ه-.

مصباح المتهجد: الشيخ الطوسى/ مؤسسة فقه الشيعة/ بيروت/ ۱۴۱۱ ه-.

مصباح البلاغة: حسن المير جهانى الأصفهانى/ ۱۳۸۸ ه-.

مستدرك الوسائل ومستنبط الوسائل: النورى/ مؤسسة آل البيت/ ط ۱/ ۱۴۰۸ ه-.

مسند أحمد: الإمام أحمد بن حنبل/ طبع ونشر دار صادر/ بيروت.

مشكاة الأنوار: أبو الفضل على الطبرسى/ دار الحديث/ قم/ الأولى.

من لا يحضره الفقيه: الصدوق/ جماعة المدرسين/ قم/ ط ۲/ ۱۳۹۲ ه-.

المقالات والفرق: سعد بن عبد الله بن أبى خلف الأشعرى القمى.

الملل والنحل: الشهرستانى/ دار المعرفة/ بيروت.

مكارم الأخلاق: الشيخ الحسن بن الفضل الطبرسى/ الطبعة السادسة/ ۱۳۹۲ ه-.

الملاحم والفتن: ابن طاووس/ مؤسسة صاحب الأمر/ قم/ ط: الأولى ۱۴۱۶ ه-.

مناقب آل أبى طالب: ابن شهر آشوب/ ت مجموعة ط ۱۳۷۶/ مط الحيدرية/ النجف.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۲، ص: ۵۶۴

منتخب الأثر: لطف الله الصافى الكلبايكانى/ مكتب المؤلف/ ط ۱/ ۱۴۲۲ ه-.

الميزان فى تفسير القرآن: السيد الطباطبائى/ مؤسسة النشر الإسلامى/ جماعة المدرسين/ قم.

ميزان الحكمة: محمّد الرى شهرى/ دار الحديث/ قم/ الطبعة الأولى.

نهج البلاغة: خطب الإمام علىّ (ع)/ ت محمّد عبده/ الناشر دار المعرفة/ بيروت.

النور المبين فى قصص الأنبياء والمرسلين: نعمة الله الجزائرى.

وسائل الشيعة: الحر العاملى/ ط ۲/ ۱۴۱۴/ مؤسسة آل البيت (عليهم السلام)/ مط مهر/ قم.

ينابيع المودة: سليمان القندوزى الحنفى/ ت علىّ الحسينى/ ط ۱/ ۱۴۱۶ ه-/ دار الأسوة.

***

تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فى سَبيلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ علىّ بْنُ موسَى الرِّضا – علَيهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْيَا أمْرَنَا... َ يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فى تلخيص بحار الأنوار، للعلاّمة فيض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُيونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشّيخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع "القائميّة" الثّقافيّ بأصبَهانَ – إيرانَ: الشهيد آية الله "الشمس آباذى" – "رَحِمَهُ اللهُ" – كان أحداً من جَهابذة هذه المدينة، الذى قدِ اشتهَرَ بشَغفِهِ بأهل بَيت النبىّ (صلواتُ اللهِ علَيهِم) و لاسيَّما بحضرة الإمام علىّ بن موسَى الرِّضا (عليه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرجَهُ الشَّريفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درايته، فى سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجريّة الشمسيّة (=۱۳۸۰ الهجريّة القمريّة)، مؤسَّسةً و طريقةً لم يَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَى و أحسَنِ مَوقِفٍ كلَّ يوم.

مركز "القائميّة" للتحرِّى الحاسوبىّ – بأصبَهانَ، إيرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجريّة القمريّة) تحتَ عناية سماحة آية الله الحاجّ السيّد حسن الإمامىّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّيجى الحوزات العلميّة و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، فى مجالاتٍ شتّى: دينيّة، ثقافيّة و علميّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثَقافة الثّقَلَين (كتاب الله و اهل البيت عليهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزيز دوافع الشّباب و عموم الناس إلى التّحَرِّى الأدَقّ للمسائل الدّينيّة، تخليف المطالب النّافعة – مكانَ البَلاتيثِ المبتذلة أو الرّديئة – فى المحامل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوتريّة)، تمهيد أرضيّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافيّةٍ على أساس معارف القرآن و أهل البيت –عليهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطّلاّب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِجِ العلوم الإسلاميّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشّبُهات المنتشرة فى الجامعة، و...

– مِنها العَدالة الاجتماعيّة: التى يُمكِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحديثة متصاعدةً، على أنّه يُمكِن تسريعُ إبراز المَرافِق و التسهيلاتِ – فى آكناف البلد – و نشرِ الثّقافةِ الاسلاميّة و الإيرانيّة – فى أنحاء العالَم – مِن جهةٍ اُخرَى.

– من الأنشطة الواسعة للمركز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ كتبٍ، كتيبة، نشرة شهريّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقيقيّة و مكتبية، قابلة للتشغيل فى الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثُلاثيّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّكة و... الأماكن الدينيّة، السياحيّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتى "القائمیّة "www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِع اُخرَ

ه) إنتاج المُنتَجات العرضیّة، الخَطابات و... للعرض فی القنوات القمریّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمیّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعیّة، الاخلاقیّة و الاعتقادیّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسیم النظام التلقائیّ و الیدویّ للبلوتوث، ویب کشک، و الرّسائل القصیرة SMS

ح) التعاون الفخریّ مع عشراتِ مراکزَ طبیعیّة و اعتباریّة، منها بیوت الآیات العِظام، الحوزات العلمیّة، الجوامع، الأماکن الدینیّة کمسجد جَمکرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفیذ مشروع "ما قبلَ المدرسة "الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِکین فی الجلسة

ی) إقامة دورات تعلیمیّة عمومیّة و دورات تربیة المربّی (حضوراً و افتراضاً) طیلة السَّنَة

المکتب الرّئیسیّ: إیران/أصبهان/ شارع "مسجد سیّد/ "ما بینَ شارع "پنج رَمَضان "ومُفترَق "وفائی/"بنایة "القائمیّة"

تاریخ التأسیس: ۱۳۸۵ الهجریّة الشمسیّة (=۱۴۲۷ الهجریة القمریّة)

رقم التسجیل: ۲۳۷۳

الهویّة الوطنیّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البرید الالکترونی: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتی: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاکس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مکتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التّجاریّة و المَبیعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمین ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

المیزانیّة الحالیّة لهذا المرکز، شَعبیّة، تبرّعیّة، غیر حکومیّة، و غیر ربحیّة، اقتُنِیَت باهتمام جمع من الخیّرین؛ لکنّها لا تُوافِی الحجمَ المتزاید و المتّسِعَ للامور الدّینیّة و العلمیّة الحالیّة و مشاریع التوسعة الثّقافیّة؛ لهذا فقد ترجَّی هذا المرکزُ صاحِبَ هذا البیتِ (المُسمَّی بالقائمیّة) و مع ذلک، یرجو مِن جانب سماحة بقیّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرَجَهُ الشَّریفَ) أن یُوفِّقَ الکلَّ توفیقاً متزائداً لِإعانتهم - فی حدّ التّمکّن لکلّ احدٍ منهم – إیّانا فی هذا الأمر العظیم؛ إن شاءَ اللهُ تعالی؛ و اللهُ ولیّ التوفیق.

مرکز القائمیة للبحوث والتخریبات الکمبیوتریة
اصبهان
WWW
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹